

البيانُ الفاصِلُ الحقُّ والباطلُ بينَ اطل

تأليف

السيد
عَلِي قُرَيْشِي

الأمين الأول لدار الكتب المصرية سابقاً

راجعته الأستاذ القانوني المرحوم محمد عبد المنعم رياض بك
المستشار بمحكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

الاهدا

إلى روح صديق الأستاذ القانوني الجليل

المرحوم محمد عبد المنعم رياض بك

أهدى هذا الكتاب

طالباً له من الله الرحمة والمغفرة وجزيل الأجر

والثواب م

السيد

علي فكري

ابن المرحوم

السيد محمد عبد الله الحكيم

٥ جمادى الثانية سنة ١٣٦٦ هـ

٢٦ إبريل سنة ١٩٤٧ م

كلمة المرحوم محمد عبد المنعم رياض بك

المستشار بمحكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة^(١)

قرأت للمرة الثانية ، الكتاب القيم « البيان الفاصل بين الحق والباطل » ، لوضعه الأستاذ الفاضل السيد علي فكرى بك ، فإذا به يتضمن من المبادئ الخلقية السامية ، ما يطمئن الناس في حياتهم ، إذا جعلوا العدل رائدهم ، والحق قبلتهم ؛ فالحق هو أكبر قوة ، والعدل هو الأساس الصحيح للحياة ، فضلاً عن كونه أساس الملك .

وما النظام العالمى الحديث ، الذى تفاخر دول الغرب بتوفيقها فى وضعه بميثاق الأمم المتحدة ، إلا صدى لتلك المبادئ التى أبرزها المؤلف بين دفتى رسالته الوافية .

ومما يجعل من هذه الرسالة حجةً وهدايةً ، أنها أوردت فى عبارة سلسلة ، كل ما يؤيد نصر الحق ، وإزهاق الباطل ، فى كتاب الله الكريم ، وفى الحديث الشريف ، وفى كتب التفسير ، وكتب الأدب من شعر ونثر ، وأضافت إلى ذلك من الحكم البالغة ، والشرح الوافى ، والبحوث الموقفة ، ما يدل على علم المؤلف وتعمقه .

لهذا لا يسعنى إلا أن أحمده لهذا الجهد ، وأدعو الله أن يهبه قوةً متجددةً ، تذكى دائماً تلك المهمة الشاهقة التى امتاز بها ، لافى مصر فحسب ، بل فى الشرق كله ؛ وكفاه فخراً أنه لم يكتم الحق ، بل أظهره ووضع فيه البيان الفاصل ، فميز به بين الحق والباطل ما

محمد عبد المنعم رياض

مصر الجديدة فى يوم الجمعة { ٢١ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦
١٤ مارس سنة ١٩٤٧

(١) توفى لرحمة مولاه فجأة فى يوم الاثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ الموافق ٢٤ مارس سنة ١٩٤٧ .

كلمة حضرة صاحب العزة أحمد زكى البهنيى بك

عزيزى الأستاذ الكبير السيد على فكرى بك

أقد تفضلتم فأتحتم لى فرصة الاطلاع على مؤلفكم القيم « البيان الفاصل بين الحق والباطل » ، فإذا به سفر جليل ، دل ما عرض إليه من شتى البحوث المستفيضة على صحة مدلول اسمه : حكم بالغة ، وعظمت بينات ، تناولت كل ناحية من مختلف نواحي الحياة العملية ، فأبرزت فيها منطق الحق ناصعاً جلياً ، تغلب بقوته على الباطل فأزهقه ، كلما قام صراع بينهما ، فى عبارات بليغة لا يشوبها تكلف فى الصياغة ، سليمة المبني ، واضحة المعنى ، سندها آيات أحكم الحاكمين ، فى كتابه الكريم ، وأحاديث نبيه المصطفى سيد المرسلين ، مبينة معانيها ، مفصلة مراميها ، فى دقة بالغة ، وعناية جديرة بالإعجاب ، وحسن التقدير ، ثم ماوسع المقام اقتباسه من أقوال وأفعال للسلف الصالح من العلماء والأدباء والخطباء وغيرهم ، من قادة الجيل الحاضر ، وأحداث وقعت فى شتى العصور ، وفى مختلف الميادين ، فكانت آثارها بارزة فى التوجيه والتجديد .

وليس ثمة من شك فى أن الكتاب بهذا الوضع قد حقق الغرض الأسمى الذى هدف إليه واضعه الأستاذ الجليل ، ليكون حجة وهداية لساثر المواطنين ، يفيد منه صغيرهم وكبيرهم ، شأنه فى ذلك شأن ما سبقه من مؤلفات قيمة ، عنيتكم بأحكام وضعها ، يميزها طابع السهولة فى العبارة ، مع توخى التعمق فى البحث ، والدقة فى المعنى ، فكانت من خير ما أخرج للمجموع نفعاً ، وأشمله فائدة .

أمدكم الله بروح من عنده ، وأسبغ عليكم نعمة الصحة والعافية ، لتواصلوا جهودكم المشكورة لخير مصر ، بل لخير الشرق كله ، بفضل ما حباكم الله به من اطلاع واسع ، وعلم عزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

أحمد زكى البهنيى

المستشار بمحكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة
والآن وكيل مجلس الدولة

٢٦ مارس سنة ١٩٤٨

كلمة الأستاذ الجليل عبد الحميد الساوى بك

عضو مجلس النواب

« البيان الفاصل بين الحق والباطل » ، عنوان يستهوى الألباب ، ويدفعها إلى أن تتصفح ما تضمنه هذا الكتاب من شتى الأبواب ، فهذا باب الإعجاز يملأ النفوس روعة وخشية حتى تكاد تقصدع ، وسرعان ما يلين القاسى أمامها ويحجزع ، إنه الكتاب الكريم ، وكفى به شاهداً ودليلاً .

وهذا باب الحديث جمع طائفة مختارة من دستور الرسول عليه الصلاة والسلام ، تؤيد الحق أقوى تأييد ، وتدحض الباطل وتزهقه ؛ وهذا باب الأدب الرائع ، عذب مورداً ، وطاب مصدرأ .

وهذه صفوة طيبة مما وقع في دور العدل ، يسردها المؤلف الجليل بأسلوبه الممتع ، فإذا هى آية في الروعة ، وقوة الحججة ، وبراعة الاستشهاد .

ذلك إلى شذرات مقتطفة من أقوال السلف الصالح ، الذين تمرسوا بشئون الحياة ، جاءت جامعة لما يبرز الحق في جلاله وسلطانه ، وما يدفع الباطل في زخرفه وريائه .

ولاريب أن المؤلف العلامة قد لازمه التوفيق ، ووهب الحكمة وفصل الخطاب ، في هذا السفر النفيس ، فإنه لم يترك آية ولاشارة في بيان الحق وتأنيده إلا قيدها ، فجاء كتابه نسيج وحده ؛ أحسن الله جزاءه ، بقدر ما جاهد في سبيل الحق ونصرته ، ونفعنا بمؤلفاته ، التي تهدف دائماً إلى إشاعة الفضائل ، ومكارم الأخلاق ؟

عبد الحميد الساوى الحامى

وعضو مجلس النواب

١٢ يونيو سنة ١٩٤٧

كلمة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الحسيني الظواهري

من علماء الأزهر الشريف ومدرس بكلية أصول الدين (رحمه الله ^(١))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الإيجاد ، وجعلها دليلاً على وحدانيته لذوى البصائر إلى يوم المعاد ، وميز النوع الإنساني منها بالعقل ، رفعا له إلى درجة الكمال ، وخلق له مافي الأرض جميعاً تكميلاً لنعمته عليه ، وتحقيقاً للإفضال ، وبعث الرسل قطعاً للحجة ، وبياناً للنافع والضار ، فهداه النجدين ، وبين له الطريقين ، لتتم معادته في الدارين ، وفصل له طرق الهداية ، ليحيد عن الضلال والغواية ، وبين له المنافع بحجج لاشبهة فيها ولا نقصان .

وشرح الحق والباطل ، والعدل والظلم ، أكمل شرح وأنتم بيان ، فسبحانه من إله أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فحالت عن الإحصاء بالأعداد ، ووفق من شاء بكرمه لطرق السداد ، ومن بالتفقه في الدين على من لطف به من العباد ، الذي كرّم هذه الأمة زادها الله شرفاً بالاعتناء بتدوين ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، حفظاً له على تكرر العصور والآباد .

ونصب لذلك جهابذة من الحفاظ النقاد ، وجعلهم دائبين في إيضاح ذلك في جميع الأزمان والبلاد ، بأذلين وسعهم ، مستفرغين جهدهم في ذلك جماعات وآحاد .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، الخصوص بتأييد ملته ، وسماحة شريعته ، لاشتغالها على ما يصلح جميع المخلوقات في جميع الأوقات .

فكانت الشريعة الباقية إلى يوم تبعث فيه المخلوقات ، ميزت بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، فأقامت صرحاً على أساس متين (فجاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً) .

(١) توفي لرحمة مولاه في يوم الأحد ٩ صفر سنة ١٣٦٥ - ١٣ يناير سنة ١٩٤٦

- ح -

هذا وإن من الموقعين الذين شرفهم الله سبحانه وتعالى بالتوفيق لبيان بعض ما اشتد عليه تلك الشريعة السمحاء من المزايا « حضرة الفاضل السيد على فكرى » ، فأبرز كتاباً في هذا المعنى ، فجاء قولاً فصلاً في موضوعه أسماء :

(البيان الفاصل بين الحق والباطل)

كتاب اسمه دليل على صحة مسماه ، ولا يسمع قارئه قراءة بعضه إلا ويشد شوقه إلى إكماله لحسن بيانه ، وعذوبة ألفاظه السهلة .

وليست هذه أول محاسن هذا المؤلف ، فله من المؤلفات العديدة ما جمع فيه من المحاسن الجملة الشيء الكثير .

أسأل الله أن يديم على هذا الفاضل نعمة التوفيق لخدمة الدين ، وخدمة الأمة الإسلامية إنه ولي التوفيق ؟
محمد الحسيني الظواهري

الزيتون في يوم الاثنين { ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٠
١٤ أبريل سنة ١٩٤١

كلمة حضرة الكاتب القدير والفيلسوف الكبير

محمد فريد وجدى بك رئيس تحرير مجلة الأزهر

الحق والباطل

كلمتان تنطوى فيهما جميع عوامل الخير والشر ، وكل أسباب الكمال والنقص ، وسائر دواعى السلامة والهلك ، التى تلابس الأعمال الإنسانية ؛ فلا غرو أن جعلهما الإسلام من أوليات ما لفت نظر الناس إليهما ، ودعاهم إلى إطالة الروية فيهما ، وقياس أعمالهم عليهما .

وزاد الله كلمة الحق شرفاً بأن تسمى به ، وهو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، وخالق كل شئ ، فقال سبحانه : (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) . وقال جل وعلا : (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) .

وكما أطلق الإسلام الباطل على جميع فواعل الشر ، ودواعى الانحلال ، وأسباب التلاشى ، زاده تقبيحاً بأن أطلقه على الآلهة الخيالية التى كان يعبدها الكافرون . فقال تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) :

وفصل الإسلام هذا الإجمال ، فقرر أن الحق هو الصحيح من العقائد ، والقويم من الأخلاق ، والشريف من الميول ، والطيب من الأعمال ، وأن من خصائصه الدوام والثبات ، والتأدية إلى أكمل الحالات ، وأبعد الغايات ، وأن الباطل هو على الضد من ذلك ، من لوازمه التلاشى والزوال ، والإفضاء إلى شر الأحوال ، والإيصال إلى سوء المآل .

وصرح بأن الحق من ورائه بيده ويبدده أينما حل ، وحيثما استقر . قال تعالى : (بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَالْكُمْ الْوَيْلُ لِمَا تَصِفُونَ) . وقال : (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) . وقال : (جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) .

وحكمة الإسلام في تقرير أشباه هذه المبادئ الأولية بضرب الأمثال، وبيان آثارها ونتائجها في حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية بكل ضروب الألوان البلاغية تسخير الغرائز النفسية لها، وإخضاع الميول الجبلية لسلطانها لتمضي في تطورها نحو الكمال حرة غير مستعبدة، ومختارة غير مجبرة، حتى إذا تركت ونفسها لم ترتكس إلى جاهليتها، ولم تتلمس الفرص لتتخلل من تقيدها.

وتفصيل هذا الإجمال أن الإنسان مفطور على تطلب الأحسن والأبقى والأثمن من حاجاته، فإن أدرك أن الذي يوافق الحق منها هو الذي تتوافر فيه هذه الخصائص دون غيره، فضله مدفوعاً بغريزته، لاسوقاً ضد إرادته.

هنا كثيراً ما يدخل الهوى، فيدفع الإنسان لتطلب ما يوصم بأنه من الباطل، ولكن بعد تقرر هذه المبادئ في نفسه، لا يكون لاندفاعه وراء الباطل من الصولة ما يجرده من احترام ما هو حق، وما يسلبه فضيلة الاستماع للزجر، ويدع في قلبه نزوعاً إلى الرُّعْوى، وإن كان نزوعاً يلابسه التثبط والوهن.

وهذه حالة نفسية يستفيد منها الهداة والمرشدون ليؤثروا على مواطن الاقتناع من ضميره فيعيدوه إلى الرشd، ويقيموه على الجادة المؤدية إلى حظيرة الطهر.

كل هذا يقتضى أن يكون الإنسان على شئ من العلم، فإن الجهل الخضم عماية لا ينفذ معها إلى القلب بصيص من نور.

قال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ. وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ).

وقال تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ).

لذلك فرض الإسلام التعلم على جميع المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ».

قال العلماء: وكل مسلم تشمل المسئلة أيضاً، لأنها مكلفة بما هو مكلف به، فيكون الإسلام أول من أمر بتعميم التعليم في الذكور والإناث، لم يسبقه إلى ذلك مصلح في الأرض، وهذه معجزة لهذا الدين تضاف إلى سائر معجزاته العمرانية.

أكتب هذا وبين يدي كتاب « البيان الفاصل بين الحق والباطل » لمؤلفه المفضل الأستاذ الأملح الجليل « على فكرى » صاحب التأليف اللمة الطريفة ، وهو فيما نعلم أول كتاب نشر تحت هذا العنوان ، جمع فيه واضعه النبيل كل ماورد فى هاتين الكلمتين الجامعتين من آيات قرآنية ، ومن أحاديث نبوية ، مشفوعة بتفاسيرها من أوثق المصادر ، ومن أمثال سائرة ، وكلمات نافعة ، وحكم بالغة ، وأشعار قيمة ، وتقريرات شرعية ، وشروح قانونية ، ومقالات مجيزة ، وبحوث محررة ، وشوارد أخرى تتصل بهاتين الكلمتين ، منشورة فى بطون المؤلفات ، ويتعذر الحصول عليها مجتمعة فى حيز واحد .

فهذه خدمة علمية لا يظلم بالقيام بها إلا الذين أوتوا سعة الاطلاع ، وطول الأناة فى البحث وحسن التخير فى الجمع ، وإيداع التنسيق فى الوضع .

وهذه الصفات كلها اجتمعت فى مؤلفنا المفضل ، فجاء كتابه تحفة علمية جمعت بين فضيلتى التشييط على القراءة والإفادة بها ، وهى ميزة يتمناها المؤلفون ، ولا يحظى بها إلا الموفقون الموهوبون .

فإذا وجب على أن أهني الأستاذ المؤلف بما أتيح له من هذا العمل الطيب ، وجب على كذلك أن أبشر القارئين بأنهم سيجتنون منه أينع الثمرات ، وأضوع الزهرات ، وفق مؤلفنا الماجد إلى أمثاله ، وكافاه بما يكافى به العاملين من عباده ؟

محمد فريد وجدى

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١	المقدمة .	٩١	١٠ — محافظة الحاكم على حقوق الدولة
٣	الحق .	٩٣	أمثلة في الاعتراف بالحق .
٧	نصيحة عمر لعماله في اتباع الحق .	٩٤	أمثلة في الثبات على مبدأ الحق .
٧	الآيات القرآنية الواردة فيها كلمة «الحق» وتفسيرها من آية ١ إلى ٢٥٥ .	٩٦	١١ — الجراءة في الحق .
٦٨	بعض الأحاديث الواردة في الحق وشرحها .	٩٧	قل الحق، أنا قلت الحق .
٧٤	الأمثال والحكم .	٩٨	دعها فإن الحق أنطقها وأخرسه .
٧٥	الموضوعات .	٩٩	مثال لبيان الحق من الباطل .
١	١ — حب الحق والخضوع له .	١٠٠	يقول الحق بلا خوف ولا وجل .
٧٧	٢ — الجهر بالحق فضيلة .	١٠١	قل الحق وإن كان على نفسك .
٨١	٣ — سبيل الحق وسبيل الباطل .	١٠٢	يجب رد الحق إلى صاحبه .
٨٢	٤ — الحق إذا لم تؤيده القوة يضيع .	١٠٢	فكاهة طريفة .
٨٤	٥ — القوة بغير الحق ظلم وطغيان .	١٠٢	قصيدة في الحق والصدق .
٨٥	٦ — الحق والقوة .	١٠٤	الباطل .
٨٧	٧ — اتق الله ولا تخش في الحق لومة لائم .	١٠٦	الخوض في الباطل حرام .
٨٨	٨ — يرضخان للحق بعد سماع نصح الرسول .	١١٤	الآيات الواردة في الباطل من آية ١ إلى ٣٢ .
٩٠	٩ — المثل الأعلى لاحترام القسانون وقول الحق .	١١٧	بعض أحاديث وردت في الباطل .
			خطبة في صراع الحق والباطل والعدل والظلم، وأن النصر للأول منهما .
			الموضوعات .
			١ — صراع بين الحق والباطل يدوم خمس سنوات وينتهي بانتصار الأول على الثاني .

الصفحة	الموضوع
١٧٠	٢ — العدل والنزاهة .
١٧١	٣ — مثال حي من عدل الملك ابن السعود .
١٧٢	٤ — مثال آخر من عدله .
٥	— تكذيب ما نسب إلى قراقوش من جور الأحكام .
١٧٣	٦ — قدس العدل .
١٧٤	٩ — العدالة المطلقة (الاجتماعية) .
١٧٦	١٠ — العدالة في الاسلام أيضاً .
١٧٩	١١ — صفات الإمام العادل .
١٨١	١٢ — صفات الحاكم العادل .
١٨٢	١٣ — واجبات الحاكم .
١٨٣	خطبة في محاسن العدل ومساوى الظلم .
١٨٥	١٤ — المساواة نوع من العدل .
١٨٩	١٥ — مراعاة الحقوق والواجبات .
١٩١	١٦ — وجوب العدل على الحاكم وإيصال الحقوق إلى أهلها .
١٩٢	مثال القاضي العادل .
	عدل عمر بن عبد العزيز .
١٩٣	الحكم بالجلاء .
١٩٣	١٧ — دستور الدولة في العهد النبوي .
١٩٦	مختصر قصيدة في العدل لسعادة السيد باشا شكري .
١٩٨	قصيدة أخرى لسعادته في الحاكم وحب الرياسة وإطاعة الحكام .
١٩٩	١٨ — حسن اختيار القاضي العادل .
٢٠٠	١٩ — أهم واجبات القاضي .
٢٠	— المحاماة وواجبات المحامي .

الصفحة	الموضوع
١١٨	٢ — الحق يعلو ولا يعلى عليه .
١٢١	الحق والزور (قصيدة) .
١٢٣	العدل أساس الملك .
١٢٤	العدل .
١٢٦	كلمة وزير التموين في العدل .
١٢٧	الآيات القرآنية الواردة فيها كلمة العدل وتفسير معانيها من آية ١ إلى ٢١ .
١٣٢	بعض أحاديث في العدل والقضاء بالعدل .
١٣٤	الموضوعات .
١	— ذكر ما قيل في العدل .
١٣٦	٢ — أقسام العدل .
١٣٧	عدل ولاية الأمور مع رعيته .
١٤٢	عدل رؤساء الأسر والقبائل .
١٤٤	٣ — العدل الشامل وضروبه .
١٤٥	ضروب العدل .
١٤٧	٤ — العدل وأثره في حياة الأمم .
١٥٠	أقوال في مدح العدل .
١٥٠	٥ — العدالة في الإسلام .
١٥٥	٦ — العلوم والعدالة الاجتماعية .
١٥٨	٧ — إقامة العدل ومحق الظلم .
١٦١	٨ — بالعدل استقام الملك والدين .
١٦٣	٩ — أمثلة في العدل .
١٦٨	١٠ — مثل من حب عمر بن عبد العزيز للعدل ، ورده لمظالم .
١٦٩	أمثلة أخرى في العدل .
١	— الحاكم العادل نصير الحق .

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠١	٢١ — القضاء .	٢٠٤	الإمام أبو حنيفة يرفض أن يتولى القضاء
٢٠٥	٢٢ — نبذة في تاريخ القضاء في الإسلام	٢٠٦	تعريف القضاء .
	أول قاض في الإسلام .	٢٠٨	٢٣ — القضاء من الولاية .
	٢١٠ طريقة اختيار القضاة .	٢١١	الابتعاد عن منصب القضاء خوفاً من ارتكاب الظلم .
	٢١٢ ٢٤ — المحاماة أيضاً .	٢١٥	٢٥ — استقلال القضاء .
	٢١٦ مثال في استقلال القضاء .	٢١٧	٢٦ — أمثلة في القضاء بالعدل بين الناس
	٢١٩ قصيدة في استقلال القضاء في الأحكام لسعادة السيد شكري باشا .	٢٢٠	حديث شريف في أن القضاء لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً ، وشرحه .
	٢٢٣ الحديث ١١٤ في النهي عن القضاء حين الغضب .	٢٢٤	الصلح أولى قبل فصل القضاء .
	٢٢٥ الصلح بين الأسر الكبيرة بالعريش .		الصلح خير وأبقى .
	٢٢٦ خطبة منبرية في الإنذار الإلهي .	٢٣٠	٢٣٠ محكمة العدل الإلهية .
	قضية فصل القضاء بين المجرمين الأشقياء والأتقياء السعداء .	٢٣٤	العدل (عند قدماء المصريين) غذاء الآلهة والشعب .
	٢٣٦ الظلم وأنواعه	٢٣٩	١ — نتيجة البغي (الظلم) .
	٢٤١ ٢ — كلمة عامة عن الظلم .	٢٤٣	٢٤٣ الآيات القرآنية الواردة فيها كلمة الظلم
	٢٤٣ ١ — ذكر ما قيل في الظلم أو الجور أو البغي .	٣١٢	٣١٢ أقوال الصالحاء والعلماء والأدباء .
	٣١٤ ٢ — الظلم مؤذن بخراب العمران .	٣١٧	٣ — إن الله يمهّل الظالم ويمدّ له .
	٣١٨ ٤ — خطبة في النهي عن الظلم .	٣٢٠	٣٢٠ خطبة أخرى في الظلم وسوء عاقبته .
	٣٢٢ ٣٢٢ خطبة أخرى في الظلم .	٣٢٣	٥ — إخفاء الجريمة والتستر على المجرم ظلم
	٣٢٥ ٦ — المحاباة ظلم عظيم .	٣٢٨	٧ — المحسوبية خطر اجتماعي عظيم .
	٣٢٨ ٧ — المحسوبية خطر اجتماعي عظيم .		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٣٠	وثيقة تاريخية (عقوبة النفي المؤبد للمحسوبة) .	٣٥٣	قصيدة أخرى تحذيراً للظالم .
٣٣١	٨ - الإسلام رحمة للإنسانية وحفظ لها - والشعوب الظالمة شقاء ومعمل الحراب والفناء .	٣٥٤	قصيدة في النهي عن إعاقة الظالم .
٣٣٢	٩ - مثال الاضطهاد في نظارة العارف	٣٥٥	التحذير من أكل مال اليتيم ظلماً .
٣٣٣	١٠ - الاضطهاد والحرية .	٣٥٨	مقارنة محسوسة بين الوصى الظالم والوصى العادل النزيه .
٣٣٥	١١ - أمثلة في الظلم .	٣٦٠	قصيدة في الحث على حسن معاملة اليتامى .
٣٣٦	١ - حكاية عن عواقب الظلم الوخيمة .	٣٦١	الزوج الظالم والزوجة المظلومة .
٣٣٨	٢ - أعظم مثل من القرآن في بيان الظلم وسوء عاقبته .	٣٦٣	مظالم الأزواج للزوجات .
٣٣٩	٣ - ظلم أحد الملوك .	٣٦٥	ظلم الآباء للأبناء .
٣٤١	٤ - من ذاق ألم الظلم وهو صغير لا يلجأ إليه وهو كبير .	٣٦٨	مظالم الآباء للأبناء أيضاً . ظلم الأب بتزويجه ابنته قبل استشارتها .
٣٤٢	٥ - الحجاج الثقفي أظلم الظالمين .	٣٧١	قصيدة للأستاذ محمود رمزي نظم في نتيجة الزواج القهري .
٣٤٣	٦ - الملك الظالم والمرأة الضعيفة المتظلمة	٣٧٢	ظلم الابن لأبيه .
٣٤٤	٧ - حكاية أخرى عن شر الجور .	٣٧٥	مظالم الأبناء للآباء أو عقوق الوالدين
٣٤٦	٨ - نادرة أخرى في الظلم .	٣٨٠	ظلم الأمم بسبب هلاكها وفنائها .
٣٤٧	٩ - نادرة أخرى .	٣٨٤	مظالم الدولة الرومانية للأمة المصرية .
٣٤٨	١٠ - موعظة حسنة .	٣٨٥	المثل الأعلى للظلم (نيرون) .
٣٤٩	١١ - المعتصب الظالم .	٣٨٦	ظلم أحمد بن طولون .
٣٥٠	١٢ - مثال الاستبداد .	٣٨٧	ظلم الدول الكبيرة للدول الصغيرة .
٣٥٢	١٣ - الظلم يذهب البركة .	٣٨٨	١ - ظلم إنجلترا لمصر .
	١٤ - متى حل الظلم بأرض زالت البركة منها .	٣٨٩	شكوى مصر من الاحتلال .
	١٥ - الحجاج والأعرابي .	٣٩٠	٢ - مظالم إيطاليا وفضائلها في طرابلس الغرب .
	٣٤٨ النهي عن معاونة الظالم .	٣٩١	٣ - ظلم فرنسا لتونس ومراكش والجزائر
	٣٥٠ شهادة الزور تقلب الحق باطلاً والباطل حقاً .	٣٩١	٤ - ظلم هولندا لأندونيسيا .
	٣٥٢ مختصر قصيدة في الظلم لسعادة السيد شكرى باشا .	٣٩٣	٥ - ظلم أمريكا لعرب فلسطين .
		٣٩٨	الخاتمة .
			خطبة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد (لفضيلة الشيخ حمزة الصالحى) .

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه نستعين)

الحمد لله الذى يحق الحق ، ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ؛ ففرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، وعلى آله وأصحابه ، الذين جاهدوا فى سبيل الحق ، فكانوا أحسن الخلق قولاً وعملاً .

أما بعد : فمن نظر فى أحوال العالم من جهة العبادات والمعاملات وجدها على اختلاف أنواعها ، وتباين مصادرها كلها « صراعاً بين الحق والباطل ، ونضالاً بين العدل والظلم » .

فهذا ينكر وجود الله ، وذاك يطعن فى القرآن الكريم ، وهذا يطعن فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذاك ملحد زنديق ، لا يؤمن بكتاب ، ولا يصدق برسالة نبي ، ولا يدين بدين من الأديان .

وهذا يقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، وذاك يسرق ، ويزنى ، ويشرب الخمر ، ويلعب للميسر ، ويأكل الربا .

وهذا يأكل أموال الناس بالباطل ، ويأكل أموال اليتامى ظلماً وبهتاناً ، وذاك يفتصب أرض الناس بالقوة والزور ، وغير ذلك من المحرمات التى حرمها الله ، ونهى عنها فى كتابه العزيز ، وحذر منها الرسول الكريم .

كل هذا ناشئ من الطباع الخبيثة الشريرة ، التى طمس الله على عقولها وأبصارها ، فأصبحت لا تميز بين الحق والباطل ، ولا بين الحلال والحرام ، ولا بين العدل والظلم .

والمعركة الفاصلة بين الحق والباطل ، والنتيجة المحتومة هى : « انتصار الحق على الباطل لا محالة » مهما قويت شوكة الباطل ، ومهما طال الزمن ، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة .

وإني أريد التدليل على ذلك بأقوال أحكم الحاكمين في كتابه الكريم ، وبأحاديث سيد المرسلين ، و ببعض الحوادث التي وقعت في ميادين الحاكم ، وميادين الحرب ، وبأقوال السلف الصالح من العلماء والأدباء والخطباء .

فمن يتصفح كتاب الله العزيز يرى في كل سورة منه آيات بينات في بيان الحق ، وبعضها في الباطل ، وبعضها في العدل ، وبعضها في الظلم ، وهي تختلف في معناها ومبناها بحسب الآيات المتصلة بها قبلها أو بعدها .

ومن يقرأ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يجد فيها عظات بينات ، وحكماء محكمات ، تأمر باتباع الحق والعدل ، واجتناب الباطل والظلم .

لهذا أردت أن أجمع معظم الآيات الواردة فيها كلمات الحق والعدل ، والباطل والظلم ، مع تفسير معناها من المصحف المفسر لأخيها وصديقنا الأستاذ محمد فريد وجدى بك ؛ لسهولة وعدم تطويله ، ولموافقته لأفهام كثير من الناس .

وكذا الأحاديث من كتاب : (الترغيب والترهيب) مع شرح بعضها من كتاب (الأدب النبوي) للمرحوم أخينا الشيخ عبد العزيز الخولي .

وأتبعتها بأمثال وقصص دينية وأدبية عن السلف الصالح تطبيقاً لها ، جمعتها كلها في رسالة واحدة سميتها :

(البيان الفاصل بين الحق والباطل)

ليكون في اسمها مايدل عليها ، وليقف الناس على المقصود منها ؛ فيلتزموا جانب الحق والعدل ، ويجتنبوا طريق الباطل والظلم ؛ فينالوا بذلك الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة .
اللهم إن كنت تعلم أن عملي هذا لخدمة الحق والدين حقيقة فأعني فيه ، وثبتني عليه .
اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك ، وأسألك أن توفقني وجميع المسلمين لاتباع الحق والعدل ، والتمسك بهما ، والابتعاد عن الباطل والظلم واجتنابهما . إنك السميع الحبيب .

السيد على فكرى

ابن المرحوم السيد محمد عبد الله الحكيم

مصر الجديدة { في أول المحرم سنة ١٣٦٠
٢٨ يناير سنة ١٩٤١

الحق

الحق : كلمة قامت بها السموات والأرض .

الحق الشئ الثابت الذى فيه خير المجتمع الإنسانى .

فتوحيد الله حق ، وقراءة القرآن حق ، والعمل بما فيه حق ، واتباع الرسل حق ، والإيمان بالكتب السماوية حق ، والأمر بالمعروف حق ، والنهى عن المنكر حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والبعث والنشور حق ، وإطاعة أولياء الأمور حق ، (والجهاد فى سبيل الله حق) .

والعدل بين الناس حق ، وقيام الموظف بواجبه حق ، والصدق فى المعاملة حق ، والأمانة فى المعاملة وفى الأخبار حق ، وحفظ السر حق ؛ وبالجملة كل نافع فى الحياة حق .

ولما كان الحق مرًا على بعض النفوس لاتسيغه بسهولة ، أمرنا الله تعالى بالتواصى بالحق ، فقال : (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) ، فكل إنسان يجب عليه أن ينصح غيره بأن يقوم بأداء الحق ، ويحافظ على معالمه ورسومه ، وطرقه وحدوده ، كما أمر به رب العالمين .

فإن رأيت شخصاً يريد أن يظلم ضعيفاً ، أويتهم بريئاً ، أويغالى مجرمًا ، أويعين ظالمًا ، أويحاجى راشيًّا ، أويمجد عاصيًا ، فوصه بالحق ، وقل له : لا تظلم الضعفاء ، ولا تهتم الأبرياء ، ولا تغالى المجرمين ، ولا تمن الظالمين ، ولا تحاب المرتشين ، ولا تمنجد العاصين والغاصبين .

وإن رأيت شخصًا تهاون فى أداء الصلاة ، أو منع الزكاة ، أو تعاطى مسكرًا ، أو تناول مفترًا ، أو لعب ميسرًا (قمارًا) أو قارف حرامًا (كزنا) فوصه بالحق .

وكما توصيه بالحق إذا رأيت يشرع فى ارتكاب جريمة أو كان يعملها ، فوصه أن يكون منها على حذر ، وأن يقيم ما أهمل من شرائع الدين ، وسنن خاتم النبيين .

ولا تظن أنك تكون قائمًا بالتواصى بالحق ، وأنت للحق بجانب ، لانتيمه فى خاصة نفسك ، ولا تعرج عليه بعملك ، بل نفذ الوصية قبل أن توصى ، وأتمر قبل أن تأمر ، وانتبه قبل أن تنهى ، لئلا تكون ممن قال الله فيهم :

(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَبْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

وكما قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى كما يصح به وأنت سقيم
وكما تجب عليك وصية غيرك بالحق ، يجب ذلك على غيرك نحوك ، فإن الغير قد يرى
من عيوب الإنسان ما لا يراه فيبصره بعيوبه ، ويهديه سواء السبيل .
(إصلاح الوعظ الدينى)

وقيل : الحق هو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة .

وقال المرحوم حسن حسنى الطويرانى : الحق روح الفضيلة ، وأهل الحق وخدام
الحقيقة لا يرون على أنفسهم من اللازم أن يرضى عنهم غيرهم ، إذ لا يرضى عن الحق مبطل
أو عن صاحب الحقيقة مفتون بالخيال قال :

يسرّ نفسى إن لم يرض وجهتها ذو باطل ماله فى الحق من طمع
والحق أنك لا ترضى بقول أو عمل طائفة من الناس إلا أغضبت أضعافها .
قال تعالى : (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) .

لأن طلاب الباطل والشر كثيرون ، وطلاب الحق والخير قليلون ؛ نسأل الله أن يهدينا
إلى طريق الحق ، ويبعدنا عن طريق الباطل .

وقال الدكتور محمد حسين هيكل باشا (وزير المعارف سابقاً ، ورئيس مجلس الشيوخ
حالياً) : إن الفوز هو أبدأ فى النهاية للحق ، الحق الذى يدعو صاحبه غير مبتغى من الناس
جزاء ولا شكوراً ؛ والذى يضحى صاحبه فى سبيله براحتة ، وبصلاته بالناس وبحياته ،
وبكل ما فى الحياة لتنفيذ الخير والهدى .

الحق الذى ينير للناس المحجة ، فيدلمهم على أن الحياة واجب مقدس ، لا بد وأن ينهض
به كل امرئ ليجزيه الله عنه الجزاء الأوفى .

فالحق هو غاية الإنسانية ، فإن هى حاربت فى سبيله ، واستهانت بكل شئ من أجله ،
بلغت المكانة الواجبة لها .

ولولا أن للحق من الخطورة ماله ، ما حظر الشارع على طالبه أن يتولاه ، أو اضطرب له

أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذا الاضطراب الذى بلغ به أن يبيع نفسه للناقدين ، ويسلم عرضه لعمترضين بقوله فى أول خطبة خطبها بعد مبايعته .

« أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن صدقت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ^(١) .

لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل (أطيعونى ما أطيعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم) .

أيها الناس : إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن زغت فقومونى ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » .

وقال محمد على علويه باشا (وزير الأوقاف سابقاً ووزير مصر المفوض فى الباكستان حالياً) :

الحياة من يوم أن وجد الإنسان ما زالت صراعاً بين الحق والباطل ؛ والحق جميل ولا أحد فى الدنيا ينكر جماله ، والحق جليل ، ومن آيات جلاله ألا يتعشقه إلا الشرفاء ؛ والحق قوى ، ومن علامات قوته أن يحتذى به الضعفاء والمظلومون ، وأن يحالفه الأحرار الغالبون ؛ وأولئك هم الذين يستمرئون المرء فى الذود عن حياضه ، ويستعذبون العذاب فى سبيل نصرته ، فيكتب لهم الظفر ولو بعد حين .

أذكر وتذكرون ما كان وما يكون من صراع بين الحق والباطل فى أعمال كثيرة سمعنا عن بعضها فى التاريخ ، ورأينا بعضها فى السنوات الأخيرة : رأيت صراعاً بين الحق والباطل ، منذ قام فريق من الناس يدعوا إلى (وحدة عربية) ، (واتحاد شعوب العرب) فقام فى وجههم باطل ؛ وما زال الحق يصارع الباطل حتى انتهى الأمر باقتناع الجميع بأن لافرعونية فى مصر ، ولا فينيقية فى لبنان ، ولا آشورية فى العراق ؛ واعتقدوا جميعاً أن الوحدة ضرورية ، فسعى الناس إليها من كل فج ؛ فهناك اتفاق فى العناصر ، والمنفعة بين من يتكلمون بلغة واحدة ، ولهم تقاليد واحدة ، وعوائد واحدة ، وآمال واحدة ، وآلام واحدة .

(١) أى ليس الضعيف ضعيفاً بعد إقامة الحجة ، بل يكون قوياً بقوة حقه ، ولا يكون القوى قوياً بعد أن تبين أنه مضيع للحق ، وكلاهما سواء أمام عدالة أبى بكر رضى الله عنه .

والحمد لله قد انتصر الحق ، وتكونت (جامعة الدول العربية) .
وهناك فريق من الأحرار رأى ضرورة الدفاع عن فلسطين ، ففتحى بعض العلماء
والفضلاء والأدباء في مصر وفي غيرها من البلاد الشرقية ، وحاربوا الفكرة وسخروا منها .
وما زال الحق يصارع الباطل حتى اقتنع الجميع بأن ضياع فلسطين إنما هو ضياع
للأقطار العربية كلها المتاخمة والمجاورة ، على حد التعبير الحديث .

وهناك صراع بين الحق والباطل في الأحوال المحلية قام به بعضهم ممن أرادوا أن يمنعوا
أذى الأوقاف ، فحاربوا واستمروا في صراعهم عشرين سنة ، إلى أن قيض الله لمصر شباباً
ناهضاً ، فانتصت الأمة والدولة بهذا الحق ؛ فصدر القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بأحكام
الوقف ومنع هذا الباطل ؛ وقد جاء في المادة ٤٠ من هذا القانون في قسمة الوقف ما يأتي :
« لكل من المستحقين أن يطلب فرز حصته في الوقف (الأهل) متى كان قابلاً
للقسمة ، ولم يكن فيها ضرر بين » .

ويعتبر الناظر على الحصة الخيرية قانوناً كأحد المستحقين في طلب القسمة ، وتحصل
القسمة بواسطة المحكمة وتكون لازمة .



فجزى الله خيراً علوبه باشا الذي قام بهذه الدعوة منذ عهد بعيد ، ووفقه الله
في نجاحها وتنفيذها .

وهكذا يكون الدفاع عن الحق ومصارعة الباطل ، والله لا يضيع أجر العاملين في الخير
وإزالة الضير .

وها قد تحققت فكرة علوبه باشا ، وقامت جامعة الدول العربية بمحاربة الصهيونيين
في فلسطين لتحريرها وتخليصها منهم ؛ حقق الله لها الآمال ، وكتب لها النصر والفوز
في الحال والاستقبال ، إنه السميع الجيب .

(عن مجلة الكتاب)

لشهر يناير سنة ١٩٤٧ ص ٤٣٩

نصيحة عمر لعماله

(في اتباع الحق)

جاء في ثنایا التاريخ الإسلامی أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، كتب إلى عماله الولاية فقال :

« اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء ، قریبهم كبعيدهم ، وبعیدهم كقریبهم . إياكم والزنا ، والرشوة ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب ، فقوموا بالحق ، ولو ساعة من نهار » .

وكان يقول لهم أيضاً : لا تركبوا برذوناً (صنفاً من الخيل غير الأصيلة) ولا تأكلوا نقياً ، ولا تلبسوا رقيقاً ، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، وإن فعلتم شيئاً من ذلك حلت بكم العقوبة .

(عن مجلة نشر الفضائل الإسلامية)

العدد ١٦ من السنة الثانية عشرة
الصادر في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤

الآيات القرآنية

الواردة فيها كلمة « الحق » وما يتفرع منها وتفسير معانيها

سورة البقرة

١ — (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) . ٢٦

المعنى : إن الله لا يمتنع عن ضرب الأمثال لعباده ، بأصغر مخلوقاته وأحقرها ، وهي البعوضة (الذبابة) .

فأما الذين آمنوا فيعلمون أن الله حق ، ولا يقول غير الحق ، وأما الذين كفروا فيمتجبون ويقولون : ماذا يريد الله من ضرب الأمثال بالأشياء الحقيرة : إنه يريد بذلك إضلال من عميت بصائرهم عن تنوير أسرار الخالق في أصغر مخلوقاته ، وهداية من صفت أفئدتهم ، فاستوت لديهم كبريات المخلوقات وصغرياتهما في الدلالة على الحق الذي يتطلبونه . على أن الذين يضلون بهذه الأمثال هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله المأخوذ عليهم بالإيمان به ، الخارجون عن طاعته ، والتاركون لأوامره .

٢ — (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . ٤٢

ولا تلبسوا (أيها اليهود) أى لا تخطوا الحق الذى نزل من عند الله (وهو التوراة) بالباطل الذى تخترونه وتكتبونه بأيديكم وتكتموا (أى تخفوا) هذا الحق وأنتم تعلمون أنه حق لاشك فيه .

٣ — (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكََ بَأْسُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكََ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) . ٦١

إن الله جل شأنه ضرب على بنى إسرائيل (اليهود) الذلة والمسكنة وغضب عليهم ، أى بدّلهم بالعز ذلاً ، وبالنعمة بؤساً ، وبالرضا عنهم غضباً ، جزاء منه لهم على كفرهم بآياته ، وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداء وظلماً منهم بغير حق ، وذلك من أجل عصيانهم لأوامر ربهم ، وتعمداتهم حدوده ، واعتدائهم على الناس .

٤ — (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) . ٧١

لما ألح بنو إسرائيل على موسى في طلب بيان وصف البقرة المراد ذبحها ، وشددوا عليه ، فشدد الله عليهم الجزاء . وقال لهم موسى : إن البقرة التى يريدوها هى بقرة غير مذلة ، تهيج الغبار إذا تحركت ، وتسقى الزرع ، سليمة من العيوب ، فى جلدها قطعة لونها يخالف لونه .

قالوا له : الآن جئت بالحق ، فحصلوا على بقرة متوفرة فيها هذه الصفات بضعف ثمن مثاها ، وذبحوها بعد أن قاربوا أن لا يفعلوا ما أمروا به .

٥ - (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ) . ٩١

وإذا دعاهم داع إلى الإيمان بما أنزل الله من الوحي الجديد قالوا : إننا لانؤمن إلا بما أنزل إلينا ؛ ويكفرون بالقرآن مع أنه هو الحق ، موافقاً لما معهم من كلام الله ، أى مصدقاً لكتابهم ، وهو التوراة .

٦ - (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . ١٠٩

أراد كثير من أهل الكتاب لو يردوكم بعد إيمانكم كفاراً حسداً لكم ، وسوء قصد بكم ، من بعد ما ظهر لهم أنكم على الحق ، فاعفوا عنهم ، ولا تلوموهم حتى يأتي الله بأمره ، أى حتى يأذن الله لكم في قتالهم إن الله على كل شيء قدير ، أى قدير على الانتقام منهم .

٧ - (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) . ١١٩

إننا أرسلناك يا محمد مؤيداً بالحق ، مبشراً للمؤمنين بالجنة ، ومنذراً للكافرين بالنار ، ولست بمسئول عن الذين يستحقون النار المتأججة .

٨ - (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) . ١٢١

المؤمنون من أهل الكتاب الذين يتلون ما نزل إليهم حق تلاوته ، أى بلا تحريف ولا تبديل فإنه يؤديهم للإيمان بجميع رسل الله ، ومن يكفر منهم بكتابه بتشويهه بالتحريف والتبديل ، فأولئك هم الهالكون الخاسرون .

٩ - (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) . ١٤٤

إننا يا محمد نرى تردد وجهك في السماء تطلباً للوحي فيما يختص بأمر القبلة ، فلنوجهك

إلى قبله تحبها وترضاها ، وهى قبله أبيتك إبراهيم ، فوَلَّ وجهك شطر المسجد الحرام ،
أى فى جهته ، وفى أى جهة كنتم أيها المسلمون فولوا وجوهكم جهته ؛ وإن أهل الكتاب
ليعلمون أن هذا التحويل هو الحق ، وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء من كتمانهم .

١٠ — الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَإِنَّ فَرِيقًا
مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . ١٤٦

إن هؤلاء الكتابيين ليعرفون محمداً وصدق رسالته كما يعرفون أبناءهم ، ولكن فريقاً
منهم يكتُمون الحق عمداً حسداً له .

١١ — (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) . ١٤٧

إن ما أنت عليه يا محمد هو الحق من ربك فلا تكونن من الشاكين .

١٢ — (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ
رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) . ١٤٩

ومن أى جهة خرجت للسفر فوجه وجهك جهة المسجد الحرام ، وإن هذا هو الحق من
ربك ، وما الله بغافل عما تأتونه من الأعمال فيحاسبكم على كل صغير وكبير منها .

١٣ — (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ
عَلَى النَّارِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) . ١٧٥

إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب (الآية السابقة لهذه) نزلت فى أخبار
اليهود كتموا عن قومهم صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم ، وأظهروا غيرها ،
لينموا دخولهم فى دينه ، واشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، فهؤلاء ما يأكلون
فى بطونهم إلا النار ، وما أصبرهم عليها ؛ وذلك العذاب بسبب أن الله أنزل الكتاب
(القرآن أو التوراة) بالحق ، وإن الذين اختلفوا فيه ، وأولوه على غير وجهه لفي نزاع وشقاق
بعيد عن الصواب .

١٤ — (كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ
لِلَّذِينَ وَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) . ١٨٠

فرض الله عليكم إذا أوشك أحدكم على الموت ، وكان ذامال أن يوصى بثلثه لوالديه وأقربائه بالعدل والمساواة ، وكان هذا الحكم سارياً في أول الإسلام قبل تعيين المواريث ، فلما نزلت آيات المواريث نسخت هذا الحكم .

فمن بدل هذه الوصية من الأوصياء أو الشهود ، فذنب ذلك على من بدله عمداً ، لأن هذه الوصية كانت حقاً على المتقين الذين يخافون الله .

١٥ - (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ ، وَمَا اختلفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . ٢١٣

كان الناس أمة واحدة متفقين على الفطرة ، فاختلّفوا فيما بينهم ، فبعث الله إليهم النبيين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف في الكتاب إلا الذين أعطوه ؛ أي عكسوا الأمر فجعلوا ما نزل لإزالة الخلاف سبباً لاستحكامه تحاسداً بينهم ، فهدى الله المؤمنين للحق ، والله يهدي من يشاء إلى صراط قويم .

١٦ - (وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوَلتهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) . ٢٢٨

المطلقات يصبرن عن الزواج ثلاثة حيضات فإذا أحسن بحمل فلا يحل لهن كتمانها . وأزواجهن أحق بردهن في ذلك التربص إن شاءوا إصلاحاً لا إضراراً بالمرأة .

١٧ - (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَتَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) . ٢٣٦

لا ذنب عليكم إن طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن ، ومن قبل أن تفرضوا لهن مهراً .

فإن حدث ذلك من أحدكم فليمتع المرأة بعطية على قدر طاقته ترضية لها ، فإن هذا كان حقاً على المحسنين .

١٨ — (وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) . ٢٤١

والمطلقات أن يمتعن بنفقة العدة ، وهذا حق على المتقين الذين يتقون الله في معاملاتهم مع النساء .

١٩ — (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أُصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) . ٢٤٧

لما اقترح بنو إسرائيل على نبي لهم أن يعين لهم ملكاً يقودهم لقتال عدوهم (الغارقة الذين كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين) فعين عليهم (طالوت) من أولاد (بنيامين بن يعقوب) وكان فقيراً فلم يرضهم هذا التعيين وقالوا :

كيف يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، لأنه لم يؤت سعة من المال ؛ فقال لهم نبيهم : إن الله اختاره لكم ، ومنحه من المنح العلمية والجسمية ما يؤهله لأمركم واستصلاح أموركم .

٢٠ — (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) . ٢٤٢

تلك آيات الله يا محمد نقرؤها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين ، إذ أوحينا لك كل هذه الأمور من غير تعارف منك لها .

٢١ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ، وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ، أَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ... الخ) . ٢٨٢

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى مَوْعِدٍ عَيْنْتُمُوهُ فَاصْكُتُوا ، فَذَلِكَ أَثَقُّ وَأَدْفَعُ لِلنِّزَاعِ .

وَلْيَكْتُبْ لَكُمْ كَاتِبٌ عَادِلٌ ، لَا يَجُورُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الطَّرَفَيْنِ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَحَدُ الْكُتَّابِ أَنْ يَكْتُبَ لِيَنْفَعِ النَّاسَ كَمَا نَفَعَهُ اللَّهُ بِتَعْلِيمِهِ الْكِتَابَةَ ، وَلْيَكُنِ الْمَلِيُّ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ (أَيْ عَلَيْهِ الدِّينُ) وَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلَا يَنْقُصْ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .

فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلِكَ لِقَلَّةِ عَقْلِهِ ، أَوْ ضَعْفِهِ مِنْ صَغَرٍ أَوْ كِبَرٍ أَوْ جَهْلِ ، فَلْيَمْلِكْ قِيَمُهُ أَوْ وَكِيلُهُ ، وَلْيَشْهَدْ عَلَى ذَلِكَ رَجُلَانِ ، أَوْ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ .

وَإِذَا طُلبَ الشَّهَدَاءُ لِأَدَاءِ شَهَادَتِهِمْ فَلَا يَمْتَنِعُوا ، وَلَا تَمْلُوا أَنْ تَكْتُبُوا الدِّيُونَ وَالْحَقُوقَ صَغِيرَةً كَانَتْ أَوْ كَبِيرَةً إِلَى مَوَاعِيدِهَا ، ذَلِكَ أَعْدَلُ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَقْرَبُ أَنْ لَا تَشْكُوا ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً تَدِيرُونَهَا يَدًا بِيَدٍ ، فَلَا بَأْسَ مِنْ عَدَمِ كِتَابَتِهَا .

وَإِذَا تَبَايَعْتُمْ فَاصْهَبُوا شَهَادَةً ، وَلَا تَضُرُّوا الشُّهُودَ وَالْكِتَابَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي مَعَامِلَاتِكُمْ .

(هَذِهِ الْآيَةُ جَمَعَتْ طَرُقَ حَسَنِ الْمَعَامَلَةِ) .

سورة آل عمران

٢٢ - (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) . ٢

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ ، مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ وَهُوَ : (التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ) هُدًى لِلنَّاسِ ؛ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (الْقُرْآنَ) كَرَّرَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ ، وَإِظْهَارًا لِفَضْلِهِ .

٢٣ - (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ

الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) . ٢١

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِكُتُبِ اللَّهِ وَلَا يَصْدُقُونَهَا ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ إِمْعَانًا مِنْهُمْ فِي الْكُفْرِ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ الْعَدْلِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ النَّارِ الْأَلِيمِ .

أولئك بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، ومالهم من ناصرين يحمونهم من بطش الله .

٢٤ — (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) . ٦٠

إن ما أنت عليه يا محمد هو الحق من ربك فلا تكن من الشاكين .

٢٥ — (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) . ٦٢

هذا هو الخبر الصحيح عن عيسى ، ولا يوجد إله غير الله وحده ، فإن أعرضوا عن

هذا التوحيد فإن الله عليم بالمفسدين .

٢٦ — (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . ٧١

يا أهل الكتاب لماذا تكفرون بآيات الله (القرآن) وأنتم تشهدون بما تقرأون عنه

في كتبكم (أنه حق) ولماذا تخطون الحق بالباطل وتكتمون الحق (أى نبوة محمد) التى

ترونها مذكورة فى كتبكم وأنتم تعلمون .

٢٧ — (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ

وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . ٨٦

نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار آمن ثم ارتد ، ثم كتب إلى قومه يطلب إليهم

أن يسألوا الرسول : هل له من توبة ؟ .

فلما نزل الوحي بأن له توبة عاد فأسلم ، فبين الله تعالى فى هذه الآيات بأن جزاء القوم

الظالمين الذين كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات (لعنة من الله

والملائكة والناس أجمعين) لا يخفف عنهم العذاب إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا

فإن الله يغفر لهم لأنه غفور رحيم .

٢٨ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ) . ١٠٢

بأيها الذين آمنوا أبدلوا وسعكم في تقوى الله حق التقوى ، ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون
لإرادته ، ومنقادون لأوامره .

٢٩ - (ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) . ١١٢

ضربت على أهل الكتاب الذلة والمسكنة ، واستحقوا غضب الله أينما وجدوا إلا إذا
كانوا معتصمين بذمة من الله أو ذمة من المسلمين .

ذلك لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله (القرآن) ويقتلون الأنبياء بغير حق .
وذلك الكفر والقتل كانا بسبب عصيانهم أوامر الله ، واعتدائهم حدود الله .
٣٠ - (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ
قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ
مِنْ شَيْءٍ) . ١٥٤

لما حكى الله (وقعة أحد) ذكر أنه جزاهم غمًّا بغم ليتمروا على الصبر في الشدائد
فلم يحزنوا فيما بعد على نفع فائت ، ولا ضرر لاحق (كما جاء في الآية التي قبلها في المصحف
وهي ١٥٣) ، ثم قال :

أنزل عليكم من بعد الغم نعاساً يغشى جماعة منكم ، وجماعة لا هم لهم إلا أنفسهم يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهل يقولون : هل لنا من الأمر شيء ؟

٣١ - (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ سَنَكْتُبُ
مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) . ١٨١
لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء .

نزلت هذه الآية لما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود (بنى قينقاع) يدعوهم
للإسلام ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً .

فقال بعضهم : إن الله فقير حتى سأل القرض ، ولكن الله رد عليهم فقال : سنكتب ما قالوا وكذا قتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول لهم : ذوقوا عذاب النار .

سورة النساء

٣٢ — (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) . ١٠٥

إنا أنزلنا إليك يا محمد القرآن متلبساً بالحق لتحكم بين الناس بما عرفك الله وأوحى به إليك ، فلا تكن عن الخائنين خصيماً (مدافعاً) ولا لهم محامياً .

٣٣ — (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) . ١٢٢

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالجنة التي تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها . وهذا الوعد من الله كان حقاً عليه ، ومن أصدق من الله مقالاً ؟

٣٤ — (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) . ١٥١

بعد أن بين الله صفة الكافرين في الآية التي قبلها ١٥٠ قال :

أولئك هم الكافرون بحق ، وقد أعدنا لهم ولأمثالهم عذاباً مهيناً لهم .

٣٥ — (فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) . ١٥٥

لما نقض بنو إسرائيل عهدهم وميثاقهم ، وكفروا بآيات الله ، وقتلوا الأنبياء بغير حق وقالوا : قلوبنا غلف لا نعي شيئاً ؛ قال لهم ربهم : ليس الأمر كذلك ، بل ختم الله عليها بسبب كفرهم ، فلا يؤمن منهم إلا نفر قليل .

٣٦ — (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) . ١٧٠

يأيها الناس قد جاءكم محمد (صلى الله عليه وسلم) بالحق من ربكم وهو (القرآن)

فَأْمَنُوا بِهِ ، فَيَكُنَ الْإِيمَانُ خَيْرًا لَكُمْ ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْكُمْ ، لِأَنَّهُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا بِأَحْوَالِكُمْ .

٣٧ — (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) ١٧١

يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحدَّ في أمر دينكم ، ولا يحملنكم الغلو فيه ، لأن تقولوا على الله غير الحق .

سورة المائدة

٣٨ — (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

يُتَقَبَّلَ مِنَ الْآخَرِ) ٢٧

واتل عليهم يا محمد نبأ ابني آدم (هابيل وقابيل) بالحق .

ويروى أن آدم عليه السلام أمر ولديه هذين أن يتزوج كل منهما توأمة الآخر فسخط (قابيل) لأن توأمة كانت أجمل ؛ فقال لهما آدم عليه السلام : قربا قربانا ، فمن قبل قربانه منكما تزوجها ، ففعلا ؛ فتقبل الله قربان (هابيل) بأن نزلت نار فأكلته ، فزاد ذلك في حسد (قابيل) فقتل أخاه (هابيل) .

٣٩ — (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) ٤٨

وأنزلنا إليك يا محمد (الكتاب) القرآن بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب (وهو التوراة) ومهيمنا عليه ، فاحكم بين الناس بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، لأنها مخالفة لما جاءك من الحق .

٤٠ — (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ

قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) ٧٧

قل يا محمد لأهل الكتاب : لا تتجاوزوا حدود العقل في دينكم ، فتقولوا على الله

ورسله غير الحق ، ولا تشايعوا أسلافكم الماضين في أهواء اقترفوها ، فضلوا وأضلوا بها كثيراً من الخلق .

٤١ — (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَا كُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) ٨٣

بعد أن بين الله تعالى في الآية السابقة أن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين ، وأن النصارى أقربهم مودة لهم ، وبين سبب ذلك قال :

إنهم إذا سمعوا : أى النصارى قارئاً يقرأ القرآن ترى أعينهم تفيض دمعاً مما يجدونه في نفوسهم من التأثير ، ومما تحققوا فيه من الحق ، ويقولون :

ربنا آمنا به ، وبمن أنزل عليه (محمد صلى الله عليه وسلم) ، فاكتبنا في زمرة الشاهدين بذلك .

٤٢ — (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ) ٨٤

وكيف لا نؤمن بالله وبما جاءنا من الحق (وهو الإسلام) مع طمعنا أن يدخلنا ربنا في زمرة عباده الصالحين .

٤٣ — (فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمْ اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيَانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشِهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَبِئَ الظَّالِمِينَ) ١٠٧

بعد أن بين الله تعالى في الآية السابقة الوصية وشروطها قال :

فإن ظهر على أن الشاهدين (في الوصية) استحقا إثماً أى ذنباً ، فليقم شاهدان آخران مقامهما من الذين جنى عليهم الإجحاف بالشهادة اقربتهما ومعرفتهما ، فيحلفان بالله على أن شهادتهما أحق من شهادة سابقتهما ، أى يميننا أحق بالقبول من يمينيهما .

٤٤ — (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ) ١١٦

واذكر يا محمد إذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أأنت أمرت الناس أن يتخذوك وأملك
الهلين من دون الله ؟

فأجاب عيسى : سبحانه ربى لا ينبغي لى أن أقول قولاً لا يحق لى أن أقوله إلى آخر
الآيات المتصلة بهذه الآية .

سورة الأنعام

٤٥ — (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ) ٥

لقد كذب الكافرون بالحق (أى بالقرآن) لما جاءهم فسوف يظهر لهم خبر ما كانوا
به يستهزئون .

٤٦ — (وَلَوْ تَرَى إِذْ دُقُّقُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) ٣٠

ولو ترى الكافرين إذ وقفوا على حكم ربهم وعرفوه حق المعرفة وسألهم سائل :
أليس هذا بالحق ؟ قالوا : نعم وحق ربنا . قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .

٤٧ — (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ،
إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) ٥٧

قل يا محمد : إني على دلالة واضحة من ربى ، وهى التى تفصل الحق من الباطل ، وكذبتهم
به حيث أشركتم به غيره ، ما عندى ما تستعجلون به من العذاب ، وما الحكم إلا لله فى تعجيله
أو تأجيله يتنعم الحق فى حكمه وهو خير الحاكمين .

٤٨ — (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ، أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ، وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحَاسِبِينَ) ٦٢

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى فى الآيتين السابقتين أنه يميت الناس ليلاً ثم يبعثهم
نهاراً وينبئهم بما كانوا يعملون ، ويرسل عليهم ملائكته يحفظون الأعمال وهم الكرام

الكانيون ، حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته الملائكة وهم لا يقصرون ، ثم يرجعون إلى مولاهم ، أى إلى حكمه وجزائه ، وهو أسرع الحاسبين .

٤٩ — (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) ٦٦

وكذب قومك بالقرآن ، وهو الحق ، فقل لهم : لست عليكم بمحفيظ وكّل إلى أمركم .

٥٠ — (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ،

قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ

الْخَبِيرُ) ٧٣

وهو الذى خلق الوجود بالحق ، وقوله حق ، يوم يقول للشيء : كن فيكون ، وله

الملك يوم ينفخ فى الصور ، وهو يعلم الغيب والشهادة (أى عالم بما وراء الطبيعة وعالم الطبيعة)

وهو الحكيم الخبير بكل شئ .

٥١ — (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ

يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ٨١

وكيف أخاف ما أشركتم مع الله (من الأصنام) وهم لا يضررون ولا ينفعون ، وأنتم

لا تخافون ما ارتكبتموه من الجريمة الشنعاء وهى :

أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم حجةً ناهضةً ، فأى الطائفتين منا أحق بأن

تكون آمنة مطمئنة إن كنتم تعلمون ما يحق أن يخاف منه .

٥٢ — (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) ٩١

وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شئ ، فقل لهم يا محمد :

من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى (أى التوراة) نوراً يضيء طريق السالكين

وهذى يرشد الضالين ؟ تكتبونه على أوراق متفرقة ، تبدون بعضها ، وتخفون كثيراً

منها ، حسبما تمليه عليكم أهواؤكم ، إلى آخر الآية التى جاءت بعد هذه الآية .

٥٣ - (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ٩٣

بعد أن قال الله للمشركين : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اخْتَلَقَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، فزعم أنه بعثه الله نبياً ، وادعى أنه سيأتي للناس بمثل ما أنزل الله من القرآن والكتب السماوية ؟ .
قال : ولو ترى 'إذ الظالمون في شدة الموت وأهواله ، والملائكة الموكلون بقبض الأرواح ، باسطو أيديهم إليهم يقولون لهم : أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون العذاب المهين بما كنتم تقولون على الله غير الحق كالشرك به ، وكنتم عن التأمل في آياته والإيمان بها تستكبرون .

٥٤ - (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ؟ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ، وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرَدِّينَ) ١١٤

أفغير الله أطلب حكماً بيني وبينكم ؟ وهو الذي أنزل إليكم القرآن مفصلاً ، وأهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ؛ فلا تكونن من الشاكين .

٥٥ - (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ، وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّثْمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ، وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ١٤١

ذكر الله تعالى في هذه الآية ما تفضل به على الناس من مختلف الفواكه ، وحض على أداء حقها من الزكاة يوم حصادها ، ونهى عن الإسراف فيها لأنه لا يحب المسرفين .

٥٦ - (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ١٥١

نهى الله عن قتل النفس إلا بالحق كما لو قتلت غيرها ، وهذا وباقي المنهيات التي ذكرها في هذه الآية وصاكم به ربكم لعلكم تتقون فلا تقتلون أحداً .

سورة الأعراف

٥٧ - (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ، فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ٨

حينما يسأل الله الأمم يوم القيامة عن سبب كفرهم ، يومئذ توزن أعمالهم بميزان العدل فمن رجحت حسناته على سيئاته ، فأولئك هم الفائزون .

٥٨ - (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) ٩

أما من خفت موازينه ، فأولئك هم الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون آياتنا فيكذبونها ، بدل أن يصدقوها .

٥٩ - (فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ، إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ) ٣٠

يشير الله في هذه الآية لوجود فريقين من الناس : فريق منكم هداهم الله للإيمان ، وفريق أوجب عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين موالى لهم من دون الله ، وهم يحسبون أنهم مهتدون .

٦٠ - (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ٣٣

قل يا محمد : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن (أى ما خفى) والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به حجة ناهضة ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أنه حق .

٦١ - (لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، وَتُودُوا أَنْ تُلْصِقُمْ الْجِنَّةَ أُورَثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ٤٣

لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، فاهتدينا بهداهم ، وناداهم الملائكة : هذه هي الجنة التي أورثكم الله إياها جزاء لكم على ما كنتم تعملون .

٦٢ - (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ ، فَأُذِنَ مُؤَدَّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ٤٤

وسأل أصحاب الجنة أصحاب النار قائلين لهم : إنا وجدنا ما وعدنا ربنا من النعم حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم به من العذاب حقاً ؟ فيقولون : نعم ، فينادى مناد بينهم قائلاً : إن لعنة الله على الظالمين .

٦٣ - (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ؟ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) ٦٣

يشير الله تعالى في هذه الآية إلى يوم القيامة من حيث يظهر تأويل القرآن بظهور الحوادث التي أشار إليها .

ويقول الذين نسوا القرآن : قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا ، لنا على ما فرطنا في جنب الله ، أو نرد فنعمل عملاً غير الذي كنا نعمل ، فهؤلاء هم الذين قد خسروا أنفسهم ، وبطل عنهم ما كانوا يفترونه من وجود شركاء لله .

٦٤ - (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) ٨٩

يا ربنا ؛ احكم بيننا وبين قومنا بالعدل فأنت خير الحاكمين .

٦٥ - (حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) ١٠٥

لما قصد موسى فرعون فقال له : يا فرعون ؛ إني رسول من رب العالمين ، جدير بي أن لا أقول على الله إلا الحق ، وقد جئتكم بحجة من ربكم فاترك بني إسرائيل يخرجوا معي من مصر .

٦٦ — (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . نَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١١٧ ، ١١٨

أوحى الله إلى موسى : أن ألق عصاك فإذا هي تبتلع ما يزودون من الإفك (وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه) .

فلما ابتلعت عصي موسى ذلك السحر العظيم ثبت الحق و بطل ما كان السحرة يعملونه .

٦٧ — (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) ١٣٦

إني سأصرف عن الأخذ بآياتي من يتكبرون بغير الحق ، ولا يؤمنون بآية يرونها ، ويؤثرون الجهل والضلال على سبيل الهدى والرشاد ، وإني لا أجازيهم بهذا الصرف إلا لتكذيبهم بآياتي وغفلتهم عما فيها من أصول الحياة الصحيحة .

٦٨ — (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) ١٥٩ .

من اليهود (قوم موسى) توجد أمة يهدون بالحق (أى يهدون الناس بكلمة الحق) و يعدلون : أى يحكمون بالعدل بينهم .

٦٩ — (أَلَمْ يُوْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالْدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟) ١٦٩

ألم يؤخذ على بنى إسرائيل (اليهود) عهد فى الكتاب (أى التوراة) أن لا يقولوا على الله إلا الحق وقرأوا ما فيه وفهموه ؟ والدار الآخرة خير للذين يتقون الله مما يأخذ هؤلاء أفلا تعقلون ؟ فتعلموا ذلك .

٧٠ — (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) ١٨١

توجد أمة من خلقنا من الأمم تهدى إلى طريق الحق وتحكم بينهم بالعدل .

سورة الأنفال

٧١ — (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) ٤

بعد أن وصف الله تعالى في الآيات السابقة صفات المؤمنين قال عنهم :
أولئك هم المؤمنون حقاً ، ويحق لهم منازل الكرامة عند ربهم ، وسيدنالون منه المغفرة
والرزق الكريم .

٧٢ — (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) ٤

ثم أشار الله تعالى إلى اختلافهم في قسمة الغنائم وقال : إن هذه الحالة تشبه
في كراهيتهم لها حالة كراهيتهم في خروجك للحرب في وقعة بدر .

٧٣ — (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) ٦

فإنهم كانوا يجادلونك في أمر طلبك الخروج للجهاد ، فكانوا كأنهم يساقون إلى الموت
وهم ينظرون .

٧٤ — (وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَاهِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) ٧

وإذ كر يا محمد : إذ يعدكم الله الظفر والنصر بإحدى الطائفتين وهما : إما جيش قريش
أو الإبل ، وأتم تودون أن تفوزوا بالطائفة غير ذات القوة ، والحال أن الله يريد أن يحق
الحق (أي يثبت) بكلماته التي أوحاها إلى رسوله ويقطع دابر الكافرين .

٧٥ — (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ٨

ليثبت الحق ، ويهدم الباطل ، ولو كره المجرمون .

٧٦ - (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ٣٢

لما أفلس الكفار من الكيد والدس للرسول قالوا : اللهم إن كان هذا الدين هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب شديد أليم .

سورة التوبة « براءة »

٧٧ - (أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، أَتَخْشَوْنَهُمْ ؟ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ١٣

هؤلاء تحاربون قوماً نقضوا أيمانهم وعهدهم ، وحاولوا إخراج الرسول من موطنه ، وهم بدءوكم العناد والقتال ، أتخافونهم ؟ والله أولى وأحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين .

٧٨ - (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) ٢٩

يأيتها الذين آمنوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إيماناً صحيحاً ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون بدین الحق (وهو الإسلام) الذي نسخ جميع الأديان السابقة : من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية التي تقررت عليهم وهم أدلة صاغرون .

٧٩ - (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ٣٣

هو الذي أرسل رسوله بالهداية ، وبدین الحق (الإسلام) ، ليجمعه يتغلب على جميع الأديان السابقة ، ولو كره المشركون الذين يشركون بالله ، أى يعبدون غير الله .

٨٠ - (لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَارِهُونَ) ٤٨

لقد طلبوا تشتيت أمرك يا محمد قبل اليوم ، ودبروا لك المكائد حتى جاءك الحق (النصر) وغلب دين الله الأديان السابقة وهم كارهون له .

٨١ - (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) . ٦٢

يخلف الكفار بالله ليرضوكم ، والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا يؤمنون به .
٨٢ - (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَْسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) ١٠٨

لما بنى (بنو عمرو بن عوف) مسجد قباء سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فيصلى فيه ، ففعل ، فخدمهم أخوالهم (بنو غنم بن عوف) فبنوا لهم مسجداً خاصاً وانتظروا أن يؤمهم فيه (أبو عامر الراهب) إذا قدم من الشام .
فنزات هذه الآية تشير إلى أنهم بنوه مضارةً للمسلمين ، وتفريقاً لوحدهم ، وترصدوا لحضور من حارب الله ورسوله (وهو أبو عامر الراهب) وليخلفن بانوه إنهم ما أرادوا إلا الخير ، وإنهم لكاذبون .

فلا تقم يا محمد فيه أبداً ، فإن مسجداً يؤسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، لأن فيه رجالاً يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين .

٨٣ - (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ) ١١١

تشير هذه الآية إلى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم في مقابل الجنة التي وعدهم بها ، وهم الذين يجاهدون في سبيل الله ، وينصرون دعوته ، فيقتلون ويقتلون ، وذلك هو الفوز العظيم ، الذي وعدهم الله به حقاً ، وهو مذكور في التوراة والإنجيل والقرآن .

سورة يونس

٨٤ — (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ، إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ،
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ
مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ٤

تشير هذه الآية إلى أن مرجع جميع الناس إلى الله كما وعدهم بذلك (وعدا حقا)
لأنك فيه ، فإن عادته قد جرت بأن يخلق الخلق ثم يعيده بعد إبادته وإهلاكه ليكافئ
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل ، وأما الذين كفروا فلهم شراب من ماء حار وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون .

٨٥ — (مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ٥
والله هو الذي جعل الشمس ذات ضياء ، وجعل القمر ذا نور ، وقدره منازل لتعرفوا
حساب الأوقات من السنين والأيام في معاملتكم وتصرفاتكم .
ما خلق الله هذه الكائنات العلوية إلا متلبسة بالحق مراعى فيها مقتضى الحكمة البالغة ،
وهو الذي يفصل هذه الآيات البينات لقوم يعلمون بأن هذا حق .

٨٦ — (فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، يَأْتِيهَا النَّاسُ
إِنَّمَا بِغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ٢٣

فلما نجاهم الله من الفرق في البحر عادوا إلى الفساد في الأرض بالباطل .
فيأتيها الناس إن بغيكم (ظلمكم) حائق بكم ، فتنفعة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ، ثم
إلينا ترجعون فننبئكم بما كنتم تعملون .

٨٧ — (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) ٣٠

هنالك (أى فى يوم الحشر) تختبر كل نفس ما قدمت من أعمالهم ، وردوا إلى الله مولاهم الحق ، وضل عنهم ما كانوا يفترون (يكذبون) .

٨٨ - (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟) ٣١

قل لهم يا محمد : من يرزقكم من السماء والأرض بما يحدث من تفاعل قواها ؟ أم من له السلطان على الأسماع والأبصار ؟ ومن الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله . قل لهم : إذا كنتم تعلمون ذلك أفلا تخافون بطشه بكم ؟ .

٨٩ - (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ، فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ؟) ٣٢

فذلكم الله ربكم الحق . هو المتولى لهذه الأمور المستحق للعبادة ، فأى شيء بعد الحق إلا الضلال ؟ فأن تصرفون عن الحق إلى الضلال ؟ .

٩٠ - (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ٣٣
أى كما حتمت كلمة الربوبية ، كذلك حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون .

٩١ - (قُلْ هَلْ مِنْ شَرِّكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ؟ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِأَحَقِّ أَفَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى ؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟) ٣٥

قل لهم يا محمد : هل من آلهتكم من يرشد الناس إلى الحق بإقامة الحجة ووضع المعالم للسالكين إلى الحق ؟ قل الله يرشد إلى الحق : أفمن يرشد إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يرشد ، وهو نفسه فى حاجة إلى أن يرشده مرشد ، فإلستم تحكمون بما تقتضى بداهة العقل بطلانه ؟ .

٩٢ - (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) ٣٦

وما يتبع أكثرهم إلا الظنون والأوهام ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ، والله عليم بما يفعلون .

٩٣ - (وَيَسْتَنْبِئُكَ أَهْلُ الْحَقِّ هُوَ ؟ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ٥٣

ويستخبرونك أهل الحق ماتعدنا به وما تدعيه من النبوة ؟ قل لهم : نعم والله إنه لحق وما أنتم بمعجزين .

٩٤ - (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَسَكُنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٥٥

ألا إن لله ملك ما في السموات والأرض ، ألا إن وعدها لله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

٩٥ - (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) ٧٦
فلما أتاهم الحق من عندنا على يد موسى وقد أيدناه بالمعجزات الباهرة قالوا : إن هذا لسحر مبين .

٩٦ - (قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا ؟ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) ٧٧

قال لهم موسى : أتقولون للحق لما جاءكم : إنه سحر ، أسحر هذا ؟ ولا يفلح الساحرون .

٩٧ - (وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ٨٢
ويثبت الله الحق بأوامره ولو كره المجرمون .

٩٨ - (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْتَرِينَ) ٩٤

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك من تواريح الأنبياء فاسأل الذين يقرءون الكتب السماوية التي أنزلت من قبلك لتعلم أن قد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بعد ذلك من الشاكين .

٩٩ - (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) ٩٦

إن الذين ثبتت عليهم كلمة ربك من أنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار ، لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل معجزة حتى يروا بأعينهم العذاب الأليم ، وإذا ذلك لا ينفعهم إيمانهم .

١٠٠ - (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ) ١٠٣

ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا بهم ، وكذلك كان حقاً علينا أن ننجي محمداً والذين آمنوا معه .

١٠١ - (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) ١٠٨

قل يا محمد : يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم (أى القرآن) فمن اهتدى به فإنما يهتدى لنفسه ، لأن نفعه عائد عليها دون سائر الناس ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، لأن التبعة والمسئولية واقعة عليها دون سائر الخلق ، وما أنا عليكم بوكيل .

[ملحوظة] : قوله تعالى : (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) ، نعدده نحن أصلاً عظيماً من أصول تربية النفس تربية حرة مطلقة ، لإشعاره إياها بأن كل أعمالها عائدة عليها ، وكل شر تفعله مرتد إليها لآثار لا اعتبار آخر في ذلك .

سورة هود

١٠٢ - (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) ١٧

أفمن كان مؤسساً دينه على بينة من ربه ، ويتبع هذا الدليل شاهد منه (أى القرآن) ومن قبله شاهد آخر يؤيده (وهو التوراة) إماماً لطائفة كثيرة من الناس ورحمة لهم . أولئك (إشارة إلى من كان على بينة من ربه) يؤمنون بالقرآن ، ومن يكفر به من الأحزاب بمكة فالنار موعده ، فلا تك فى شك من هذا القرآن إنه الحق من ربك ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به لقصر نظرهم ، ونصور إدراكهم .

١٠٣ — (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) ٤٥

ونادى نوح ربه قائلاً : رب إن ابني من أهلى وإن وعدك الحق ، فقد وعدت أن تنجى أهلى ، وأنت أحكم الحاكمين .

١٠٤ — (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) ٧٩
قال قوم لوط : لما عرض عليهم بناته ليجمى ضيوفه منهم : لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد (وهو إتيان الذكور دون الإناث) فلم يقبلوا .
١٠٥ — (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ فَوَأَدَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) ١٢٠

وكل نبأ نقصه عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، ولقد جاءك فى هذه القصص الأخيرة ما هو حق وموعظة وعبرة للمؤمنين .

سورة يوسف

١٠٦ — (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) ٥١

وقالت امرأة الملك : الآن ظهر الحق ، واعترفت بأنها راودت يوسف عن نفسه وإنه لمن الصادقين .

١٠٧ — (وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ

رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) . ١٠٠

ورفع يوسف أبويه على العرش (وهو سرير الملك) وخرت إخوانه سجداً له ، على عادتهم في تحية الملوك .

وقال يوسف : يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البادية بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخواني ، إن ربي لطيف التدبير لما يشاء ، عليم بوجوه الإصلاح ، حكيم يفعل ما يشاء على أقصى وجوه الأحكام .

سورة الرعد

١٠٨ — (الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) ١

هذه الآيات التي تتلى في هذه السورة ، وجميع الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك .

١٠٩ — (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْتَغِيَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ١٤

لله دعوة الحق ، إذ لا يصح أن يدعى سواه ، وأما الذين يدعونهم من دونه فلا يستجيبون دعاءهم بشئ . إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبتغى فاه ، وما هو ببالغهم ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال .

١١٠ — (أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاخْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ

اللهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٩)

أنزل الله من السماء ماء فسالَت وديان بقدرها ، أى بمقدارها الذى يعلم الله أنه يكفيها
فاحتمل السيل زبدًا طافياً على وجه الماء ، والمعادن التى توقدون عليها فى النار طلباً لأن
تصنعوا منها حايةً ومتاعاً كالأوانى زبدٌ كزبد الماء ، فأما هذا الزبد فيذهب غير مهم به
لحقارته ، وأما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة المعادن فيبقى فى الأرض ، كذلك يضرب الله
الأمثال لإيضاح الشبهات ، فجعل الله تعالى مثل الباطل كمثل الزبد يتكوى ثم يضمحل ،
وجعل مثل الحق كمثل الماء ، والمعادن التى تنفع الناس وتمكث فى الأرض .

١١١ — (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) ٢١

أفمن يعلم أن ما أوحى إليك من ربك الحق كمن هو أعمى لا يعلم ذلك ! إنما يتذكر
أولو العقول الذين يوفون بعهد الله ، ولا ينقضون الميثاق المعقود بينهم وبين الله .

سورة إبراهيم

١١٢ — (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) ١٩

ألم تر أن الله خلق السموات والأرض على أكل وجوه الحكمة ، فإن يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد غيركم ، وما ذلك على الله بأكبر .

١١٣ — (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي
وَلَوْ مَوَّاهُ أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ
مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢٢

وقال الشيطان لما فرغ من أسر هؤلاء الكافرين ، إن الله وعدكم وعداً لا مناص من
إنجازه ، ووعدتكم أنا فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من تسلط ، غير أنى دعوتكم فاستجبت لى

وأطعتموني فلا تلوُموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمغيثكم اليوم من عذاب الله ، ولا أُنتم بمغيثي منه ، فإني قد كفرت قبل أن أهبط إلى الأرض بالله الذي أشركتموني معه ، إن الظالمين لهم عذاب أليم .

سورة الحجر

- ١١٤ - (مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ) ٨
مانزل الملائكة إلا بالحق ، أى لحكمة ، ولو نزلنا الملائكة ما كانوا إذا مُمهلين .
- ١١٥ - (قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ) ٥٥
قالوا (ضيوف إبراهيم) له بشرناك بالحق اليقين ، فلا تكن من اليائسين .
- ١١٦ - (وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) ٦٤
أتيناك من عذابهم (أى عذاب قومك) بالحق اليقين ، وإنا لصادقون .
- ١١٧ - (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) . ٨٥
وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بالحق ، وإن الساعة حقٌّ
آتية لا ريب فيها ، فاعف العفو الجميل .

سورة النحل

- ١١٨ - (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ٣
خلق الله السموات والأرض بالحق ، أى أوجدهما على أقدار وصور وأوضاع وخواص مختلفة ، قدرها بحكمته تعالى ، وتنزه عما يشركونهم معه في الملك .
- ١١٩ - (وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) ٣٦

ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وأمرناه أن يقول لهم : اعبدوا الله واجتنبوا عبادة الطاغوت (الشيطان والأصنام) فمنهم من هداهم الله لدينه ، ومنهم من ثبتت عليه الضلالة؛ فسيروا في الأرض ، وانظروا ماذا أصاب المكذبين من نتائج كذبهم .

١٢٠ — (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى

وَبُشْرَى الْمُسْلِمِينَ) ١٠٢

قل يا محمد : نزل هذا القرآن روح القدس (جبريل) من الله متلبساً بالحق ، ليثبت الذين آمنوا في إيمانهم ، وهدى وبشرى للمسلمين .

سورة الإسراء

١٢١ — (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا

الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَذْمِيرًا) ١٦

وإذا أردنا أن نهلك قرية كثرنا متنعميها ففسقوا في ضلالتهم ، واستمتموا في الجري وراء أهوائهم ، فوجبت عليها كلمة ربك فدمرها تدميراً .

١٢٢ — (وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا) ٢٦

وأعط ذا القربة حقه والمساكين والمسافر من مالك ، فإن لهم حقوقاً أوجبها الشرع على كل مسلم ، ولكن لا تبذر في مالك ، فإن المبذرين إخوان الشياطين في الشر ، وقد كفر الشيطان بربه فلا تقلدوه كما جاء في الآية التي بعدها .

١٢٣ — (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ

جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) ٣٣

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا إذا كانت تستحق القتل ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه حقاً في طلب القصاص من القاتل فلا يحملنه الحزن على قريبه أن يمثل بقاتله ويقتل معه سواء فإنه منصور على أي حال .

١٢٤ — (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوًّا) ٨١

وقل يا محمد : جاء الحق (الإسلام) وذهب الباطل (الكفر) إن الباطل كان مضحلاً زهوقاً .

وقال ابن مسعود : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول البيت الحرام ثلثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ١٢٥ - (وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ١٠٥ وقد أنزلنا هذا القرآن متلبساً بالحق ، وما نزل إلا متلبساً بالحق ، وما أرسلناك يا محمد إلا بشيراً ونذيراً ، تبشر المؤمنين بالجنة ونعيمها ، وتنذر الكافرين بالنار وعذابها .

سورة الكهف

١٢٦ - (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) ١٣

نحن نروي لك خبر أصحاب الكهف بالحق : إنهم كانوا فتياناً آمنوا بربهم وزدناهم هدى .

١٢٧ - (وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرَبِّبَ فِيهَا) ٢١

وكما أنعمناهم وأيقظناهم أطلعنا بعض الناس على حالهم ليعلموا أن وعد الله بالبعث بعد الموت حق ، وأن الساعة (يوم القيامة) آتية لا شك فيها .

١٢٨ - (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) ٢٩

وقل لهم : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر . است اضطار أحداً لترك دينه . إنا هيأنا للظالمين (الكفار) ناراً أحاط بهم سرادقها (فسطاطها) وإن طلبوا الاستغاثة من العطش يغاثوا بماء كالمهل (كدردى الزيت) في السكدورة والقذر يشوي الوجوه ، بئس الشراب وساءت جهنم متكأً .

١٢٩ - (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ، هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) ٤٤

هنالك (في تلك الحال) يكون السلطان لله الحق وهو خير ثواباً (أى أحسن ثواباً مكافأةً لأوليائه) وأحسن عاقبة .

١٣٠ - (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَیُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ إِيْذِحْضُوا بِهِ الْحَقَّ ، وَاتَّخِذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا) ٥٦

وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات ليهدموا الحق ، واتخذوا آياتي والذي أنذروا به هزواً .

١٣١ - (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) ٩٨

قال : هذا رحمة من ربي على عباده ، فإذا جاء وعد الله (بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة) جعله أرضاً مستويةً ، وكان وعد ربي حقاً كائناً لاحتالة .

سورة مريم

١٣٢ - (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) ٣٤

ذلك عيسى ابن مريم هو (أى الكلام الذي سبق عنه في الآيات السابقة لهذه الآية) قوله الذي فيه يتنازعون ويشكون .

سورة طه

١٣٣ - (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ، وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) ١١٤

إن الله سبحانه وتعالى ' هو الملك الحق الذي لا يتعالى عليه شيء ، فلا تعجل يا محمد بالقرآن من قبل أن يصل إليك وحيه ، واسأل الله أن يزيدك علماً ، وقل : رب زدني علماً .

سورة الأنبياء

١٣٤ — (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) ١٧

بل نرمى بالحق على الباطل فيمحقه ، فإذا هو ذاهب ، ولكم الويل مما تصفونه به .

١٣٥ — (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ) ٢٤

أم اتخذوا لهم من دون الله آلهة ؟ قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم آلهة .

فوقعجزتم عن إقامة الدليل فأنتم ضالون ، لأن هذا القرآن فيه ذكر المعاصرين لي ، وذكر السابقين من الأمم ، فانظروا ، فهل تجدون في الكتب السماوية غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله ؟ .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق فهم معرضون عنه .

١٣٦ — (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) ٥٥

قالوا لإبراهيم عليه السلام لما عارضهم في عبادة التماثيل : أجيئنا نقول هذا أم أنت من الهازلين ؟ .

١٣٧ — (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ، فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يَا وَيْلَتَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) ٩٧

واقترب يوم القيامة ، فإذا أبصار الذين كفروا ناظرة لانطفاف حيرة ويقولون :

يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا اليوم ، بل كنا ظالمين لأنفسنا .

١٣٨ — (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) ١١٢

قال رسول الله : رب اقض بالحق (بالعدل) بيننا ، وربنا العظيم الرحمة ، المستعان على

ما تصفون من الحال بأن الغلبة ستكون لكم .

سورة الحج

١٣٩ — (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ٦

بعد أن وصف الله حالة خلق الإنسان ، وحالة الأرض ، قال : ذلك بأن الله هو الحق الثابت الذي تتحقق بوجوده الأشياء ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير .

١٤٠ — (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ، وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) ١٨

ألم تر أن الله يسخر الأشياء بقدرته ، ولا يستعصى على تديره من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والجميع يسجد له ، وكثير من الناس يطيعه أيضاً ، ولا يتأبى على تديره ، وكثير منهم وجب عليه العذاب لعصيانه .

ومن يهينه الله فما له من مكرم يكرمه بالسعادة ، وكل هذا بتقدير الله ، إنه يفعل ما يشاء على مقتضى حكمته وعلمه .

١٤١ — الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) ٤٠
رخص الله بالقتال للذين يقاتلهم المشركون ، لأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير (انظر الآية السابقة) .

فقد خرجوا من ديارهم بغير حق إلا من أجل قولهم : ربنا الله وحده لا شريك له .
١٤٢ — (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُكَ الدِّينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ٥٤

ليتحقق العارفون أن هذا القرآن هو الحق من ربنا فيؤمنوا به وتخضع له قلوبهم ، وإن الله ليهدي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم .

١٤٣ — (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٦٢

ذلك لأن الله هو الحق الواجب عبادته لذاته ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العليّ على الأشياء ، الكبير على أن يكون له شريك .

١٤٤ — (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) ٧٤

إنهم ما قدروا الله حق تقديره ، إن الله لقوى عزيز صاحب العظمة والعزة والقوة .

١٤٥ — (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) ٧٨

وجاهدوا من أجل الله أعداء دينه جهاداً حقاً ، هو اختاركم من بين الأمم وحملكم أعباء دينه ، وما جعل عليكم من ضيق بتكليفكم ما يصعب القيام به ، بل جعله يسراً لئلا يصرف فيه .

سورة المؤمنون

١٤٦ — (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ لَنَجْعَلَنَّهُمْ غُثَاءً ، فَبِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) ٤١

فأخذتهم الصيحة (وهي صوت ينبعث من السماء يصعق منه كل من سمعه لشدة هوله) متلبسة بالحق ، بعيدة عن الظلم ، فجعلناهم غثاء (كورق الشجر البالي أو كالزبد) فبعداً للظالمين .

١٤٧ — (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٦٢

ولا نكلف نفساً إلا على قدر طاقتها ، وعندنا كتاب أعمالهم ينطق عليهم ، أى يشهد عليهم بالحق ، وهم لا يظلمون .

١٤٨ - (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ، بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) . ٧١

أم يقولون : قد أصابه (أى أصاب محمداً) الجنون ، بل جاءهم بالحق وهو القرآن ، وأكثَرهم كارهون للحق ، لأنه يخالف أهواءهم .

١٤٩ - (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ أَفْسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) ٧٢

ولو اتبع الحق ميولهم المنبعثة عن شهواتهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، لأن أمر الكون لا يقوم على الباطل ، وقد أتيناهم بكتاب يعظمهم فهم عنه معرضون .

١٥٠ - (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) ٩١

بل أتيناهم بالحق من : التوحيد ، والوعد بالبعث ، والحساب ، والثواب ، وإنهم لكاذبون في إنكارهم ذلك كله .

١٥١ - (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) . ١١٧

فتعالى الله وتنزه عن أن يخلق شيئاً أمياً وتلهيماً . هو الملك الحق الذى لا يصدر منه إلا الحق رب العرش الكريم .

سورة النور

١٥٢ - (يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) ٢٥

يومئذ يوفيههم الله جزاءهم المستحق لهم ، ويعلمون أن الله هو الواجب الوجود ، الظاهر عدله فى حكمه .

١٥٣ - (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) ٤٩

وإن يكن لهم الحق يأتوا إلى رسول الله منقادين .

سورة الفرقان

١٥٤ — (لَلَّذِي يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) ٢٦

للكل المطلق يوم القيامة للرحمن ، وهو يوم شديد على الكافرين ، فيه يعص الظالم على يديه ندمًا وتحسرًا ويقول : ياليتني اتخذت مع الرسول طريقًا لنجاني (انظر الآية التي بعدها) .

١٥٥ — (وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) ٣٣
فلا يجيئك هؤلاء الكفار باقتراح يكون مثلاً في السخافة ، إلا رددنا عليهم بالحق الدامغ ، وبأحسن بيان .

١٥٦ — (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) ٦٨

بعد أن وصف الله عباده المؤمنين في الآيات السابقة قال عنهم أيضًا : وهم الذين لا يعبدون مع ربهم إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، ولا يرتكبون إثم الزنا . أما من يفعل هذه الآثام فسيلقى جزاء إثمه .

سورة النمل

١٥٧ — (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) ٧٩

بعد أن بين الله لبني إسرائيل أن هذا القرآن يروى لهم أكثر الذي هم فيه يختلفون وأنه لهدى ورحمة للمؤمنين قال :

فتوكل على الله (يا محمد) إنك على الحق الواضح .

سورة القصص

١٥٨ — (نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) . ٣

نقرأ عليك (يا محمد) على لسان جبريل من أخبار موسى وفرعون ، ونحن محققون فيما نذكره لقوم يؤمنون .

١٥٩ — (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ١٣

لما قالت أخت موسى لآل فرعون : هل أدلكم على امرأة تقوم بأمره ، وتنصح له في خدمته ، وقبلوا ، أرشدتهم إلى أمه ، فلما قدم إليها قبل ثديها .

وبذلك يقول الله تعالى : أرجعناه إلى أمه كي تسر وتقر عينها برؤيته ، ولا تحزن ، ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك .

١٦٠ — (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) ٢٩

لما قال فرعون لقومه : ما أعرف لكم من إله غيري ، وطلب من (هامان) أن يبنى له قصرًا عاليًا قائلاً له : لعلني أصعد إلى إله موسى فأقائله ، وإني لأظنه من الكاذبين .

لما قال فرعون ذلك استهزاء من موسى ، واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق إذ ادعى الألوهية ، ورفع نفسه إلى مستوى ليس لأحد من العالمين ، ظناً أنهم لا يرجعون إلى الله لحاسبتهم ، قال تعالى :

(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ) فأقميناهم في البحر حين تعبوا موسى وبنى إسرائيل لمنهم من الخروج من مصر .

فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين ؟ .

١٦١ — (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِزِّنَا قَالُوا كَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى)

أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ؟ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨)

فلما جاء قومك الحق من عندنا قالوا : هلا أعطى محمد مثل ما أعطى موسى من المعجزات ؟ أو لم يكفروا بما جاء به موسى من تلك الخوارق ؟ وقالوا عنه وعن أخيه هارون : إنهما ساحران تعاونا على الشعوذة وإنا بكل منهما كافرون .

١٦٢ - (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) ٥٣

وإذا قرأ القرآن على النصارى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله «و» هم به يؤمنون) قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبل إنزاله مسلمين .

وقال تعالى : فزدناهم به هدى وإيقانا (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) على تكاليف الإيمانين ، وهم يدفعون المصيبة بالطاعة (ويدبرون بالحسنة السيئة) .

(ومما رزقناهم ينفقون) فلا يحرمون ذوى الأرحام والفقراء من فضل أموالهم .

١٦٣ - (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) ٦٣

يوم ينادى الله ويقول للكفار : أين شركائى الذين كنتم تزعمون ؟ فيجيب الذين ثبت عليهم قول ربك بالعذاب قائلين :

يا ربنا ؛ هؤلاء الذين أضللناهم لم نفعل معهم إلا أننا دعوناهم إلى ما نحن فيه فضلوا مثلنا باختيارهم ، إنا نبرأ إليك منهم ، فما كانوا يعبدوننا فى الحقيقة ، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم .

١٦٤ - (وَتَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ، فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ

الْحَقَّ لِلَّهِ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) ٧٥

أخرجنا من كل أمة شهيداً يشهد عليهم ، هو نبينهم ، وقلنا لهم : هاتوا برهانكم على

صححة ضلالكم ، فلم يهتدوا لدلائل ، وعلموا أن الحق لله في الألوهية لا يشاركه فيها أحد ، وغاب عنهم ما كانوا يخلقونه في الدنيا من تلك الآلهة الخيالية الصورية .

سورة العنكبوت

١٦٥ — (خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) ٥٤

خلق الله السموات والأرض مريداً بها الحق لا الباطل ولا العبث ، إن في ذلك لآية للمؤمنين الذين يؤمنون بكتاب الله .

١٦٦ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ؟) ٦٨

ومن أشد ظلماً ممن افترى على الله كذباً ، بأن زعم أن له شريكاً أو كذب بالحق لما جاءه (أى الرسول أو الكتاب) .

أليس في جهنم مكان ينزل فيه الكافرون بئارها وعذابها ؟ .

سورة الروم

١٦٧ — (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) ٨

أولم يتفكروا في أنفسهم أن الله ما خلق السموات والأرض وما بينهما من العوالم الظاهرة لنا والمحجوبة عنا إلا قاصداً بها الحق لا الباطل ولا العبث ، وإلى موعد مقرر لها ، ثم تتلاشى ولكن كثيراً من الناس بقاء ربهم يكفرون أى يحدون وينكرون .

١٦٨ — (وَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) ٤٧

ولقد أرسلنا من قبلك يا محمد رسلاً إلى قومهم فجاءوا بالآيات الواضحات ، والمعجزات
للباهرات ، فانتقمنا من الذين أذنبوا ، ونصرنا المؤمنين .
وكان ذلك حقاً علينا نحوهم لصبرهم وحسن بلائهم .

١٦٩ — (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) ٦٠

فاصبر يا محمد واعلم أن وعد الله حق ، ولا يحملنك على الخفة والقلق تعنت الذين
لا يمتقدون في كتبنا .

سورة لقمان

١٧٠ — (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا
وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ٨ و ٩

إن الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله ، وعملوا أعمالاً صالحةً ، لهم جنات النعيم ، خالدين
فيها ، وقد وعدهم الله بذلك وعداً حقاً فهو العزيز الحكيم .

١٧١ — (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ

الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٣٠

سبق تفسير هذه الآية في سورة الحج رقم ١٤٣ فلا داعي لتكرارها .

١٧٢ — (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ

بِاللَّهِ الْغُرُورُ) ٣٣

بعد أن قال الله تعالى : يا أيها الناس خافوا الله واخشوا يوماً لا يغني والد عن ولده ،
ولا ولد عن والده شيئاً .

قال لهم : اعلموا أن وعد الله حق ، فلا تضلنكم الحياة الدنيا ، ولا يضلنكم الشيطان

الكثير التضليل بالناس .

سورة السجدة

١٧٣ — (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ

نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) ٣

هل يقول الكفار : إن القرآن اختلقه محمد ؟ حاشا لله ، بل هو الحق الذى لا شك فيه أنزله رب العالمين .

لتنذر قوما ما أرسلنا إليهم من نذير قبلك (إلا كانوا به يكذبون) لعلمهم بهتدون .
 ١٧٤ — (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ١٣

يقول الله تعالى : ولو شئنا لمنحنا كل نفس هداها ، ولكن ثبت القول منى لحكمة أعلمها بأن أملاً جهنم من الجن والإنس معاً ٤

سورة الأحزاب

١٧٥ — (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) ٤

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه (بطنه) كما كانت تدعيه العرب ، وما جعل زوجاتكم اللاتي ترمونهن بالظهار (وهو قول أحدكم لزوجته أنت على كظهر أمي) فلا يحل له أن يقربها ، كما لا يحل له أن يقرب أمه ، أمهاتكم (أى كالأمهات في تحريمها بذلك) وما جعل أَدْعِيَاءَكُمْ ، الدعى من يدعى لغير أبيه ابناً له أبناءكم ، ذلك قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدي إلى سبيل الحق لكن ادعوههم لأبائهم ، فإن ذلك أعدل عند الله ، فإن لم تعرفوا آباءهم فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم فيه .

١٧٦ — (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) . ٣٧

لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم (زينب بنت جحش) ابنة عمته ، وزوجة (زيد ابن حارثة) الذى أعتقه وتبناه ، ووقعت في نفسه قال : سبحان الله مقلب القلوب والأبصار . فذكرت زينب هذا زوجها زيد ، فكلّم النبي صلى الله عليه وسلم في طلاقها ،

محتجاً بأنها تكبر عليه لشرف نسبها ، فتها عن تطليقها ، وقال له : أمسك عليك زوجك ، فزل عليه قوله تعالى : وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعمت عليه بالعنق ، احتفظ بزواجك وخاف الله ، وأنت تخفى في نفسك من نية الزوج بها لو طلقها زيد ، ما الله مظهره ومبديه ، وتخشى تعيير الناس إياك به ، والله أحق أن تخشاه .

١٧٧ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءَهُ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ، وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) ٥٣

يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يدعوكم إلى طعام ، وإن أذن لكم لغير طعام فلا تتعمدوا المكث حتى ينضج الطعام ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا أكلتم فتفرقوا ، ولا تدخلوا طلباً للالتئاس بحديث بعضهم بعضاً ، أو بحديث أهل البيت بالتسمع والإنصات له ، إن ذلكم كان يؤلم النبي صلى الله عليه وسلم فيخجل أن ينهاكم عنه ، والله لا يبالي أن يقول الحق تأديباً لخلقه ، وهدايتهم إلى الفضائل والآداب الإسلامية .

سورة سبأ

١٧٨ — (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ، وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) ٦

إن الذين منحوا نعمة العلم يرون أن ما أوحاه الله إليك (يا محمد) هو الحق ، ويهدي إلى طريق العزيز الحميد .

١٧٩ — (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٢٣

بعد أن قال الله ، قل يا محمد : ادعوا أيها المشركون أولئك الذين ادعيتهم أنهم آلهة من دون الله ليجلبوا إليكم نفعاً ، أو يدفعوا عنكم ضراً :

إنهم لا يملكون وزن ذرة من الهباء في السموات والأرض ، وما لهم فيها من شركة
وما لله منهم من معين .

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن الله له أن يشفع عنده حتى إذا كشف القزع عن
قلوب الشافعين ، والمشفوع لهم بصدور الإذن . قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم
في الشفاعة ؟

قالوا : قال الحق (وهو الإذن بالشفاعة) لمن ارتضى (وهم المؤمنون) وهو العلي الكبير .

١٨٠ - (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) ٢٦

قل يجمع الله بيننا يوم القيامة ، ثم يحكم بالحق ، وهو الحاكم العليم .

١٨١ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّا لَنَرَاهُ إِذَا سَحَرَ مُبِينٌ) ٤٣

وقال الذين كفروا للحق (أى الأمر بالنبوة أو الإسلام أو القرآن) ما هذا إلا سحر

مبين ، أو خداع ظاهر .

١٨٢ - (قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ) ٤٨

قل إن ربي يلقى بالحق على من يصطفيه من عباده ، وهو علام الغيب لا يطلع على

غيبه أحد .

١٨٣ - (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) ٤٩

قل : جاء الحق (أى الإسلام) وهلك الباطل (وهو الشرك بالله) والمالِك

لا يبدى ولا يعيد .

سورة فاطر

١٨٤ - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ

بِاللَّهِ الْغُرُورُ) ٥

يأيها الناس إن وعد الله بالحشر والجزاء حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فيذهلكم التمتع

بها عن طلب الآخرة ، ولا يغرنكم الشيطان بأن يمنحكم بالمغفرة مع الإصرار على المعصية .

١٨٥ - (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) ٢٤

إنا أرسلناك يا محمد إرسالاً مصحوباً بالحق ، بشيراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافرين ، وما من أمة إلا مضى فيها نذير .

١٨٦ - (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) . ٣١

والذي أوحينا إليك يا محمد من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه ، إن الله بعباده لخبير بصير .

سورة يس

١٨٧ - (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ٧

لقد وجب القول على أكثرهم يعني قوله تعالى : (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فهم لا يؤمنون .

١٨٨ - (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ . لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) ٦٩ ، ٧٠

إن هذا القرآن كتاب سماوى من عند الله مبين (ظاهر) لينذر من كان حياً ، حياة عقلية وأدبية ، ويوجب كلمة العذاب على الكافرين .

سورة الصافات

١٨٩ - (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاتِقُونَ) ٣١

فوجب علينا جميعاً كلمة العذاب وإنا لذاتقون .

١٩٠ - (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) ٣٧

يقول المشركون : أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، فيرد الله عليهم بقوله :

إن محمداً ليس بشاعر ، ولا مجنون ، بل رسول جاء بالحق ، وآمن بمن قبله من المرسلين .

سورة ص

١٩١ - (إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ) ١٤

إن كل من الأقوام السابقة إلا كذبت الرسل فثبت عليهم العقاب .

١٩٢ - (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَنِي بَعْضُنَا عَلَى

بَعْضٍ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) ٢٢

لما دخلت الملائكة على داود عليه السلام خاف منهم ، إذ هبطوا إليه من فوقه ،

فقالوا له :

لا تخف نحن خصمان بنى بعضنا على بعض (وذكروا له قصة النعاج) فاحكم بيننا

بالحق ، ولا تحد عنه ، واهدنا إلى الطريق الأقوم .

١٩٣ - (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ،

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ٢٦

قال الله تعالى لداود عليه السلام : إنا جعلناك خليفة لمن قبلك من الأنبياء ، فأقم

حكومتك على سنن العدل والحق ، ولا تتبع هواك فيضلك عن سبيل الحق .

١٩٤ - (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) ٦٤

يقول الله تعالى : إن ذلك الذي حكيناه عنهم (في الآيات السابقة) تخاصم أهل النار

لحق ، لاتصوير الخيال .

١٩٥ - (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ) ٨٤

يقول الله تعالى : الحق قسمى ويعينى ، ولا أقول إلا الحق .

سورة الزمر

١٩٦ - (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) ٢

إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب متلبساً بالحق ، أو بسبب إظهار الحق وإتيانه ،

فاعبد الله محضاً له الدين ، أى جاعله محضاً لا شائبة فيه من شرك ، أو ادعاء باطل ، أو غير ذلك .

١٩٧ — (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ، وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) ٥

خلق الله السموات والأرض متلبسة بالحق ، يلف الليل على النهار ، ويلف النهار على الليل ، لف اللباس للابس ، أو يغييه كما يغيى الملفوف باللفافة ، وسخر الشمس والقمر لمنفعة الخلق ، كل منهما يجرى لأجل مقدر ، وهو العزيز الغفار .

١٩٨ — (أَقْنِ حَقِّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ؟) ١٩

أفأنت تنقذ من فى النار ، وحق عليه كلمة العذاب وأنتى فيها ؟

١٩٩ — (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمْ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) ٤١

إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب (القرآن) متلبساً بالحق ، فمن اهتدى فنفعه ذلك عائد لنفسه ، ومن ضلَّ فإنما ضرر ضلاله مردود إليه ، وما أنت بموكل إليك أمرهم ، فإنما أرسلناك لتنذرهم وترشدهم ، لا أن تضمن إيمانهم وهدايتهم .

٢٠٠ — (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ٦٧

ماقدر هؤلاء المشركون الله تعالى حق تقديره إذ تخيلوا له شركاء ، والأرض ومن عليها مقبوضة فى يده ، والسموات على أبعادها غير المتناهية مطويات فى يمينه ، فتزبها له عما يشركون .

٢٠١ — (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، وَجِىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٦٩

وأشرقت الأرض بنور ربها ، أى بعدل ربها ، ووضع كتاب الحساب ، وجىء
بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليها من الملائكة والناس ، وقضى الله بينهم بالعدل
وهم لا يظلمون .

ووفيت كل نفس عملها وهو أعلم بما يفعلون (ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم
بما يفعلون) .

٢٠٢ — (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا بَلَىٰ ، وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
الكَافِرِينَ) ٧١

وسيق الذين كفروا إلى النار جماعات ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، سألمهم خزنتها
تقريباً لهم : ألم يأتكم رسل منكم يقرءون عليكم كتاب الله وينذرونكم هذا اليوم ؟
فيقولوا : نعم ، ولكن (حق) وجبت كلمة العذاب على الكافرين ، فلم يكن لنا محيص
من قضاء الله وقدره .

٢٠٣ — (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٧٥

وترى الملائكة محذقين بالعرش ، ينزهون الله عن النقص ويقدمونه ، حامدين إياه
على أن جلهم مستغرقون في صفات الحق ، وقضى الله بين الخلائق ، فأدخل بعضهم النار
وبعضهم الجنة .

وقيل : أى وقال المؤمنون : الحمد لله على قضائه العدل ، وحكمه الفصل .

سورة المؤمن

٢٠٤ — (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ
بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُوا بِالنَّبَاتِ لِيُبْدَحُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ
كَانَ عِقَابِ) ٥

كذبت قبلهم أمم : قوم نوح والأحزاب من بعدهم ، وهمت كل منها برسولها
لتهلكه ، وجادلوا بالباطل ليبطلوا آية الحق فأهلكهم فانظروا : كيف كان عقابي لهم ؟

٢٠٥ - (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) ٦

وكذلك (حقّت) وجبت كلمة ربك بالاعذاب على الذين كفروا أنهم من أصحاب النار .

٢٠٦ - (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ

هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ٢٠

والله يقضى بالحق ، والذين يعبدونهم من دونه لا يقضون بشيء ، وهو السميع البصير .

٢٠٧ - (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ٢٥

بعد أن ذكر الله لبنى إسرائيل أنه أرسل إليهم موسى بالمعجزات والآيات البينات ،
وعدها تسع ، وعززه بسلطان مبين ، إلى فرعون ووزيره (هامان) ورأس الكافرين
(فارون) فقالوا : هذا ساحر كذاب .

فقال تعالى : فلما جاءهم بالحق من عندنا كبر عليهم أن يقبلوه ، وقالوا أعيذوا قتل أبناء
الذين آمنوا معه ، واستبقوا نساءهم ، وما كيد الكافرين إلا في ضياع .

وقال فرعون اتركوني أقتل موسى ، وليناد ربه ليعينه إن كان صادقاً في دعواه ،
إلى آخر ما ذكره في الآية ٢٦ التي بعدها

٢٠٨ - (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) ٥٥

فاصبر يا محمد إن وعد الله بنصرك حق ، واستغفر لذنبك ، ونزه ربك عن النقص ،
حامداً إياه في الصباح والمساء .

واعلم بأن الذين يجادلون في آيات الله بالباطل ليدحضوها ، وليس لديهم حجة على
ما يقولون ، فما ذلك منهم إلا تكبراً عن قبول الحق ، فهاهم يبالغى أربهم منه ؛ فالتجئ
إلى الله إنه هو السميع لأقوالهم ، البصير بأفعالهم .

٢٠٩ - (ذَاكُم بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ

تَفْرَحُونَ) ٧٥

يقول الله تعالى : إن الذين كذبوا بالقرآن ، وبكل كتاب أنزل على رسول ، فسوف يعرفون جزاء تكذيبهم حينما تكون الأغلال والسلاسل في رقابهم ، يسحبون في الماء البالغ أشد درجات الحرارة ثم يحرقون في النار .

ثم يقال لهم : أين ما كنتم تشركون بهم من دون الله ؟ فيقولوا : غابوا عنا ، بل تبين لنا أننا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم ؛ فبمثل هذا الضلال يضل الله الكافرين ، وذلكم الإضلال بسبب ما كنتم تبطلون ، وتتكبرون في الأرض بغير الحق ، بل بالشرك والعافيان وبسبب ما كنتم تتوسعون في الفرح والحبور .

فادخلوا أبواب جهنم السبعة خالدين فيها ، فبئست الدار ، دار إقامة المتكبرين .

٢١٠ - (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعِصَّ الْذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ

فَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ) ٧٧

فاصبر يا محمد إن وعد الله بهلاك الكافرين حق ، فإما نربيك بعض الذي نعدهم من العذاب ، أو نتوفيك قبل أن تراه ، فهم إلينا يرجعون ، فنجازيهم بما كانوا يعملون .

٢١١ - (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ

نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ) ٧٨

ولقد أرسلنا إلى الأمم الماضية رسلاً من قبلك . قيل : مائة وأربعة وعشرون ألف رسول . فمنهم من روينالك أخباره ، ومنهم من لم نرولك عنه شيئاً ؛ وما كان لرسول أن ياتي بآية إلا بإذن الله ؛ فإذا جاء أمر الله بقضى بنجاة الحق ، وإهلاك المبطل .

سورة فصلت

٢١٢ — (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) ١٥
فأما قوم عاد فتكبروا على أهل الأرض بغير استحقاق ، وقالوا : من أشد منا قوة اغتراراً بأنفسهم ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم أشد منهم قوة ، وقادر على أن يهلكهم ، كما أهلك من كانوا قبلهم ، وكانوا بآيات الله يكفرون .

٢١٣ — (وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) ٢٥
وأوجدنا لهم أصحاباً من الشياطين فزينوا لهم أمر دينهم وأخراهم بالباطل ، ووجبت عليهم كلمة العذاب في جملة أُمم قد مضت من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين .
٢١٤ — (سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ٥٣

ستريهم دلائلنا بصحته (أى بصحة القرآن ونزوله بالحق) في نواحي الأرض ، وفي أنفسهم ، وفي مجتمعاتهم حتى يتبين لهم أنه حق من عند الله ، أولم يكف أن ربك مطلع على كل شيء .

سورة الشورى

٢١٥ — (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) ١٧

الله هو الذي أنزل الكتاب (القرآن) بالحق ، وأنزل الشرع أو العدل الذي هو بمثابة الميزان توزن به الحقوق ، فواظب على العمل به قبل أن يفاجئك يوم القيامة ، فاعلمها قريب إتيانها .

٢١٦ — (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) ١٨

يستعجل بها (قيام الساعة) الذين لا يؤمنون بها ، والمؤمنون بها خائفون منها ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارون في الساعة أى يجادلون فيها لنى ضلال بعيد .

٢١٧ — (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَدِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحَقِّقِ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ٢٤

أم يقولون : اختلق على الله كذباً ، ومن يكذب على الله كان حقيقاً أن يغلط الله قلبه عن الفهم ، ويمحو الله الباطل ، ويحقق الحق ، أى يوجهه ، إنه عليم بما يحتاج في صدور الناس من المواجهس والنوايا الرديئة .

٢١٨ — (وَأَمَّنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٤١ — ٤٢

ولمن انتصر لنفسه بعد ما ظلم ، فأولئك لا سبيل إلى معانبتهم أو معاقبتهم ، إنما العتاب أو العقاب على الذين يظلمون الناس ، ويفسدون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم .

سورة الزخرف

٢١٩ — (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ . وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) ٢٩ — ٣٠

بل متعت هؤلاء المعاصرين لك يا محمد ، ومتعت آباءهم قبلهم حتى جاءهم الحق أى كلمة التوحيد ، ورسول مبين للتوحيد بالحجج والآيات .

ولما جاءهم الحق قالوا : هذا في خدع الناس يشبه السحر وإنا به كافرون .

٢٢٠ — (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَاحِقٌ كَارِهُونَ) ٧٨

وقال لهم الله : لقد آتيناكم بالحق فأرسلنا لكم الرسل وأنزلنا عليكم الكتب ، ولكن أكثركم للحق كارهون .

٢٢١ - (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشُّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ٨٦

ولا تملك الآلهة التي يدعونها من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد.

سورة الدخان

٢٢٢ - (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٣٩

وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

سورة الجاثية

٢٢٣ - (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَاتَّجَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٢

وخلق الله السموات والأرض أى الوجود متلبساً بالحق ليدل به على قدرته ، ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

٢٢٤ - (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ٢٩

هذا كتابنا الذى أمرنا بتسجيله عليكم ، ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستكتب ما كنتم تعملون .

٢٢٥ - (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَأَرَبُّ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ) ٣٢

وإذا قيل لهم : إن وعد الله حق ، أى كائن لا محالة ، وإن الساعة آتية لا شك فيها قلتم : لا نعرف ما الساعة ؟ وما نقول ذلك إلا من قبيل الظن ، وما نحن بمستيقنين ذلك ، أى ليس لدينا علم يقين .

سورة الاحقاف

٢٢٦ — (مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ) ٣

وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من العوالم إلا متلبسة بالحق وبتقدير موعدها ينتهى فيه ، ولكن الذين كفروا معرضون عما أنذروا بذلك .

٢٢٧ — (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ٧

وإذا قرئت عليهم آياتنا واضحات قال الذين كفروا في شأن الحق لما جاءهم : أى آيات القرآن : هذا سحر ظاهر ، أى أنها فى خدع النفوس كالسحر المبين .

٢٢٨ — (وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيكَ أَفَ لَكُمَا أُتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبَلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ١٧

والذى قال لوالديه : أف لكما (قيل : هو عبد الرحمن بن أبى بكر قبل إسلامه) ، أتعداننى أن أخرج من القبر إلى البعث بعد أن يكون قد تحلل جسمى ، وقد مضت أهل القرون من قبلى ، وهما يستعجلان الله قائلين له : الويل والهلاك لك ! آمن ، واعلم بأن وعد الله بإزالة العذاب على الكافرين حق ، فيقول : ما هذا إلا أساطير الأولين .

٢٢٩ — (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) ١٨

أولئك الذين (حق عليهم) رجبت عليهم كلمة العذاب فى جملة أُمم قد مضت من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين .

٢٣٠ — (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أُوذِهْتُمُ طَبِيبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمُ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْشِقُونَ) ٢٠

ويوم يعرض الذين كفروا على النار ، أى يعذبون بها ، وقيل : تعرض النار عليهم ، (فقلب للمبالغة) . فيقال لهم : ضيعتم لذائذكم واستفدتموها في حياتكم الدنيا ، وتمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون والذل بسبب تكبركم بغير حق ، وبسبب خروجكم عن الحدود .
٢٣١ — (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) ٣٠

قالوا : (الجن) إلى قومهم : إننا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً للكتب التى تقدمته يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم .

٢٣٢ — (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) ٣٤

ويوم تعرض النار على الذين كفروا ويقال لهم : أليس هذا العذاب بحق ؟ قالوا : نعم وحق ربنا .

قال : فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكفرون .

سورة محمد

٢٣٣ — (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) ٢ ، ٣
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد (القرآن) وهو الحق من ربهم محاسنهم وذنوبهم وأصلح بهم .

ذلك بأن الكافرين اتبعوا الباطل ، والمؤمنين اتبعوا الحق ، كذلك يبين الله للناس أحوالهم ، ويضرب لهم الأمثال

سورة الفتح

٢٣٤ - (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ اتَّقَايَ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ٢٦

إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم أنفة الجاهلية التي تمنع من الإذعان للحق فأنزل الله طمأنينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى (أى الثبات والوفاء بالمهد) وكانوا أحق بها من غيرهم وأهلها ، وكان الله بكل شىء علماً .

٢٣٥ - (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) ٢٧

لقد حقق الله رؤيا رسوله التي رآها ، إذ رأى أنه وأصحابه دخلوا مكة آمينين قد حلق بعضهم رؤوسهم ، وبعضهم قد قصروا شعورهم ، فعلم ما لم تعلموا من حكمة تأخير دخولها ، وجعل من قبل ذلك فتحاً قريباً هو فتح (خير) .

٢٣٦ - (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) ٢٨

الله الذي أرسل رسوله (محمداً) بالهدى ودين الحق (الإسلام) ليظهره على الأديان كلها ، وكفى بالله شهيداً على نبوته .

سورة ق

٢٣٧ - (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) ٥

بل كذبوا بالحق (أى بالنبي) لما جاءهم ، فهم في أمر مضطرب ؛ فتارة يقولون : إنه ساحر ، وتارة يقولون : إنه شاعر ، وتارة إنه كاهن .

٢٣٨ - (وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ) ١٤
 أى قوم شعيب (أصحاب الأيكة) وقوم تبع (ملك اليمن) كذبوا الرسل ، فوجب
 عليهم وعيده .

٢٣٩ - (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) ١٩
 جاءت سكرة الموت الذاهبة بالعقل ، وهذا هو الموت الذى كنت منه تبتعد .
 ٢٤٠ - (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) ٤٢
 يوم يسمعون نداء (إسرافيل وجبرائيل) للناس على السواء للبعث ، ذلك يوم الخروج
 من القبور .

سورة الذاريات

٢٤١ - (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) ١٩
 هذه صفة من صفات المتقين ، وهى أنهم كانوا محسنين ، وفى أموالهم حق للسائل
 الفقير ، والمحروم من الرزق .

٢٤٢ - (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) ٢٣
 هذا قسم برب السماء والأرض بأن هذا الأمر وهو قوله تعالى (وفى السماء رزقكم
 وما تعدون) به من الثواب حق مثل نطقكم ، فهل تشكون فى أنكم تنطقون ؟

سورة النجم

٢٤٣ - (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا) ٢٨

بعد أن ذكر الله أن الذين لا يؤمنون بالحياة فى الدار الآخرة ليطلقون على الملائكة
 أسماء الإناث ، ويزعمون أنهم بنات الله ، يقول : ما لهم بذلك من علم ، فلا يتبعون إلا الخيالات
 والظنون ، وإن الظنون لا يجدى شيئاً فى الوصول إلى الحق .

سورة الواقعة

٢٤٤ - (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) ٩٥ و ٩٦

بعد أن وصف الله حالة المحتضر (أى حالة الإنسان وقت الموت) وقال : إن كان من
المقربين إلى الله بتقواه وصالح أعماله ، فله راحة ورزق طيب وجنة نعيم .

أما إن كان من الضالين المكذبين فنزله عندنا الماء الحار والإدخال في جهنم ، وإن
هذا هو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم .

سورة الحديد

٢٤٥ - (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) ١٦

ألم يأت الوقت لأن تخشع قلوب المؤمنين لذكر الله والقرآن ، ولا يكونوا كالذين أعطوا
الكتاب من قبلهم فطال عليهم الزمان فيما بينهم وبين أنبيائهم فقسست قلوبهم ، وكثير
منهم فاسقون .

٢٤٦ - (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) ٢٧

بعد أن قال الله تعالى : ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم ، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ؛
فمنهم مهتد ، وكثير منهم فاسقون .

قال : ثم أتبعناهم برسل وأعقبناهم بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا في قلوب
أتباعه رأفةً ورحمةً ، وقد ابتدعوا زيادةً في طاعة الله رهبانية ، ما فرضناها عليهم ،

فما حافظوا عليها حق المحافظة ، فآتبنا الذين آمنوا وأدوا حقوق الإيمان أجرهم ، وكثير منهم خارجون عن حدود دينهم .

سورة الممتحنة

٢٤٧ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْنِهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْنِهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) ١

يأيها المؤمنون احذروا أن تتخذوا أعدائي وأعداءكم نصراء ومحبين تفضون إليهم بالموودة بالمكاتبات المتبادلة بينكم ، وقد كفروا بما أوحاه الله إليكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم من مكة من أجل أنكم تؤمنون بالله ربكم فاحذروا ذلك ، إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي ، وطلباً لرضائي ، فأنتم تخفون المودة إليهم وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم ، ومن يفعل ما أنهاء عنه بعد اليوم فقد ضل الطريق الوسط المعتدل المستقيم .

سورة الصف

٢٤٨ - (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ٩

هو الله الذي أرسل رسوله محمداً بالقرآن ، يهـدى به الضال ، وينبه الغافل ، ودين الحق (الإسلام) الذي يقيمه على أعدل السبيل ، ليغلب هذا الدين على سائر الأديان ، ولو كره المشركون .

سورة التغابن

٢٤٩ - (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَخْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ٣

الله خلق السموات والأرض ملتبسة بالحق ، لأنه منزّه عن الباطل ، وصوّركم فأحسن صوركم ، حيث متعكم بجميع ما تحتاجون إليه من الآلات الجسدية لتحصيل معاشكم ، ومن اللواهب المعنوية بما يوصلكم إلى سعادتكم ، وإلى الله مصيركم .

سورة الحاقة

٢٥٠ — (الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ) ١ — ٣

أى الساعة ، أو الحالة التى يحق فيها وقوعها ، أو التى تحقق فيها الأمور وما أدراك ما هى ؟

٢٥١ — (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) ٥١ ، ٥٢

بعد أن ذكر الله أن القرآن الكريم ليس هو بقول شاعر ولا كاهن ، إنما هو تنزيل من رب العالمين ، وإنه لتذكّرة وموعظة للعتيقين ، وإنه لحسرة على الكافرين ، لأنهم يرون ما ينال المؤمنين بسببه من النعيم القيم ، فيتحسرون قال : (إنه لحق اليقين) أى اليقين الذى لا ريب فيه ؛ فتره ربك العظيم عن النقص وقدّسه وعظمه .

سورة المعارج

٢٥٢ — (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) ٢٤ ، ٢٥

بعد أن ذكر الله حالة الإنسان أنه خلق شديد الهلع والجزع إلا المصلين المداومين على الصلاة قال :

والذين فى أموالهم حق معلوم (نصيب مقدر) للسائل الذى يسأل الناس ، والمحروم الذى لا يسأل ، فيظنه الناس ضيقاً من التعفف وعدم السؤال .

سورة النبأ

٢٥٣ — (ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً) ٣٩

بعد أن ذكر الله تعالى يوم وقوف الأرواح العليا والملائكة صفاً واحداً لا يستطيع أحدهم أن يتكلم إلا إذا أذن له الرحمن ، وكان فى قدرته أن يقول صواباً ، قال : ذلك اليوم الحق كأن لا محالة ، فمن شاء اتخذ إلى ثواب ربه مرجعاً بالتوبة إليه .

سورة الانشقاق

٢٥٤ — (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ . وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ) ١ — ٥

إذا السماء انشقت ، واستمعت لأوامر ربها ، وانقادت له ، وكانت حقيقة بالاستماع والانقياد .

وإذا الأرض (مدت) بسطت بزوال جبالها ، (ألقت) نبذت ما فيها وصارت خالية ، وأصفت إلى ربها فانقادت ، وحق لها أن تنقاد .

سورة العصر

٢٥٥ — (وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنِىْ خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ١ — ٣

يقسم الله تعالى بالعصر فيقول: وحق صلاة العصر ، إن الإنسان لنى خسران وضياع ، إلا الذين اعتصموا بالإيمان ، ونهجوا صراط العمل الصالح ، ووصى بعضهم بعضاً بالتمسك بالحق والعمل به ، و بالصبر على قضاء الله و بلائه الذى يبلو به عباده من العوامل التى يسلطها عليهم ليظهرهم من أرجاس الحيوانية .

بعض الأحاديث الواردة في الحق

١ — عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَقْدَسُ أُمَّةٌ لَا يُنْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَلَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنْ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ » . رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد جيد .

٢ — وعن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ : قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ ، رَجُلٌ قَضَى بِنَظَرٍ حَقٌّ يَعْلَمُ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ » . رواه أبو داود .

٣ — وعن سعيد بن المسيب : « أَنَّ مُسْلِمًا وَيَهُودِيًّا اخْتَصَمَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَأَى الْحَقَّ لِلْيَهُودِيِّ ، فَقَضَى لَهُ عُمَرُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ بِالدَّرَّةِ وَقَالَ : وَمَا يَذْرِيكَ ؟ »

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : وَاللَّهِ إِنَّا نَحْمَدُ فِي التَّوْرَةِ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ إِلَّا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ ، وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ ، يُسَدِّدَانِهِ وَيُؤَقِّمَانِهِ لِلْحَقِّ مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ ، فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرَجَا وَتَرَكَاهُ » . رواه مالك .

شرح بعض الأحاديث

التي ورد فيها ذكر الحق والباطل

١ — حق الله على عباده ، وحق العباد على الله :

عن معاذ بن جبل أنه قال : « كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ (عُقَيْرٌ) . فَقَالَ يَا مَعَاذُ : هَلْ تَذَرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ »

قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُشِيرُ بِهِ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَبَّرُوا .

رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

الشرح

سأل الرسول عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل وقال له : هل تدرى يا معاذ ما حق الله على عباده ، وما الذى يحب عليهم أن يحققوه شكرًا له ؟

لم يستفهم الرسول صلى الله عليه وسلم من معاذ استجوابًا له ، ولكن زيادة في تنبيهه إلى ما يلحق عليه ، وتشويقًا إليه ، وقد ردَّ معاذ علم ذلك إلى الله الذى أحاط بكل شئ علمًا ، وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يبلغ عن الله وحيه .

وهذا من معاذ كمال أدب ، وقف عند حده ، ولم يقف مالم يس له به علم .

وقد بين له الرسول صلى الله عليه وسلم : أن حق الله على عباده أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شَيْئًا .

كلمة جامعة ، لم تترك من الدين صغيرة ولا كبيرة ؛ فعبادته الخضوع له ، والتذلل إليه ، وذلك بطاعته فيما أمر ونهى ، فثؤمن برسوله ، ونصدق بكتابه ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونهذب نفوسنا ، ونصح أجسامنا بالصيام ، ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا ، ونحسن عشرة الناس ، ونصدق فى معاملتهم ، ونخالقهم بخلق حسن ، ونقف عند ما شرع الله ، لا نتعدى حدوده ، ولا نتجاوز رسومه ؛ ونجانب كل ما نهى عنه من الخبائث مما هو اعتداء على النفس ، أو المال ، أو المرض ، أو إضرار بالخلق ، وأساس ذلك علمه بكتاب الله ، وبما احتواه ، وهذا بتلاوته وتدبره ، ودراسته وتفهمه .

أما توحيده ، وعدم الإشراك به ، فإن نعتقد أنه وحده صاحب الخلق والأمر ، وأن من دونه لا يملك ضرًا ولا نفعًا ، إلى ما شاء الله ، سواء كان مَلَكًا مَرَبًّا ، أو نبيًا مرسلًا ، أو وليًا عابدًا .

ومن توحيده أن تكون الأعمال خالصة لوجهه ، لا يشوبها خداع ولا رياء ، ولا تدليس ونفاق .

وأن لاندعومه غيره ، أو تقدم إليه القرايين ، أو نسوق إليه النذور ، أو نتخذنه وسيعة إليه ، فإن كل ذلك شرك ينافي مقام التوحيد .

ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً عن حق العباد على الله ، وما وعدهم به ، وكتبه لهم على نفسه ، إذا هم عبده حق عبادته ، وأخلصوا له الدين ، وأسلموا له الوجوه ، وعمرروا القلوب بتوحيده ، وطهروها من دنس الإشراك .

فقال له مثل مقالته الأولى : الله ورسوله أعلم .

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : حق العباد على الله ألا يعذبهم ، وكيف يعذب من توفر على طاعته ، وكان عبده السميع ؟ تفرع أذنه آى الوحي ، فإذا به قد مثلها في عمله ، وأظهرها في خلقه ، ويسمع هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا به قد اتخذها إماماً وقادة ، وهادياً وأسوة .

كيف يعذب ذا النفس العالية ، الطاهرة النقية ، التى لا يرى فيها إلا بياض التوحيد ونوره ، ليس بها نكتة من دنس أو شرك ، بل كيف لا يسبغ نعمته ، ويدخل جنته صباحه المقربين ، وجنده المخلصين ؟ وهو البر الرحيم ، وأكرم الأكرمين .

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ . وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . »

(الأدب النبوى باختصار رقم ٧٢)

٢ — الاستقراض ، وحسن القضاء :

عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاةً فَأَغْلَظَ ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ، ثُمَّ قَالَ : أَعْطُوهُ سِقًا مِثْلَ سِنِّهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ فَإِنَّ خَيْرَ كُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً . »

(رواه البخارى ومسلم بالفاظ مختلفة)

الشرح

افترض الرسول صلى الله عليه وسلم من أعرابي بعيراً ، فلما حلَّ أجل الأداء جاء الأعرابي ليستوفي حقه (ماله) ، ولكنه لم يُجمل في الطلب ولم يحسن ، بل شدد في المطالبة على عادة الأعراب من الجفوة ، فأساء ذلك بعض الصحابة الذين حضروا المطالبة ، وأرادوا أن يؤذوا الأعرابي لسوء أدبه مع الرسول ، ولكنهم لم يفعلوا أدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال لهم الرسول : دعوه ولا تأخذوا عليه القول حتى يبين حقه ، ويطلب ماله ، فإن صاحب الحق ذو صولة وقوة وبيان ؛ فإذا حيل بينه وبين المطالبة به ضاع حقه ، وعد كاذباً أو محتملاً .

ولاشك أن هذا من أحسن أخلاق المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فكأنه يبدى لهم عذر الأعرابي في تشديده في الطلب ، ويكف عنه عادة الصحابة ، ويكبح من غيظهم الذي أثاره جفاء ذلك الأعرابي وغلظته ، ويسرّى عنه ما يعتريه به من الخوف والفرع ، لإرادتهم الإيقاع به .

ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يشتري له بعير يقضى به حقه ، فقالوا : لم نجد إلا أفضل من الذي يستحقه ، فقال صلى الله عليه وسلم : اشتروه وأعطوه إياه يكن لكم فضل حسن القضاء .

يدل هذا الحديث على أمور : جواز المطالبة بالدين إذا حلَّ أجله ، وحسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، وعظم حلمه وتواضعه وإنصافه ، وقبح مجافاة صاحب الحق إن أساء في الطلب ، وجواز استقراض الإبل ، ويلحق بها جميع أنواع الحيوان ، وعلى هذا أكثر العلماء .

أما الحنفية فلم يجوزوه ، لأن فيه بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ، وهو منهي عنه في جملة أحاديث صحيحة ، رجالها ثقات ، فهي ناسخة لما في هذا الحديث ، ولأن الحيوان مما يختلف أفراده اختلافاً كبيراً ، ويقع بينها تفاوت كبير قد يؤدي إلى الخصومة والمنازعة .

وبدل على جواز الوفاء بما هو أفضل من المثل المقرض إذا لم يكن ذلك مشروطاً
في المقدار ، وإلا فهو حرام لأنه ربا ، ويستوى في الزيادة القليل والكثير ، والصفة والمقدار .
(الأدب النبوي الحديث ١١٣)

٣ - في أداء الحقوق :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ
النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِنْتِلَافَهَا أَنْتَفَهُ اللَّهُ » .
(رواه البخارى وابن ماجه وغيرهما)

الشرح

من الناس من يقترض الأموال لحاجة من حاجياته ، عازماً على أدائها في الموعد
المضروب ، أوحين يقع في يده مال ، فهذا يؤدي الله عنه ديونه ، فيفتح له من أبواب الرزق
ما لم يكن يحتسبه مكافأة له على نيته الصالحة ، وعزمه الحمود .
على أن لتلك الإرادة أثراً في اكتساب الرزق ، فإنها لا تزال بصاحبها تدفعه إلى تلمس
أبواب المكاسب ، والبحث عن طرق المال حتى يهتدى إليها ويؤدي ديونه .
ومثل هذا من يشتري من التجار طعامه وشرابه وحاجياته الأخرى ، أو بضاعة يتجر
فيها إلى أجل ، وليس بيده ما يدفعه نقداً ، فإن عزم على الأداء والوفاء يسر الله له المال
حتى يوفى بما عاهد .

أما من استقرض أو اشترى شيئاً ديناً ، أو طلب إلى الناس أن يودعوه أموالهم ،
أو استعار أو استأجر عيناً ، عازماً على الجحود والإنكار ، أو الإلتلاف والإهلاك ، فإن الله
تعالى يتلافه ، فيوقعه في خيب نيته ، وسوء طويته ، ويفتح له من أبواب النفقات ما يذهب
بماله طارفة وتليده ، أو يسلط عليه من البلايا والمصائب ما يستأصل ملكه ، أو يرسل إليه
جيشاً من الأمراض الفتاكة ، يعمل في نفسه وأهله وولده ما يحرمهم لذة الحياة ونعيمها إلى
عذاب في الآخرة شديد .

وهل رأيت - أكرمك الله - من اغتنى وتنعم بمال غيره المنصوب ، ولئن ضحكت له الدنيا أياماً أوسنين استهزاء به ، واستدراجاً له ، لهى كاشرة له عن أنبيائها ، ثم تلتهمه التهاماً ، أو تستلب ما كنز من أولاده وأحفاده استلاباً .

(فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) .

فالنية الصالحة ، والإرادة الصادقة ، لها أثرها في كسب المال ، والهداية لسبله ، والنية الخبيثة جائحة المال ، ومبعدة الثروة ، والقاضية على صاحبها بالفقر والمترية ، بل بالهلاك والخسار .

فلا تستدن إلا عند الحاجة ، وإن استدنت فاعزم على الوفاء ، ومهد لتنفيذ العزم بتذليل الأسباب ، والبحث عن مسالك المال ، وحذار أن تأخذ أموال الناس في صورة استدانة ، وطوية نفسك غصب وسرقة ، وانتهاج وخيانة ، فتكون غاشياً لمن أعانك ، بل تكون منافقاً تبدى للناس غير ما تضر ، ولا تنس قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) .

فالحديث يحض على الإخلاص في النية ، وعلى أداء الحقوق ، ويتوعد من يضر الشر ، ويستلب الأموال بالطرق الخفية ، وإنه ليؤذن أولئك التجار الذين يماثون مخازنهم بالبضاعات يشترونها لأجل ، وفي نيتهم أن يملنوا الإفلاس بعد أن تمنى جيوبهم ، يؤذّنهم بالخسار والبوار ، بل يؤذّنهم بحرب من الله لا قبل لهم بها ؛ فليتقوا الله في أموال الناس ليرزقهم من حيث لا يحتسبون .

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) .

(الأدب النبوى ١١٣)

الأمثال والحكم

- ١ - الحق أبلج ، والباطل الجليج (يعني أن الحق واضح ، والباطل ملتبس ، يتردد فيه صاحبه ، فلا يجد فيه مخرجاً) .
- ٢ - أفضل القول كلمة الحق عند من تخافه .
- ٣ - عاوز الحق وإلا ابن عمه (مثل عامي يضرب لإثبات الحق بين الناس) .
- ٤ - صاحب الحق له مقام ومقال : (يضرب لمن يلوم على صاحب الحق ، عند طلبه بشدة) .
- ٥ - كلمة الحق مرة ، وكلام الحق صعب (يضرب لمن لا يرضى بالحق) .
- ٦ - مسير الحق يصل صاحبه (يضرب في طلب الصبر من صاحب الحق) .
- ٧ - الطلب الهين ، يضيع الحق البين (يضرب عند التشديد في الطلب) .
- ٨ - الحق يعلو ولا يُعلى عليه .
- ٩ - لعن الله قوماً ضاع الحق بينهم .
- ١٠ - لن يضيع حق وراءه مطالب .

بعض الحكم والمواعظ

- ١١ - قال ابن المعتز : آن للحق أن يتضح ، والباطل أن يفتضح .
- ١٢ - وقيل : الحق حقيق أن يُنهج سبيله ، ويتضح دليله .
- ١٣ - وقال المنتصر يوماً : والله ما عز ذو باطل ، ولا طلع القمر من بين هنيه . ولا ذلّ ذو حق ولو أصمق العالم عليه .
- ١٤ - وقيل : للباطل جولة ثم يضمحل ؛ وللحق دولة لا تنخفض ولا تذلل .
- ١٥ - وقيل : الحق من تعداه أظلم ، ومن قصر عنه يذم .
- ١٦ - وقال عبدة بن أبي لبابة : من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بانصاف وحق .

الموضـوعات

١ - حب الحق والخضوع له !

من الصفات الحميدة التي أمر بها الدين (حب الحق والخضوع له) وذلك بتحري الصواب والدقة في الأحكام والأعمال ، والبعد عن الرياء والنفاق ، والكذب في العبادات والمعاملات ، مع إقامة شوائر الدين كما وردت في الكتاب والسنة ، والقضاء على البدع الباطلة والخرافات الكاذبة ، وما إلى ذلك من كل ما يغير معالم الشريعة أو يبدل فيها بالبهتان والباطل .

ومن حب الحق والخضوع له أن نعمل على نشر لواء الحق والعدالة ، ورد الحقوق لأربابها بإنصاف المظلومين ، ورفع الحيف عن وقع عليه الحيف ، وعدم قبول أقوال الفاسقين الفاشين ، والتمسك بالآمين إلا بعد التثبت والتأكد ، فإن بعض الظن إثم ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ ، فَتُضَيِّقُوا عَلَى مَا كُنتُمْ نَادِينَ) .

وحب الحق يتجلى بالشجاعة الأدبية في مصارحة الناس بالحق ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ألا تأخذ المرء رهبة ولا رغبة ، ولا يستولى عليه الخوف والوجل في الصراحة بالحق ، وإبداء الرأي الذي يعتقده صواباً ، وتكليف الناس التمسك به وحملهم على الخير .

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَهَذَا أَوْفَى الْإِيمَانِ » .

كما يتجلى في الاهتداء بهدى الرسول ، وعدم العناد والمكابرة بالباطل ، والإخلاص في السر والعلن ، والاستماع لنصيحة الناصحين ، والطاعة لأولى الأمر والدين ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

« السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تَنَعَّ وَلَا طَاعَةَ » .

وإذا سادت هذه الفضيلة بين الناس كان التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وأرشد الناس بعضهم بعضاً إلى مافيه الخير ، وحذروا أنفسهم من الوقوع في الضير .

وبذا يأخذون في أسباب الترقى والتقدم ، ويصلحون مافسد من الأخلاق ويتجنبون ماقبح من الأعمال ، يأخذ بعضهم بيد بعض في التعاون على البر والتقوى ، والمصارعة إلى الخير وتنكب طرق المفسد والمساوى ، ويسود النقد البرىء في الصحف والحديث والخطابة ، ويخشى كل واحد أن يكون الحق عليه لاله . فيعمل على تكوين نفسه ، وتكميلها وتهذيبها ، وهذا هو أساس الرقى ودعامة الحضارة والمدنية ؛ قال تعالى :

(وَالْعَقِيرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ) .

فالمائل المحب للحق يقبل كلمة الحق من غير تعصب ولا مشادة ولا عناد ، لأن العناد في قبول كلمة الحق إذا غرس في النفوس كان داء لا يرجى له شفاء وجرحاً ليس له دواء . ومهما بلغت الأنفس من الكمال ، أو حصلت من السعادة ، فهي في حاجة إلى النصيح والإرشاد وتبيين الحق والصواب .

وقد كان السلف الصالح خير قدوة في حب الحق والخضوع له ، وكره الباطل والقضاء عليه ، ولذا قال عمر رضي الله عنه :

« لا خير فيكم ما لم تقولوا ، ولا خير في ما لم أسمع » .

وقال : « إنه لا يكون فينا معشر الأمة خير ما لم تكن فينا جراءة على مصارحة الخليفة نفسه بالحق ، وتكليفه التمسك به ، إذا رأيناه زاع منه كما لا يكون نفسه فيه خير إذا عصانا ، ولم يدعن للذي أرشدناه إليه ودللناه عليه » .

وهذا نهاية في صراحته وإنصافه من نفسه ، وإرشاده لولاة الأمور من بعده ، ويدل

على حبه للحق ، إذ حكم لامرأة بالإصابة وعلى نفسه بالخطأ فقال :
« أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

ومن كلامه للإمام عليّ كرم الله وجهه :

« لا تكلموني بما تكلم به الجبارة ، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادية ،
ولا تخالطوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استئقالاتاً في حق قيل لي ؛ فإنه من استثقل الحق أن
يقال له ، أو العدل إذ يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه .

فلا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ،
ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يلقي الله من نفسي ما هو أملك به مني » .

وكان الأمر في الإسلام بالشورى تمحيصاً للحقائق ، ودرءاً للأباطيل ، وحباً للحق
وخضوعاً له .

وقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالحق المبين ، وأوجب على المسلمين أن يتقبلوا
ما جاء به من عند الله من غير عناد ولا معصية ليكونوا مؤمنين حقاً كما قال تعالى : (وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَمْذُ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) .

فالامتناع عن قبول الحق نهاية في الخسران والضلال ، كما أن حب الحق والخضوع
له من أكبر أركان الدين .

(أدب الإسلام . الجزء الثالث)

٢ - الجهر بالحق فضيلة

إذا صدق الإيمان صدقت العزائم وصحت الأقوال واستقامت الأعمال ، وهناك تكون
الشجاعة حتى لا يهاب أحداً في الجهر بالحق ، ولا تأخذه في نصرته الله لومة لائم .

ففي حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » . متفق عليه

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ أَنْ تَقُولَ لِلظَّالِمِ : يَا ظَالِمُ فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْهُمْ » .

رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

ومعناه : أن الأمة إذا فشا فيها الجبن كانوا في حكم الموتى ، ولم يكونوا في عداد الأحياء .
وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر الغفارى رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلي بخصال من الخير : أوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرأ » . فلا يليق بالمؤمن أن يتهاون مع الناس فيما يخالف الدين وبضاد الحق موافقة لأبيهم ، ومتابعة لهوهم ، فكثيراً ما زلت أقدام المتزلفين فى ذلك رغبة أو رهبة فضلوا وأضلوا ، مع سوء العاقبة ، وقبح الأحداث .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ يَخْتَرُ تَحْتَ يَدِ اللَّهِ وَفِي كَفَنِهِ مَالٌ يَمَالِي قُرَاؤُهَا أَمْرَاءُهَا ، وَلَمْ يَتْرَكَ صَلَاحُهَا عَجَارَهَا ، وَلَمْ يُنَارِ أَخْيَارُهَا أَشْرَارَهَا . فَإِذَا قَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَ عَنْهُمْ يَدَهُ ثُمَّ سَلَطَ عَلَيْهِمْ جَبَّارَتَهُمْ فَسَأَمُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَضَرَبَهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ ، وَمَلَأَ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا » .
رواه الحسن

علم هذا علماء السلف وأردفوا العلم بالعمل ، فكان لهم مع الأمراء وذوى السلطان مواقف مشرفة خلدت لهم أحسن الذكرى وأجل الآثار . شجعهم على ذلك ما امتلأت به قلوبهم بالثقة بالله تعالى مع ما يعلمونه من سلطان الدين على نفوس الأمراء وذوى السلطان .

قال الزهرى : ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ اسْمَعْ مِنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحُ دِينِكَ ، وَمِلْكُكَ ، وَآخِرَتُكَ ، وَدُنْيَاكَ : قَالَ : لَا تُعَدُّ أَحَدًا بَعْدِي وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ إِنْجَازَهَا ، وَلَا يَفِرُّنَكَ مَرْتَقَى سَهْلٍ إِذَا كَانَ الْمُنْعَدِرُ وَعَرَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ جَزَاءٌ فَاحْذَرِ الْعَوَاقِبَ ، وَالدَّهْرُ تَارَاتُ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ » .

وروى : أن الحجاج جمع بعض علماء العراق وفيهم الحسن البصرى والشعبي ، وجعل يهاديهم فذكر على بن أبي طالب رضى الله عنه قتال منه ، وجاراه من معه تقرباً له وأمثاً لشبهه إلا الحسن البصرى فصمت على مضض ، وعض على إبهامه إذ غلبه رجل غضبه ، فالتفت إليه الحجاج وقال : يا أبا سعيد ؛ ما لي أراك ساكتاً ؟ قال : ما عسيت أن أقول ؟ قال : أخبرني عن رأيك في « أبي تراب » أى الإمام على ، قال : سمعت الله جل ذكره يقول :

(وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ) .

فعلى ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول :

ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وختنه على ابنته ، وأحب الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله ، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها ، وأقول :

إن كانت لعل هنات فالله حسبه ، والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا . فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مضطرباً ، فدخل بيتاً خلفه وخرج الجمع ، فقال عامر الشعبي : أغضبت الأمير وأوغرت صدره ؟ فقال : إليك عنى يا عامر ؛ هلا اتقيت إن سئلت فصدقت أو سكنت فسلت ؟ .

قال الشعبي يا أبا سعيد قد قتلها ، وأنا أعلم ما فيها ؛ قال الحسن : فذاك أعظم في الحجة عليك ، وأشد في التبعة .

وبعث الحجاج إلى الحسن ، فلما دخل عليه قال : أنت الذى تقول : قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال : نعم . قال : ما حلك على هذا ؟ قال : ما أخذ الله على العلماء من الموائيق ليبيننه للناس ، ولا يكتمونونه . قال : يا حسن أمسك عليك لسانك ، وإياك أن يبلغنى عنك ما أكره ، فأفترق بين رأسك وجسدك .

هكذا تكون قوة الإيمان ، وهكذا تكون الثقة بالله ، وهكذا تكون الشجاعة في نصرة الحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

ودخل ابن السماك يوماً على أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فوافق أن وجده يرفع الماء إلى فمه ليشرب ، فقال : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تنتظر به قليلاً ، فلما وضع الماء قال له : أستحلفك بالله تعالى لو أنك منعت هذه الشربة من الماء ، فبكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب هناك الله ، فلما شرب قال : أستحلفك بالله تعالى يا أمير المؤمنين ، لو أنك منعت خروجها من جوفك بعد هذا ، فبكم كنت تشتريها ؟ قال بملكي كله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ملكاً تربو عليه شربة ماء تخلق ألا ينافس فيه فبكي هارون حتى ابتلت لحيته ، فقال الفضل بن الربيع ، وكان واقفاً بين يدي الأمير مهلاً يا ابن السماك ، فأمر المؤمنين أحق من رجا العاقبة عند الله ببدله في ملكه ، وحسن قيامه بحق ربه .

فقال ابن السماك : يا أمير المؤمنين ، والله إن هذا ليس معك في قبرك غداً ، فانظر لنفسك فأنت بها أخير ، وعليها أبصر .

وأما أنت يا فضل ، فمن حق أمير المؤمنين عليك في تقريره إياك ، وبرء بك ، أن تكون يوم القيامة من حسناته لا من سيئاته ، فذلك أكفأ ما تؤدي به حقه عليك ، والسلام .

(عن مجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية)

السنة التاسعة — العدد الأول

تفضيلة العالم الكبير الشيخ علي محفوظ رحمه الله

٣ - سبيل الحق ، وسبيل الباطل

(لفضيلة الأستاذ الشيخ المراغى رحمه الله)

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)
روى النبى صلى الله عليه وسلم : « أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ
مُسْتَقِيمٌ ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ
فِيهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ » .

وقد أفرد سبيل الله ، وجمعت السبل الأخرى ، لأن سبيل الله سبيل الحق ، والحق
واحد لا تعدد فيه وعلى الناس طلبه .

أما الباطل فمتعدد ، وطرقه متعددة ، لذلك يجب على المسلم دائماً أن يتحرى سبيل الله ،
وأن يجدد فى الوصول إلى معرفته وسلوكه لايغنى أحد من ذلك ، وكل مكاف على قدر وسعه
وطاقته ، والذي يخالف الطريق بعد الجهد وبذل مافى الوسع معذور ، والمعطى أجر ، والمصيب
أجران ؛ أما المسلم الذى يخالف الحق ، وفى إمكانه البحث عنه ، فهذا غير معذور ، وقد
اتبع الطرق المتفرقة ، وكان فى إمكانه اتباع الطريق المستقيم .
(ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

معناه : أن العمل بهذه الوصايا^(١) موصل إلى تقوى الله التى هى البعد عن الشرور
والمعاصى التى تغضب الله ولا يرضى بها لعباده .

ومن الواضح أن هذه الوصية الأخيرة جماع الخيرات والبركات ، والذي يتبعها يتبع
النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وفقنا الله إلى معرفته ، وأعاننا على سلوكه .

(عن مجلة الشبان المسلمين)

العدد — ١ — السنة — ١٥

(١) يشير فضيلة الأستاذ الأكرم إلى الوصايا المذكورة قبل هذه الآية فى سورة الأنعام .

٤ - الحق إذا لم تؤيده القوة يضيع

الحلال بين ، والحرام بين ، والحق واضح السبيل ، منير الجنبات ؛ والباطل مظلم المسالك ، عقيم الغايات .

الحق من الله ، والباطل من الشيطان ، ولكن النفس أمارة بالسوء ، متيالة للشر ، مندفة إليه ؛ والمرء يرى نور الحق ، ولكنه يغمض عينيه ، ويحس بسمو الحق ، ويغالط إحساسه ، ويشعر بوضوحه ، ويخفى شعوره ، إرضاء لشهوته ، وإشباعاً لذته ، لأن الحق مرّ المذاق ، شديد لا يطاق إلا على المخلصين ، وقليل ما هم ؛ كره الناس الحق ، لأنه ضد شهواتهم ، وعلى تقيض أهوائهم .

وقف الحق في طريق الأطماع يدعو للقناعة ، وقام الحق في طريقه في ميدان العدوان ، يأمر بالعدل المطلق مع الفرد ومع الجماعة ، وكيف يقنع من تعلق بالدنيا فجعلها غايته ، وأهل الآخرة ، ونسى أنها نهايته ؟ .

وكيف يعدل ابن آدم والظلم من شيم النفوس ، فأنكر الحق وأبعده ، لأنه يحرمه من هواه ، ويمنعه من إثمه ومناه .

أما الباطل فهو مزين الشهوات ، ومبيح اللذات ، ومحلل الإثم والفجور ، وسبيل المتعة والفرور ، ينيل الإنسان كل ما يطلب ، ويقرب إليه ما يرغب ، فأحب الكثير من الناس الباطل وعرفوه ، ودافعوا عنه وأيدوه ، وزادهم بعداً عن الحق ، أن أهله في تعب وعناء ، وامتحان وابتلاء ، وقويت صلتهم بالباطل ، لما فيه من كسب عاجل ، وغنم سريع ، وغفلوا عن الخسران الآجل ، والعذاب الدائم ، والشقاء المقيم .

قال تعالى : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآةً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) .

انظر إلى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، جاءوا بالحق المبين ، وتوحيد

الله ، فقام أهل الباطل يخذلون الحق ويحقدونه ؛ بل يعذبون من اتبعه ويقتلونه ، بل يقتلون النبيين بغير حق ، كما أخبرنا القرآن الكريم .

عاش نوح عليه الصلاة والسلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو للحق ، وقومه على الباطل جامدون ، فدعا نوح عليهم بعد أن يئس من إصلاحهم ، فأغرقهم الله بالطوفان ، ونجا نوح في السفينة ، وحمل معه من آمن به ؛ ويقول الله : (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) .

ترك موسى قومه لميقات ربه ، فعبدوا العجل واتخذوه إلهاً .

قال عيسى لقومه : يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم ، فكفروا بالحق ، وقالوا : بل عيسى هو الله .

بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ' ودين الحق ، فلقى ' كثيراً من عناد الخلق وما جهل الناس الحق ، والكنهم عرفوه وأنكروه ، وتيقنوا منه ثم جحدوه .

قال تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) .

وقال تعالى يبين لنبيه أن كفرهم ليس تكذيباً للصادق الأمين ، وإنما هو عناد المكابرين وبغى الظالمين : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) .

أبعد ذلك يظن أن الحق يسير وحده بدون قوة ، ويشق طريقه بغير منعة وسطوة .

لقد كان النبي يدعو للحق بمكة ثلاثة عشر عاماً إلى أن هاجر فكان الحق ضعيفاً ، والباطل قوياً ، فلما هاجر النبي وأذن له بالقتال ، ودفع العدوان بالسيف ، اشتد ساعد الحق وظهر ، وتراجع الباطل وقهر . قال تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) .

نعم الحق إذا لم تؤيِّله القوة يضيع ؛ وإليك ما قاله الشاعر الأديب الأستاذ
(محمد الأسمر) أمين مكتبة الأزهر في هذا المعنى :

تبينت أن الحق إن لم تتح له	بواسل يخشى ظلمها فهو باطل
لمرك لو أغنى عن الحق إنه	هو الحق ما قام الرسول يقاتل
ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه	من الناس ما لم يلق أحق جاهل
فلا تحسبن الحق ينهض وحده	إذا حلت عنه فهو لاشك مائل
أقمه واسنده ودعم بناءه	وذود عنه ذود الليث والليث صائل
ولا تسندن الحق بالقول وحده	فإن عماد الحق ما أنت فاعل
من العقل أن لا يطلب الحق عاجز	فليس على وجه البسيطة عادل
ولكن قوى يشرب الدم سائغا	إذا نصبت يوم الورود المناهل

الأهرام في ٢٠ يولييه سنة ١٩٤٨

ه — القوة بغير الحق ظلم وطغيان

والقوة المادية ، والآلات الحربية ، والمدمرات ، والطائرات ، والدبابات ، والغواصات
والجيش الجرارة ، والقوى الجبارة ، والمال الوفير ، والسلاح الخطير ، وكل وسائل القوة
والتفوق ، إذا سخرت في سبيل الباطل ، واستخدمت بغير حق ، كانت ظمًا وطغيانًا ،
وشرًا وعدوانًا .

القوى المبطلة يلجأ للاستبداد ، واغتصاب البلاد ، وإذلال العباد ، والاستعمار الذي
ينشر الذل والشر والفساد .

والظلم من شيم النفوس ، والتحكم والسيطرة من طباع البشر ، فإذا وجد الإنسان من
نفسه قوة ازداد ظلمه ، وإذا أحسن من غيره ضعفًا ، سامه الخسف والهوان ؛ وويل للضعيف
من القوى ، إذا جاوز القوى حده ، ولم يعرف الحق لأهله ؛ وقال كما يقول الظالمون في هذا
المصر : إن الحق للقوة .

القوة وحدها خطر عظيم ، وضرر على الناس جسيم ، تجرد المرء من المواطف النبيلة ، والخلق الكريم ، وتنزع من قلبه الرفق والرحمة ، والرافة والشفقة ، وتمحو الفضائل الإنسانية ، وتجعل الإنسان وحشاً قاسياً ، وجباراً عاتياً ، وصخراً جامداً ، وأحق معانداً ، (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) .

٦ - الحق والقوة

لابد للحق من قوة تنصره ، وسلطة تقرره وتؤيده ، قوة ترد عنه كيد الكائدين ، وباطل المفسدين ، قوة توقف الطامع عند حده ، وتشجع العاقل على بذل جهده .
والقوى مرهوب الجانب مهيب ، والضعيف مستباح الحمى ، ذليل الجانب ، منقطع الأسباب ، ومن لم يتذأب أكلته الذئاب ، ومن لم يتسلح صار غرضاً للطامعين ، ومرتماً خصباً للناهبين ؛ والتأهب للحرب كثيراً ما يمنع الحرب ، والاستعداد للقتال يرهب المفرمين بالطمع والنزال ، والتسلح وأخذ الحذر يبعد عنا الخطر ، والاحتياط والانتباه يؤمننا مما نخشاه ، وهذا ما أمرنا به الله حيث قال :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ) .

إعداد القوة للإرهاب ، وحفظ التوازن ، وإعزاز الدولة ليكون التعادل والتماثل ، ومن أخذ للأمر أهبطه أمن مغبته ؛ ومن أعد للخطر عدته ضمن نجاحه وسلامته ، ومن نام عن حقه هلك ، وأضاع ممالك ، وما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) .

فما أجهل هذه التعاليم ؟

فيا أهل الحق تأهبوا واستعدوا ، فلن يضيع حق وراءه مطالب ، ومن جاهد ودافع ، وذكر ربه فهو لابد غالب .

ولا تقولوا : إن الله ينصر الحق بدون علمنا ، ولو شاء الله لنصرنا ، فإن الله لا ينصر إلا من ينصره ، ولا ينجي إلا من ينفذ أوامره ، والله قوى قادر ، ولكن يمتحن بعض عباده ببعض ، ويسلط أمة على أمة ليعلم المجاهد الصادق ، من الجبان والنافق ، والله علق النصر على أسباب ، قال تعالى في سورة القتال :

(ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ، وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) .

وقال تعالى : (وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) .

وهذه سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم ، كلها عمل وجهاد وتضحية ، والمرء منا إن سرق ماله ، أو اغتصب داره ، قام يناضل ويطالب ، ويقدم أدلة للقضاء ؛ فهل مالك ودارك ، أعز عليك من أمتك ووطنك ؟ ومالك زائل والوطن يدوم ، إن الله يحب قوة الحق ، ويأسر بذلك رسله : (يَا أَيُّهَا خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) . (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ »
أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان .

محمود أحمد علي

(مجلة الاسلام العدد ١٧ السنة الثامنة)

٧ - اتق الله ولا تخش في الحق لومة لائم

من خطبة لفضيلة الشيخ محمود أحمد على

علامة الإيمان الحق : أن تدافع عن الحق ، ولو غضب الخلق ، وأن تخلص النصيح للمسلمين ، غير عاني بسخط الجاهلين ، وأن تكون أوامر الله مقدمة على أوامر العباد ، وأن يكون كلام الله أول ما يسمع ويطاع ، وإن غضب الرعاع ، وسخط الأنطاع .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ) .
واعلموا أن رضا الناس مستحيل ، فإنهم مختلفون في عقولهم ، متفاوتون في أفكارهم وأهوائهم ، أغراضهم متباينة ، وزعاتهم متعددة ؛ فاجماعهم على محبتك محال ، ورضاهم عنك أمر لا ينال ، مهما حاولت ؛ فاسع في مرضاة من لا يتمدده عنده الحق ، ولا تضع لدية كلمة الصدق ، وهو الله المنزه عن الأهواء والأغراض .

فاتق الله يا عبد الله ، وتمسك بالحق ، وقل كلمة الصدق ، في شجاعة ووفاء ، ولا تنال متى أَرْضِيتَ مولاك بغضب من عداه ، فلا يغضب من الحق إلا أعوان الشيطان ، عبيد المادات والأهواء .

اتق الله ، ولا تخش في الحق لومة لائم . فالله يقول :

« فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا » ؛ « أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ، « وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ »
« يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا » .

اتق الله والتمس رضا مولاك تكن في حماه ، ويكفك شر الخلق وسخرية السفهاء ، واتق الله ولا تلتمس رضي الناس بإغضاب الله فتبوء بالسخطتين .

واعلم أن ثباتك على الحق سيوصلك للفوز ، وسيحترمك الغاضبون ويقدرونك ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ أَسَخَطَ اللَّهَ فِي رِضَا النَّاسِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ »

فِي سَخَطِهِ ، وَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ
فِي رِضَاهُ حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ .
وَقَالَ : « لَأَطَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .
كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها : أن اكتبني إلى كتاباً توصيني فيه ،
ولا تكثري عليّ ، فكتبت إليه :

« سلام عليك . أما بعد : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ
الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَثْوَنَةَ النَّاسِ ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ
بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ » والسلام عليك » .
(من كتاب الوعظ)

٨ - يرضخان للحق بعد سماع نصيح الرسول

ويتنازل كل منهما عن حقه للآخر

تنازع رجلان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في تركة ، فادعى كل منهما أنها ملك
له ورثها عن قريبه ، فرفعا أمرهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليفصل بينهما ، ولم يكن
لأحدهما بينة تثبت الحق له .

فوعظهما الرسول صلى الله عليه وسلم عظة بالغة قبل أن يقضى في موضوع النزاع ،
عسى أن يرجع المبطل منهما ، ويكف عن ادعاء ما ليس حقاً له . فقال لهما صلى الله عليه
وسلم : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنَ بِحُجَّتِهِ
مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً فَلَا يَأْخُذْ
مِنْهُ شَيْئاً إِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » .

أي قال لهما : إني بشر مثلكم ، لأعلم الغيب ، ولا ماخفي في الضمائر إلا ما يوحى الله به
إلي من القرآن ، وأمور الشرع ، فإذا حكمت فسيكون حكمي مبنياً على ما يظهر لي من
قولكما ، والله يتولى محاسبتكما على السرائر .

وربما كان أحدا كما أفصح تعبيراً ، وأقوى تأثيراً ، وأعرف بصوغ الحجج ، وجلالة
الغامض ، لحذقه وطول مرانه ، وسرعة بديهته فأحكم له ، وهو في الواقع ليس بصاحب
الحق ، ويكون الآخر دونه في القدرة على الدفاع والخور ، فيقع في نفسى أنه مبطل ،
فأرفض دعواه وهو محق .

فمن قضيت له بحق أخيه ، فإنما أفضى له بقطعة من النار ، إن نفعته في الدنيا فسيصل
نار جهنم في الآخرة ، وتكون عاقبة أمره خسراً ، وخير له أن يترك الحق لصاحبه ولا يستحله .
فبكي الرجلان من شدة التأثر ورضخا لوعظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتنازل كل
منهما عن حقه للآخر ، دفعاً للشبهة عن نفسه ، ودرءاً لعذاب النار عنه يوم القيامة .
فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : أما إذ فعلتما ما فعلتما فاقتما وتوخيا الحق ثم استهما^(١)
ثم تحالا^(٢) .



فيؤخذ من هذه الواقعة وهذا الحديث أمور منها :

(١) أن الدفاع عن الباطل ، والحماية عن الزور والكذب فيهما إثم كبير ، وخاصة
إذا استخدمت المواهب الخطابية ، وقوة البلاغة في إلباس الباطل ثوب الحق .
أما إذا استعملت في نصرة الحق ، وإدحاض الباطل ، مع البعد عن التشهير وتلب
الأعراض ، فذلك ما لا حرج فيه ، لأنه دفاع عن الحق ، ومعاونة على إقامة العدل ،
وإيصال الحقوق لأربابها ، ودرء للظلم عن حقه ، ولم يستطع بنفسه نبيان أمره
بالحجج الدامغة .

(٢) يذنبى للقاضى قبل الفصل فيما يعرض عليه من الخصومات أن يتقدم إلى الخصمين
بشيء من الموعظة والنصح ، عسى أن يكون من ذلك ما يزع المبطل عن ادعاء ما ليس له
بحق ، وينتزع من نفسه ماملأها من الشحناء والعناد وحب الأثرة ، وتلك ما ليس له بحق ،
وبذلك تزول أسباب التشاحن ، وتصفو النفوس ، ويظهر الحق .

(٣) أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنسان من البشر ، يسلك في قضائه وحكمه

(١) استهما : اقترعا على القسمين ؛ أى يأخذ كل منهما سهماً .

(٢) تحالا : ليرى كل منكما صاحبه مما عساه قد أخذه من غير حق .

الطريق القضائي المشروع ، فيبنى أحكامه على ما يظهر من الأدلة وطرق الإثبات التي تقوم لديه ، من اعتراف أو شهادة أو يمين ، أو ماشا كل ذلك من طرق القضاء ، والله وحده يتولى حساب الناس على ما يكتفون من حقائق الأمور فإنه يعلم السر وأخفى .

(٤) أن من توصل إلى التأثير في القاضى بسحر بيانه ، وقوة فصاحته ، فحكم له بما لا يستحق ، لا يجل له أن ينتفع بما حكم له به ، بل يصير ذلك من أسباب تمذيبه يوم القيامة لأنه قد اغتصب حق غيره بدون مسوغ .

(أدب الإسلام)

الجزء الثالث من ١٥٠

٩ - المثل الأعلى ' لا احترام القانون وقول الحق

استدعى صاحب الدولة المرحوم (حسين رشدى باشا) رئيس الحكومة المصرية سابقاً ، إلى المحكمة الأهلية لتأدية شهادة في قضية ، فلم يتخاف عن الحضور في الجلسة ولم يعتذر ، بل جاء يحمل بين جنبيه احتراماً ممتازاً للقضاء ، فدخل أمام حضرة القاضى وأدى واجب التحية واقفاً ، ثم أخذ يسرد شهادته بما أوتيته من قوة الحجة والبلاغة ؛ ولما طلب إلى دولته الجلوس أبى ' إلا أن يكون واقفاً احتراماً للقانون ، ويجب على كل سؤال يوجه إليه من القضاء والنيابة والمحاماة ، حتى إذا ما انتهى من الشهادة وهو واقف على قدميه والناس جلوس رغب في الخروج من حيث أتى .

فكان خروجه أدهى إلى الإحجاب منه في وقوفه ، إذ حيا المحكمة بالتعظيم العسكري وانصرف على أعقابها كما تنصرف الرعية أمام الملوك .

فكان هذا المنظر السامى من أجل ما وقع عليه الأنظار ، وكان لشهادته الحقبة أكبر الأثر في الحكم في القضية ، وكان للحاضرين من دولة الرئيس المثل الأعلى والقدوة المحسنة لا احترام القانون وقول الحق .

١٠ - محافظة الحاكم على حقوق الدولة

ومنع أقاربه من الانتفاع بسلطانه

إن الحاكم الأمين هو الذى يحافظ أشد المحافظة على أموال الدولة وحقوقها ، ويجعل نفسه رقيباً على كل صغيرة وكبيرة فيها ، فلا تمتد يده إلى شئ منها ، ولا يعتدى على حق من حقوقها ، بل ينزه نفسه ، ويبعدها كل البعد عن أن تستبيح من مال الأمة ما ليس لها ، وأن يكون عوناً للأمة لأعليها ، بأن يعدل فى أحكامه ، ويسوى بين الناس فى مناصبهم ودرجاتهم وما يستحقونه بحسب القانون ، وماتوهم له كفائتهم واستعدادهم دون محاباة ولا تحيز لفريق دون آخر ، ولا مراعاة لوساطة أو قرابة أو ما شابه ذلك مما هو ظلم وعسف يؤدى إلى فساد الأخلاق ، وتفشى داء الكسل والانتكال على الجاه والسلطان والنفوذ ، فتتصرف النفوس من أجل ذلك عن العمل المجدى للثمر ، وتصد عن سبيل الجد والسعى والاجتهاد ، وبذلك تفسد أداة الحكومة ، وتتعطل الأعمال ، لأن من يتسكون على جاه أو وساطة يشعرون بأنهم مفضلون فى أخذ المناصب على غيرهم فيكسلون ولا يبتدعون .
والمثل الأعلى للحاكم يكون فى المحافظة على ماتملكه الدولة ومنع أقاربه من الانتفاع بجاهه ، إحقاقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل .

أمثلة فى المحافظة على حقوق الدولة

ومن أمثلة ذلك ماروى عن على بن أبى رافع قال :
كنت على بيت مال على بن أبى طالب وكاتبه ، فكان فى بيت ماله عقد لؤلؤ كان قد أصابه يوم البصرة ، فأرسلت إلى بنت على بن أبى طالب تقول :
بلغنى أن فى بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ وهو فى يدك ، وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به فى يوم الأضحى ، فأرسلت إليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين .
فقلت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام ، فدفعته إليها ، وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه فقال لها :

من أين جاء إليك هذا العقد ؟ فقالت : استعرتة من ابن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به في العيد ثم أردته .

فبعث إلى أمير المؤمنين ، فجثته . فقال لى : آخون المسلمين يا ابن أبي رافع ؟ فقلت : معاذ الله أن آخون المسلمين . فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير إذنى ورضاهم .

فقلت : يا أمير المؤمنين إنها بنتك وسألتنى أن أعيرها العقد لتزين به فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة على أن ترده سالماً إلى موضعه .

فقال : رده من يومك ، وإياك أن تعود لثله فتناك عقوبتى ، ثم قال : ويل لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة لكانت إذاً أول هاشمية قطعت يدها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، أنا ابنتك ، وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه منى ؟

فقال لها : يا ابنة ابن أبي طالب : لا تذهبي بنفسك عن الحق ، أكل نساء المهاجرين والأنصار يُزين فى مثل هذا العيد بمثل هذا العقد ؟ فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

مثال آخر

ومن باب فرط المحافظة على مال الدولة ماروى أنه لما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز قدم إليه صاحب المراكب مركب الخليفة فأبى وقال : اثبتونى ببغلى .

مثال آخر

ويقال : إنه كان ينظر ليلاً فى أمر الرعية فى ضوء السراج ، فجاء غلام له فحدثه فى شأن خاص بالأمير ، فقال له عمر :

أطفى السراج ثم حدثنى ، لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين ، ولا يجوز استعماله إلا فى أشغال المسلمين .

(أدب الإسلام)

الجزء الرابع . ص ٦١

مثال آخر

خطب سعيد بن سويد بمحضر فقال :

يا أيها الناس : إن الإسلام حائط منيع ، وباب وثيق ، فحائط الإسلام الحق ، وبابه العدل ، ولا يزال الإسلام ما اشتد السلطان ، وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ، ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

أمثلة في الاعتراف بالحق

(١) حدث أهل الأخبار : أن الحسن بن علي بن أبي طالب تولى الخلافة بعد أبيه ، وبايعه جمع عظيم من أهل العراق ثم كاتب معاوية ، فكان مما قاله في بعض كتبه :
« وإنما حملني على الكتابة إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ، وفي اتباع الحق الحظ العظيم ، والصالح للمسلمين ، فدع التماذي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيمتي ، ولاتنازع الأمر أهله ، فإنك تعلم أني أحق بهذا منك والسلام » .
فرد عليه معاوية بما خلاصته :

« قد فهمت الذي دعوتني إليه من الصالح ، فلو علمت أنك أضبط مني للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأقوى على جمع المال ، وأكيد للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ، ولكنني علمت غير ذلك ، فأنت أحق أن تجيئني إلى هذه المنزلة التي سألتني فادخل في طاعتي ولك أمر الخلافة من بعد ، فأنت أولى الناس بها بعدى والسلام » .

وبعد أخذ ورد رأى الحسن رحمه الله أن يحقن الدماء ، ويجمع الكلمة ، ويقوى الضعف ، ويعمل على نصر المسلمين ، فنزل عن الخلافة لمعاوية ، ورضى بأن يكون تابعاً لامتبوعاً ، وعرض نفسه لدم كثير من أنصاره وأتباعه ، وذلك أنه خطب الناس بعد نزوله عن الخلافة فقال :

أما بعد : فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ، وأنا أنصح خلقه لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضعيفة ، ولا مريداً له سوءاً ، وقد علمت أن جدى (محمدًا) صلى الله عليه وسلم أخبرني أصح بين فريقين متخاصمين ، ورضي لي أن أكون ذلك

المصلح ، فالحمد لله الذى وفقنى إلى تحقيق مايجب ؛ ألا وإن فى الذى تكرهون فى الجماعة ، خيراً لكم مما تحبون فى الفرقة ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم إلى ما فيه محبته ورضاه إن شاء الله .

(السميع الواعظ)

الجزء الثانى . ص ١٢٠

(٢) وإليك حديث كعب بن مالك ورفيقه ، وهم الثلاثة الذين نزل فيهم قول الله تعالى : (وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِعُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

فإنهم تخلفوا مع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى (غزوة تبوك) ؛ ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم جاء كل منهم يعتذر بما اخترع من أكاذيب ، واختلق من أذاليل ، إلا كعباً ورفيقه فإنهم لم يعتذروا بشئ من ذلك ، بل اعترفوا بالحق ، فكان جزاؤهم أن تاب الله عليهم ، ورضى عنهم ، ولما تاب الله عليهم قال كعب : يا رسول الله ، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة لله ورسوله .

فقال صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » .

(السميع الواعظ)

الجزء الثانى . ص ١١٧

أمثلة فى الثبات على مبدأ الحق

(١) من الثبات على مبدأ الحق ، والجهد فى سبيله ، والعمل على نصرته وتأييده ، ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا السبيل ، وهو أروع مثل وأجل أسوة ، وأعظم قدوة ؛ فإنه لما قام عليه الصلاة والسلام بالدعوة وتبرمت قريش بها ، وضاعت بها ذرعا ، ذهبوا إلى عمه أبى طالب للمرة الثالثة يشكونه إليه ويقولون :

« إن محمداً فعل فينا ما فعل ، فامنعه عنا ، وإلا فعلنا به ما نريد ، من التنكيل

والقتيل » .

ولم يجد أبوطالب بدءاً من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم والتحدث معه في مقالة قریش فدعاه وقص عليه ما قال وعماؤهم من التهديد والوعيد ، ثم قال له :
فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق .
وهنا سكث عليه الصلاة والسلام لحظة ، كانت جلالاً ورهبةً ، ثم انفرجت شفتاه بقوة الإيمان ، وعظمة الحق ، وقال : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .
تلك هي عظمة الحق والإيمان به ، والثبات على مبدأ الحق ، مما جعل عمه أبا طالب يقول له وقد اهتز لحديثه : اذهب فقل ما أحببت فلن أسلك أبداً .



(٢) وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثابتاً على الحق ، متمسكاً بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل .
فلقد كان رضي الله عنه حريصاً جداً الحرص على طاعة الله ورسوله ، لا يحيد يمنة ولا يسرة عما يأمره الله تعالى به ؛ فقد كان معروفاً بتتبع خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في كل شأن من شئون الحياة .
ومن ذلك ما وقع له مع جيش (أسامة بن زيد) وقبل أن يقوم ذلك الجيش إلى جهة الشام توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وطلبوا منه أن يصرف ذلك الجيش في هذا الوقت العصيب ، لأن الحاجة ماسة إلى بقائه بالمدينة فقال لهم :

كيف تطلبون مني حل جيش أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة ما صرفت ذلك الجيش .
وقد كان في نفس بعض العطاء شيء من تأمير (أسامة) على هذا الجيش لصغر سنه ، فقالوا لأبي بكر :

إن كان ولا بد من توجيه ذلك الجيش فيحسن أن تغير قائده بمن هو أكبر منه سنّاً ، وأقوى منه جاهاً .

فردم أبو بكر ردًا شديدًا وقال لهم : كيف تطلبون مني عزل قائد ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هذا لن يكون أبدًا ، وأنفذ ما كان يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنفاذه .

فكان عاقبة ذلك خيرًا وظفرًا للمسلمين ، وعزًا وسعادةً لهم ، وذلك كله بسبب تمسكه بالحق ، وثباته على مبدأ الحق .

(٣) وثبات أبي بكر رضي الله عنه على الحق مثل كثيرة :

منها : أن المشركين في مبدأ أمر الإسلام قد اضطهدوه اضطهادًا شديدًا ، كما اضطهدوا صاحبه الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يتعففوا عن إساءة أبي بكر وإيذائه بكل ما يستطيعون على الرغم من كونه عظيمًا فيهم ، محترمًا بين كبيرهم وصغيرهم ، لماله من متانة خلق ، وآياد بيضاء عليهم جميعًا .

فلم يؤثر في نفسه ذلك الإيذاء ، وتلك الإساءة أي تأثير ، ولم يغير شيئًا من ثباته على الحق ، ولم يضعف ثقته بربه تعالى ، بل زاده اضطهادهم إيمانًا وثباتًا .

ثبت أبو بكر رضي الله عنه على الحق ، حتى فضل أن يخرج مهاجرًا إلى الحبشة من وطنه المحبوب له ، ومفارقة أهله وعشيرته ، ويترك ماله وولده ، ورضى أن يكون كفرد من الناس الذين تنابهم ضرورات الأسفار ، وتتقاذفهم حاجات الغربة بدون مساعدة ولا معين . كل ذلك حرصًا على دينه ، وحبًا في مرضاة ربه ، وثباتًا على ما يعتقد حقا .

(السمير الواعظ)

الجزء الثاني من ص ١٢٢ إلى ٢٢٦

١١ - الجراءة في الحق

خرج الحجاج ذات يوم حارٍ وحضر غداؤه فقال : اطلبوا من يتغدى معي ، فطلبوا فإذا أعرابي في شملة فأتى به فقال : السلام عليكم .

قال : هلم أيها الأعرابي .

قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبت . قال : ومن هو ؟

قال : دعاني الله ربي إلى الصوم فأنا صائم . قال : وصوم في مثل هذا اليوم الحار ؟

قال : صمت ليوم هو آخر منه . قال : فأفطر اليوم وصم غداً .
قال : ويضمن لى الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلى .
قال : كيف تسألنى عاجلاً بأجل ليس إليه سبيل ؟
قال الحجاج : تالله مارأيت كاليوم ، أخرجوه عنى .
فسلم الأعرابى ثم انصرف فى شجاعة ، وجراءة فى الحق .

قل الحق . أنا قلت الحق

مما يؤثر عن الرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مذ كان قاضياً بالحاكم الأهلية ،
أنه حكم لأرملة فى قضية بفضل ذكر هاتين الجملتين : قل الحق ، أنا قلت الحق ؛ وهذه
القضية تتلخص فيما يأتى :

ورثت سيدة عن زوجها بضعة أطيان ، ولما شرعت فى تأجيرها تقدم إليها عمدة البلدة
وأظهر لها عطفه عليها ، ورغبته فى استئجار أطيانها والمحافظة عليها ، فقبلت بالإجارة التى
قدّرها لها شاكرة ممتنة .

وعوضاً عن أن يحرق عقد إجارة حرر عقد بيع ، وطلب منها ختمها للتوقيع عليه بحضور
اثنين من أعرانه .

ولما مضت السنة الأولى ، وحل ميعاد سداد الإجارة ، توجهت إليه لمطالبته بها ،
فأنكر عليها ذلك وقال لها : إنك بعت الأطيان لى ، وأخذت ثمنها منى بحضور الشاهدين ،
فذهلت المرأة ، وكادت تصعق من شدة الكدر ، فتوجهت إلى مصر ، ورفعت قضية
على هذا العمدة النصاب المزور ، وكانت القضية منظورة أمام الرحوم الشيخ محمد عبده ؛
فلما حضر الرجل وشاهداه ، أخرج الشاهدين ووضع كلا منهما فى غرفة خاصة وقال للرجل :
أنا لا أطلب منك سوى أن تقول عند دخول كل من الشاهدين : قل الحق ،
أنا قلت الحق .

فلما حضر الشاهد الأول قال له الرجل : هاتين الجملتين المذكورتين ، وأخذ حضرة
القاضى فى سؤاله عن الحقيقة ، فسردها أمام المحكمة كما روتها السيدة ، بأن العقد كان
عقد إجارة لا عقد بيع .

ولما حضر الشاهد الثاني قال له الرجل : هاتين الجلنتين أيضاً ، فاعترف الشاهد بما حصل حقيقة .

وكانت النتيجة أن حكم القاضي النبيه النزيه للمرأة برد أطيافها إليها ، وإجارتها لغاية يوم السداد ، ومعاينة العدة بالحبس ثلاث سنوات على تزويره وغشه ، ودفع الإيجار فوراً بلا كفالة ، ومعاينة كل من الشاهدين بالحبس سنة ، لاشتراكهما مع العدة في هذا العمل الباطل ، وشهادة الزور .

فخرجت السيدة منتصرة ، داعية له بأن يكافئه الله على هذا الحكم أحسن مكافأة ، رحمه الله رحمة واسعة ، وكتب له هذه الحسنة في صحيفة أعماله .

دعها فإن الحق أنطقها وأخرسه

(مثل نبيل من أمثال إيصال الحقوق إلى أهلها)

حدث الشيباني قال : جلس المأمون يوماً للمظالم ، فكان آخر من تقدم إليه — وقد هم بالقيام — امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته ؛ فنظر المأمون إلى يحيى بن أكرم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك . فقالت :

يا خير منتصف يهدي له الرشد ويا إماماً به قد أشرق البـلـد

تشكو إليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبـد^(١)

وابتز منى ضياعي بعد متعتها ظلماً وفرّق منى الأهل والولد

فأطرق المأمون حيناً ، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

في دون ماقلت زال الصبر والجلد عني وقرّح منى القلب والكبد

هذا أذان صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والجلس السبت إن يقض الجلوس لنا نصفك منه وإلا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت :

(١) السبد : القليل من الشر .

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأت إلى العباس ابنه .

فقال : يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد : يا أمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، خفضى صوتك .

فقال المأمون : دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها وأخرسه .

ثم قضى لها برد ضيعتها ، وظلم العباس بظلمه لها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يحمل لها ضيعتها من غير خراج ، ويحسن معاوتها ، وأمر لها بنفقة .
(معراج البيان وأدب الإسلام الجزء الرابع)

مثال لبيان الحق من الباطل

قال الله تعالى :

(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) الرعد ١٧

التفسير

مثل الله سبحانه وتعالى الحق في ثباته ، والباطل في اضمحلاله ، مثل ماء أنزله من السماء إلى الأرض ، فسالت أودية بقدرها ، فاحتملت الأودية بمائها الكبير بكبره ، والصغير بصغره ، بحسب حاجة الناس ، فاحتمل السيل زبداً ، أى ريماً عالياً فوق السيل ، فهذا أحد مثلى الحق والباطل .

فالحق هو الماء الباقي الذى أنزله الله من السماء ، والزبد أو الريم الذى لا ينتفع به هو الباطل .

والمثل الآخر فى قوله تعالى : (ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله)

أى مثل الحق والباطل ، كمثل فضة أذهب يوقد عليها الناس فى النار طلباً لحلية يتخذونها أومتاع ، وذلك من النحاس والرصاص والحديد يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به زبد مثله ، يعنى زبد السيل لا ينتفع به ويذهب باطلاً .

وقوله تعالى : (كذلك يضرب الله الحق والباطل) يعنى كما مثل الله الإيمان والكفر فى بطلان الكفر ، وخيبة صاحبه عند مجازاة الله بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحق والباطل .

وقوله تعالى : (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) ؛ أى أما الزبد الذى علا السيل ، والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها ، فيذهب جفاء بدفع الرياح وقذف الماء به ، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادى .

وأما ما ينفع الناس من الماء والذهب والفضة والنحاس والرصاص ، فالماء يملكث فى الأرض فتشربه ، والذهب والفضة والنحاس والرصاص تمكث للناس .
(الأمثال القرآنية للمؤلف)

يقول الحق بلا خوف ولا وجل

روى أن معاوية بن أبى سفيان كان جالساً وعنده جماعة من الأشراف فقال معاوية :
مَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ أَبَاً وَأُمًّا وَجَدًّا وَعَمًّا وَعَمَةً وَخَالًا وَخَالَةً ؟

فقام النعمان بن العجلان الزُّرقى بعد ما أخذ بيد الحسن فقال :

هذا الحسن أبوه على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة الزهراء ، وجدته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمته أم هانئ بنت أبى طالب ، وخاله القاسم ، وخالته زينب .

فهذا هو الشرف الذى لا يدانى ، والفضل الذى لا يبارى .

فانظر كيف قال النعمان الحق بلا خوف ولا وجل ، ومعاوية إذ ذاك خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين ، فكان يجوز أن يشرفه على سواء ، ولكنه آثر الحق وقال الحق .

فهكذا تكون الرجال ، وهكذا يكون الحق فى المقال .

وأفضل القول كلمة الحق عند من تخافه .

قل الحق وإن كان على نفسك

حكى أنه جرى بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلام طويل في آخره قال ابن الزبير :
ما مثلى يهارش ، ولكن عندك من قریش والأنصار ومن ساكنى الحجون (جبل
بمكة) والإطام (بلدة باليمامة) من إن سألته حملك على محبة أبين من ظهر الجفین (جمعة
من جلود لاخشب فيها) قال : ومن ذلك ؟ قال : هذا . يعنى أبا الجهم بن حذيفة .
فقال معاوية : تكلم يا أبا الجهم . قال : اعفى . فقال : عزمت عليك لتقولن .
قال : نعم ، أمك هند ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وأسماء خير من هند ، وأبوك أبوسفیان
وأبوه الزبير ؛ ومعاذ الله أن يكون أبوسفیان مثل الزبير .
وأما الدنيا فلك ، وأما الآخرة فله إن شاء الله تعالى .
فصل بينهما بالحق ، وقول الصدق .

يجب رد الحق إلى صاحبه

عن أبى مطر البصرى أنه شهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنى صاحب التمر
وجارية تبكى عند التمار ، فقال ما شأنك ؟
قالت : باعنى تمرأ بدرهم ، فرده مولای فأبى أن يقبله .
فقال على : يا صاحب التمر خذ تمرک وأعطاها درهمها ، فإنها خادم وليس لها أمر ،
فدفع علياً .
فقال المسلمون لصاحب التمر : أتدرى من دفعت ؟ قال : لا .
قالوا : أمير المؤمنين ، فصب التمر وأعطاها درهمها وقال : أحب أن يرضى عنى .
فقال على : ما أَرْضانى عنك إذا وفيت الناس حقوقهم .
من هذه الحكاية تعلم مقدار تواضع سيدنا على وعدم ضرره الرجل ، وكيف نصح له
وأمره برد الحق إلى صاحبه .

فكاهة طريفة

يمحكي أن الحق اشترك مع الباطل في حمار فركب الباطل الحمار ، والحق ماش بجواره ، فلما وصلا إلى منتصف الطريق طلب الحق من الباطل النزول عن الحمار ليركب مكانه في النصف الباقي من الطريق حسب الاتفاق ، فأبى الباطل وتنازعا .

فبينما هما كذلك ، إذ أقبل عليهما رجل بسيط ، فقال الباطل للحق : أتريد أن يحكم بيننا هذا الرجل الطيب ، فقال الحق : لا بأس .

فقال الباطل للرجل : بالله عليك قل لنا : الحق يمشى أم الباطل ؟

فقال الرجل : الحق يمشى .

فقال الباطل للحق : هل سمعت هذا الحكم ، بأن الذي يمشى هو الحق لا الباطل ؟ واستمر راكباً الحمار حتى وصل إلى غايته ؛ وعجب الحق من تغلب الباطل عليه .

والحقيقة أن الحق والباطل لا يتفقا ولا يستويان ، كما أنه لا تستوى الظلمات والنور ، ولا الأعمى والبصير .

الحق والصدق

انصر الحق فإن الحق نور	واخذل الباطل واهجر كل زور
فسلاح الحق أمضى فتكة	من حسام في يدي ليث مصور
وأخو الباطل مخذول وكم	جلب الباطل أسباب الشرور
والزم الصدق تحز عند الورى	ثقة في كسبها نبح الأمور
فاز بالحسنى رجال صدقوا	ولهم قد أجزل الله الأجور
سعدوا بالصدق في دنياهمو	وغداً فازوا بجنات وحوور
فهنيئاً لهم ما منحو	من جنان ذات حور وقصور
جانب الكذب ولو في مضم	والزم الصدق ولو فيه الثبور
إن دعاك الحق قم لب النداء	دأماً دُر معه حيث يدور

إن دعاك الحق فانهض مسرعاً
إن دعاك الحق فالزم نهجه
اتبع الحق فقيهه للألى
آفة الحق الهوى من يعصه
يا أخا الحق على التهج استقم
اتبع الحق وكن من أهله
فهو من كل البلايا عصمة
دولة الباطل في يقظتها
أو كومض البرق في سرعته
وجلال الحق في روعته
يا حمة الحق لا يقعدكم
انصروا الله تنالوا نصره
لاتناموا عن جهاد واحذروا
إنما الدنيا متاع زائل
وانصر الحق إذا عز النصير
إن نهج الحق رضا منير
تبعوه متجر ليس يبور
فهو بالعقل على النفس أمير
(لا يفرّتك بالله الفرور)
فاز أهل الحق بالخير الكثير
وهو في البرزخ نور في القبور
كهزيم الرعد في اليوم المطير
شأنها الخذلان في كل العصور
يعمر الدنيا إلى يوم النشور
ثقل قد يعتريكم أوفتور
وتفوزوا برضا الله القدير
هول يوم الحشر والعرض الكبير
ليس تبقى وإلى الله المصير
(عن مجلة الإسلام)

الباطل

الباطل ضد الحق ، وهو كل عمل يخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، فمن اتبعه كان من الأخسرين أعمالاً الذين قال الله فيهم :
(الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .
ويكون جزاؤه السخط والغضب من الله والناس أجمعين ، ويكون له في الآخرة عذاب أليم .

وقيل : الباطل هو كل ما كان فيه معصية لله ، وطاعة للشيطان .
وقيل : الباطل اسم لكل ما لا يحل في الشرع كالزنا ، والخمر ، والميسر ، والغصب ، والسرقه ، والخيانة ، وشهادة الزور ، وأخذ المال باليمين الكاذبة ، وأكل أموال الناس بالباطل وجحد الحق . ويقال : أبطل الرجل أى أتى بما لاحق له فيه فهو مبطل .

الخوض في الباطل حرام

الخوض في الباطل : هو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء وتبخر الملوك ، ومراسم المذمومة ، وأحوالهم المكروهة ، فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ، وهو حرام .

وأما الكلام فيما لا يعنى أو أكثر مما يعنى ، فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه ، نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لا يؤمن عليه الخوض في الباطل .

وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ، ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل .

أنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنها ، فلذلك لا نخلص منها إلا بالاعتصاف على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا .

وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقها ، فقد قال بلال بن الحرث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وكان علقمة يقول : كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ يَضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءُهُ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثَّرَيَّا » .

وقال أبو هريرة : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُ النَّاسِ خِطَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ » . وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) .

وبقوله تعالى : (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ)
وقال سلمان : أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله .

وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم : توضئوا فإن بعض ما تفعلون شرٌّ من الحديث .

فهذا هو الخوض في الباطل ، وهو وراء ماسياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها .

بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها ، أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها .

ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع ، والمذاهب الفاسدة ، وحكاية ماجرى من

قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم ، فذلك باطل ، والخوض فيه خوض في الباطل .

نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه .

عن كتاب « الإحياء » للغزالي (الجزء الثالث)

الآيات القرآنية الواردة في الباطل

سورة البقرة

١ - (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ٤٢

ولا تخلطوا الحق بالباطل وتخفوا الحق وتعلمون أنه حق .

٢ - (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ، وَتُدْأُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ١٨٨

ولا يأكل كل بمضكم أموال بعض بالباطل ، ولا تدفعوها إلى الحكام (بصفة رشوة)

لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون .

٣ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ

رِثَاءَ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ٢٦٤

يا أيها المؤمنون : لا تبطلوا (لا تضعوا) ثواب صدقاتكم بالامتنان والأذى ، فتكونوا

كمن ينفق ماله سرًا للناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر .

سورة آل عمران

٤ - (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ؟) ٧١

يا أهل الكتاب : لماذا تكفرون بآيات الله (القرآن) وأنتم تشهدون بما تقرأون عنه

في كتبكم أنه حق منزل من عند الله ؟

ولماذا تخلطون الحق بالباطل وتكتمون الحق (أى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) التى

ترونها مذكورة فى كتبكم وأنتم تعلمون أنها حق .

٥ - (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَبَنَفَسَكُرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ، قَفْنًا عَذَابِ النَّارِ) ١٩١

يقول الله تعالى فى الآية ١٩٠ : إن فى خلق السموات والأرض على ما بهما من إحكام

وإبداع ، واختلاف الليل والنهار ، آيات لأهل العقول السليمة الذين يذكرون الله على جميع الحالات : قياماً وقعوداً ومضطجعين ، ويتفكرون في خلق الوجود قائلين : ربنا ما أبدعت هذا كله عبثاً من غير حكمة ، فنزلهك يا الله عن كل نقص فاحفظنا من عذاب النار .

سورة النساء

٦ - (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ١٦١

بعد أن ذكر الله أنه حرّم على بنى إسرائيل (اليهود) طيبات كثيرة كانت أحلت لهم وكان ذلك بسبب ظلمهم وصدّهم (منهم) عن سبيل الله كثيراً .
قال : وبسبب أخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وقد أعد للكافرين منهم عذاباً أليماً .

سورة الأعراف

٧ - (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١١٨

لما ابتلعت عصا موسى ذلك السحر العظيم (الذى دبره فرعون وجنوده) ثبت الحق وبطل ؛ أى تلاشى ما كان السحرة يعملون ، فغلبوا وانقلبوا أذلاء صاغرين .

٨ - (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفَاعِلُونَ) ١٣٩

لما جاوز بنى إسرائيل البحر فصادفوا قوماً يقيمون على عبادة الأصنام فقالوا : يا موسى ؛ أوجد لنا إلهاً كما لهم آلهة ، فقال لهم : إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء الكفار مدمروهم مدمم مام فيه من الضلال ، ومضطحل كل ما يعملونه من عبادة الأصنام والإخبات لها .

٩ - (أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا

بِمَا فَعَلَ الْمُتَظِلُّونَ ؟) ١٧٣

ذكر الله في الآية السابقة ١٧٢ أنه يوم القيامة يقول لبنى آدم : ألسنت بر بكم ؟
فيقولوا : نعم ؛ اعترافاً وإشهاداً منهم ، وهذا الاعتراف خشية أن يقولوا : إنا كنا
عن هذا غافلين ، أو يقولوا : إنما أشرك آبائنا فاتخذنا بهم ، أقتلكننا بما فعل هؤلاء
المبطلون ؟ .

سورة الأنفال

١٠ - (لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ٨

ليثبت الله الحق ويهدم الباطل ولو كره المجرمون .

سورة التوبة

١١ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ٣٤

يأبىها المؤمنون : إن كثيراً من علماء اليهود ورهبان النصارى ليقتالون أموال الناس
من طريق الباطل (الرشوة) وبيع الرحمة ، ويصدونهم عن اتباع دينه الصحيح .

سورة يونس

١٢ - (فَلَمَّا أَتَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ ، إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ، إِنَّ اللَّهَ

لَا يُضْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) ٨١

فلما جاء السحرة والتفوا بموسى قال لهم : ألقوا ما أنتم ملقون ، فلما ألقوا حباهم
وعصيهم خيل للناس أنها ثعابين ، قال لهم موسى : إن ما جئتم به هو السحر لا ماسماه فرعون
سحراً ، وإن الله سيبطله ، إنه لا يقوى عمل المفسدين .

سورة هود

١٣ - (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١٦

بعد أن قال الله : من كان يريد الحياة الدنيا وزخرفها سلك الطرق المؤدية إلى رغباته منها من النظام والاقتصاد والأخذ بالأسباب ، وفينا إليهم جزاء جهودهم هذه ، ولم نبخسهم ذرة مما يعملون .

قال : ولكنهم لا يكون لهم في الآخرة إلا النار ، لأنهم قصرُوا همهم على الدنيا ، وباطل ما صنعوا فيها ، لأنهم لم يقصدوا به الثواب ، وباطل في نفسه ما كانوا يعملون .

سورة الرعد

١٤ - (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) ١٧

جعل الله تعالى مثل الباطل كمثل الزبد الذي يتكون فوق الماء ثم يضمحل ، وجعل مثل الحق كمثل الماء والمعادن التي تنفع الناس وتمكث في الأرض ، وسبق تفسير هذه الآية .

سورة النحل

١٥ - (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ؟) ٧٢

الله جعل لكم من جنسكم أزواجاً ، وجعل لكم منهن أبناء وحفدة (أبناء الأبناء) ورزقكم من الطيبات .

أفتؤمنون بالباطل وهو اعتقادكم في نفع الأصنام ؟ وتكفرون بنعمة الله حيث تنفقون نعمة على الأصنام .

سورة الإسراء

١٦ - (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) ٨١
وقل : جاء الحق بالإسلام وذهب الباطل بالكفر ، إن الباطل كان زهوقاً مضمحلاً .

سورة الكهف

١٧ - (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَیُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا) ٥٦
وما نرسل المرسلين إلا ليبشروا الناس بالرحمة والمغفرة من الله ، وينذرونهم بالعذاب الأليم .
(ويجادل الذين كفروا بالباطل) أى باقتراح الآيات ويتخذوا آياتى والذى أُنذروا به هُزُوًا .

سورة الأنبياء

١٨ - (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) ١٨
بل نرمى بالحق على الباطل فيمحقه ويسحقه فإذا هو هالك ، ولكم الويل مما تصفون به .

سورة الحج

١٩ - (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٦٢
بعد أن بين الله فى الآيات السابقة قدرته وعظمته قال : ذلك لأن الله هو الحق الواجب عبادته لذاته ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى على الأشياء الكبير على أن يكون له شريك فى ملكه .

سورة العنكبوت

٢٠ - (وَمَا كُنْتُمْ تَقُولُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُنَاطِلُونَ) ٤٨

وما كنت يا محمد تقرأ من قبل القرآن كتاباً ولا تكتبه بيدك لأنك أُمِّي لا تقرأ ولا تكتب .

فلو كنت قارئاً وكاتباً لشكَّ المبطلون في رسالتك وقالوا : إنك تأتينا بما تنتحله من الكتب السابقة .

٢١ - (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) ٥٢

قل لهم يا محمد : كفى بالله شاهداً علىّ وعليكم ينصر الحق ويخذل الباطل يعلم ما في السموات والأرض . والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله هم الخاسرون .

٢٢ - (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ؟) ٦٧

أو لم يروا أننا جعلنا لهم حرماً آمناً (الكلام على أهل مكة) بينما العرب يختلسون قتلاً وسبياً من حولهم لوجودهم في حالة حرب دائمة ، أفبالأصنام يؤمنون بعد هذه النعم الإلهية الظاهرة وبنعمة الله يحقدون .

سورة الروم

٢٣ - (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَلَٰكِنْ جِثَّتْهُمْ بَايَةٌ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) ٥٨

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ، ولئن جثتهم بآية من القرآن ليقولن الذين كفروا ما أنتم (إلا مبطلون) مزورون تصنعون الكلام وتدّعون أنه وحى من عند الله .

سورة لقمان

٢٤ - (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٣٠

سبق تفسيرها في سورة الحج .

سورة سبأ

٢٥ - (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) ٤٩

قل : جاء الحق (الإسلام) وهلك الباطل ، والهلاك لا يبدى ولا يعيد .

سورة ص

٢٦ - (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ،
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) ٢٧

وما خلقنا الكون (السماء والأرض) خلقاً باطلاً لاحكمة فيه ، ذلك ظن الذين كفروا
فالويل (الملاك) لهم من النار .

سورة المؤمن

٢٧ - (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ
بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ؟) ٥

وجادلوا بالباطل ليبطلوا به الحق فأهلكتهم ، فكيف كان عقابي لهم ؟ .

سورة فصلت

٢٨ - (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ٤٢

هذا القرآن لا يأتيه الباطل من أى جهة من جهاته؛ لأنه تنزيل من إله حكيم ، محمود بكل لسان .

سورة الشورى

٢٩ - (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ٢٤

يمح الله الباطل ويذهبه ، ويحق الحق أى يثبتته ، لأنه عليم بما يحتلج فى صدور الناس من الهواجس والنوايا الرديئة .

سورة الجاثية

٣٠ - (وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ يُخَمِّرُ

الْمُبْطِلُونَ) ٢٧

الله الملك المطلق على السموات والأرض ، ويوم تقوم الساعة يخسر أهل الباطل أنفسهم لتماذيرهم فى الضلال فى حياتهم الدنيا .

سورة محمد

٣١ - (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ

مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) ٣

بعد أن قال الله تعالى : الذين كفروا ومنعوا الناس عن سبيل الله أى الإسلام ، أحبط الله ما عملوه من حسنات فى دنياهم ؛ وأما المؤمنون فحبا عنهم ذنوبهم ، وأصالح حالهم ، قال : ذلك بأن الكافرين اتبعوا الباطل ، والمؤمنين اتبعوا الحق الذى جاءهم من ربهم ، كذلك يبين الله للناس أحوالهم .

٣٣ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ .
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)
٣٣ — ٣٤

يأيها المؤمنون أطيعوا الله ورسوله ولا تبطلوا أعمالكم ؛ لأن الذين كفروا ومنعوا الناس
عن الإيمان ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله عنهم .

بعض أحاديث وردت في الباطل

١ — عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَثَلُ الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ (أى على الباطل) كَمَثَلِ بَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بئرٍ فَهُوَ يُنَزَّعُ مِنْهَا بِذَنبِهِ » . رواه أبو داود وابن حبان

٢ — وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي مُلْكِهِ ، وَمَنْ أَعَانَ
عَلَى خُصُومَةٍ لَا يَنْفَلِمُ أَحَقُّ أَوْ بَاطِلٌ فَهُوَ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يُنَزَّعَ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ قَوْمٍ
يَرَى أَنَّهُ شَهِيدٌ وَلَيْسَ بِشَهِيدٍ فَهُوَ كَشَهِيدٍ زُورٍ ، وَمَنْ تَحَلَّمَ كَاذِبًا كُفِّ أَنْ يَغْفِدَ
بَيْنَ طَرَفَيْ شَعِيرَةٍ ، وَسَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . رواه الطبراني

خطبة في صراع الحق والباطل والعدل والظلم

وأن النصر للأول منهما

الحمد لله بحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون . الحمد لله يرخى للظالمين
العنان ، ثم يأخذهم من حيث لا يشعرون .

الحمد لله يقلب الليل والنهار ، ويغير العالم في الزمن اليسير ، من حال إلى حال .

الحمد لله يمد من أطاعه بالنصر المبين ، ويمجّزى من جاهد في سبيله بالنفوز العظيم .

(وَلَا يَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

أشهد أن لا إله إلا هو بيده ملكوت كل شيء ، وإليه مرجع كل شيء ، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بين لنا الطريق المستقيم ، في كتاب الله وسنة رسوله الأمين .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فإن العمل اليوم ، والحساب في الغد (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

(وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ، وَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُوا بَأْأُولَى الْأَلْبَابِ) .

نعم لا تتقوا إلا الله ، ولا تخشوا إلا عذابه (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ . وَهُوَ الْغَمُورُ الْوَدُودُ ، ذُرُّ الْمَرْشِ الْبَاجِيدُ . فَمَّا لِمَا يُرِيدُ) .

يفعل ما أراد مما يقتضيه عدله وحكمته ، وتدعو إليه مغفرته ورحمته ، فالذين بنوا وظلموا لهم عذاب أليم (وَمَكَرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) وما لهم من دون الله من أولياء ثم لا ينصرون ، بل خذلان عظيم ، وخرق كبير ، لا يرجي له إصلاح ، ولا يؤمل معه نجاح ، جزاء بما اكتسبوا (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

أيها المؤمن : مادمت بالله مصدقاً ، وبالعامل الصالح قائماً ، فثق بالحياة الطيبة ، والغرة العالية ، والثروة الواسعة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) ، (وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) .

فجِدُّوا واعملوا ، ولا تقولوا ما لا نفعلون (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ) لقد ملائتم الجور بالكلام ، وما نرى فيكم صالح الأعمال ، وتمنيتم الأمانى الكبيرة ،

ولم تتخذوا لذلك من وسيلة ، بحج صوت الناصحين ، ونكسرت أقلام الكتّابين ، ولا زلتم في لهوكم تفرحون ، وبظاهر من القول تفرحون .

ألا إن القول قد فات أوانه ، والعمل أدرككم وقته وإبانه ، فازرعوا الطيب لتحصدوه ، وسابقوا إلى الخير لتغنموا ، فوالله هلك قوم لم يعملوا (وَيَحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فاقنوا القول بالعمل ، وآثروا الجد على الكسل (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) .

اعملوا كما عمل الأسلاف ، وبرهنوا بأفعالكم على قوة إيمانكم ، ومضاء عزيمتكم ، وشدة شكيمتكم .

ألا إني أرى بصيصاً من النور قد ظهر في مشارق الأرض ومغاربها ، وأنه أخذ يُبدد الظلم ، ويهدم هياكل الاستبداد ، ويدك صروح الاستعباد .

وأكبر ظني أنه سيم البقاع ، وأنه لكل أمة خير زاد ومتاع ، وأنه غوث الله العظيم (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) .

فاستبشروا أيها المؤمنون ، واعلموا أن قوة الله فوق كل قوة ، وسطوته أعظم من كل سطوة ، وأن عدله قائم ، وقضائه نافذ (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) .

روى أبوداود عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ الْكَفَّ عَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا نُكْفَرُ بِذَنْبٍ ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ ، وَالْجِهَادُ مَا رِضَ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يُقَاتَلَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَمِ الدُّجَالُ ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ بَاطِلٍ ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ » .

(عن كتاب إصلاح الوعظ الديني)

للمرحوم الشيخ محمد عبد العزيز الخولي

الموضوعات

١ - صراع بين الحق والباطل

يدوم خمس سنوات وينتهي بانتصار الأول على الثاني

خلاصة قضية

رفعت من وصى أمين على وصى خائن مقتصب لأطيان القصر أولاد أخيه

توفي أحد الأعيان ، وترك لورثته (أولاده وزوجته وأمه) أطياناً بثلاث نواح وكانت في المشاع مع أطيان أخيه الذي تعين وصياً على القصر مدة من الزمن ، ثم عزله المجلس الحسبي لسوء تصرفه وتبديده أموال القصر ، وعين وصياً آخر بدلاً عنه ، وحصلت قسمة عرفية بين الشركاء ، وتحرر عقد بها وافق عليه المجلس الحسبي ، واختص القصر ووالدتهم بأطيان في إحدى النواحي ظهر فيها بعد أنها مرهونة في دين على أخيه الوصى السابق ، ونزعت ملكيتها بناء على طلب الدائن له ، فاضطر الوصى الجديد لرفع قضية على الوصى السابق المقتصب وشركائه تنفيذاً لمقد القسمة الذي اعترف فيه الوصى السابق - عم القصر - (بأن القطع التي اختص بها القصر ووالدتهم ليس عليها رهونات أو ديون ، وإذا ظهر عليها ضده أى رهن أو دين يكون الطرف الثاني من الشركاء مستولاً عنها) .

ودفع الشركاء بأن مورث المدعين كان ضامناً لأخيه في الرهن الذي من أجله نزعت ملكية الأطيان ، وأنه أقر كتابةً بأنه متضامن في الدين مع أخيه بموجب (ضمانة صورية مزورة) قدمها هذا الأخ الخائن ضمن أوراق الدعوى ، وكانت المحكمة على وشك الحكم برفض الدعوى ، وضياح الأطيان على هؤلاء القصر ، لولا أن الله جلت قدرته أراد أن يظهر الحق ، ويبطل الباطل ، فألم الوصى الجديد بوجود مخالصة بين الأخوين تفيد أن الأخ الظالم تجاسب مع أخيه المتوفى على جميع الإيرادات والمصروفات ، ولا يستحق طرده شيئاً ، وكان ذلك بعد تاريخ الضمانة المزورة بنسبة شهر تقريباً ، فكلفته المحكمة بإحضارها ، وقد أحضرها بعد عناء شديد من دفترخانة المحكمة ، بعد أن كانت مرسلة للحفظ والحرق ضمن القضايا التي انتهت فيها العمل من خمس سنوات .

فبعد أن اطلمت المحكمة عليها (حكمت عليه وعلى شركائه بالزامهم بدفع الثمن الذي قدره الخبير) ووافقت عليه المحكمة .

وجاء ضمن حيثيات الحكم (أنه تبين من الاطلاع على الورقة المقدمة أخيراً وهي لاحقة في التاريخ لورقة الضمان التي ضمن فيها مورث المدعين دين أخيه أنه لا يستحق طرفه شيئاً وبذلك تكون هذه الورقة قد نسخت ورقة الضمان المقدمة من المدعى عليه الأول لأنها لاحقة لها في التاريخ ، ويتعين إلزام المدعى عليهم بقيمة الأطنان التي نزلت من تحت يد المدعين وريعها من تاريخ خروجها من تحت يدهما) .

وكان في ذلك خذلان عظيم لهم ولحضرات المحامين الذين جاءوا للدفاع عنهم وإعاتهم على هذا الضلال ، وانتصار للحق على الباطل ، (والله لا يهْدِي القوم الظالمين) .
وكانت عاقبة هذا الوصي الخائن الافلاس والسخط واللعنة عليه من جميع الناس .

٢ - الحق يعلو ولا يُعلى عليه

خلاصة رواية تمثيلية عنوانها : « الحق والباطل »

للمرحوم صديقنا الحاج محمد الهراوي نذكرها تحليداً لذكره ، واعتزاً بفضلها
اتفق أحد الصياغ مع خادم المحل الذي يشتغل فيه على أن يحضر له زبونا غشوماً
ليبيع له العقد المزيف الذي صنعه من الزجاج باسم (الماس حقيقي) ، وأن يعطيه العقد
الحقيقي الموجود بالمحل ليبيعه في الخارج ويقتسم الثمن مناصفة .

فذهب الخادم إلى السوق ووجد رجلاً فلاحاً ومعه امرأة يبحثان عن محل لشراء عقد
من الماس ، فأحضرهما إلى محل الصائغ .

وبعد أن عرض عليهما العقد المزيف ، أخذ يتجادل مع الرجل في أنه عقد من الماس
الحقيقي ، وأمكنه بخداعه وحيلته أن يؤثر على المرأة وإتاعها حتى رضيت وقبلت شراء
العقد بمائة جنيه ، وأخرجت من حافظتها أوراق النقود وأعطتها للصائغ ، وانصرفت
فرحة مسرورة بالعقد .

ولكن زوجها الحريص كان متردداً في قبول العقد ، معتقداً أنه مزيف ولا يساوي
المبلغ المذكور ، فقد خرج غاضباً ساخطاً عليها .

وبعد انصرفا فاعطى الصائغ للخادم عقداً آخر مزيفاً أيضاً بدعوى أنه من المحل ، وأنه عقد من الماس الحقيقي ليبيعه عند أحد التجار بمائة جنيه ، ويأخذ منه خمسين جنيهاً ، ويعطيه النصف الثانى حسب اتفاقهما .

أما الرجل والمرأة فاتفقا على معاينة العقد عند أحد تجار الجواهر للاطمئنان على صحته ، فلما قدما العقد إليه لفحصه وجده مزيفاً ومصنوعاً من الزجاج ، وأخبرهما بالحقيقة ، فدهشت المرأة وكادت تصعق ، وحزنت على ما حصل لها ، وأخذ زوجها يهدئ روعهما ، ويقيم لها الحجة على أنها كانت مخدوعة فيه ، وأنها كانت متأثرة بأقوال الصائغ الساحرة ، وأنه نصحها بعدم قبوله فلم ترض .

فرجعا مسرعين إلى محل الصائغ الأول الذى باع العقد لها فلم يجدا الصائغ ولا الخادم ، بل وجدا صاحب المحل نفسه ، فتقدمت إليه المرأة وعلى وجهها علامات التأثر والحزن ، ومن ورائها الرجل وأمارات الانفعال والغضب بادية على وجهه ، ومعهما الشرطى (عسكري البوليس) الذى حضر لضبط الواقعة .

وقدمت المرأة لصاحب المحل العقد المزيف قائلة للشرطى : هاهو المحل الذى اشترينا منه العقد ، ولكن الصائغ الذى باعه لنا غير موجود ، وكذا الخادم الذى أحضرنا إليه . فسأل الشرطى صاحب المحل عنهما فأجاباه بعدم وجودهما ، وقال له :

يستحيل أن يحصل هذا العمل بمحلى هذا ، لأنه محل مضمون وموثوق به من مدة . فقدم الرجل إليه الفاتورة التى كانت مع العقد ليثبت له أنها من محله ، وأنها بخط وإمضاء الصائغ ، فدهش صاحب المحل من هذا العمل المزرى المحل بسمعته وشرفه ، وكان له وقع أليم فى نفسه .

وبعد أخذ وردّ وجدال عنيف بين الرجل والمرأة وصاحب المحل ، طلب إليهم الشرطى أن يذهبوا معه إلى القسم للتحقيق معهم بمعرفة الضابط نفسه ؛ فذهبوا وصاحب المحل يقول :

اللهم أظهر الحق ، اللهم احفظ على سمعتى وشرفى .

وابتدأ الضابط في فتح المحضر وعمل التحقيق معهم ، وفي هذه الفترة حضر الصانع من الخارج فلم يجد صاحب المحل ووجد الدواليب مغلقة .

أما الخادم فبعد خروجه من المحل أخذ يقلب العقد الثاني الذي أخذه من الصانع لبيعه واقتسام ثمنه بينهما ، فوجده مزيفاً أيضاً ، وأن الصانع قد غشه ، وضحك عليه كما ضحك على الرجل والمرأة وغشهما ، فرجع إلى المحل غضبان أسفاً ، ووجد الصانع فأخبره بما رآه ، وحصلت بينهما مشادة ومشاجرة ، انتهت بذهابهما إلى القسم .

وهناك التقى الخادم والصانع بصاحب المحل ومعه الرجل والمرأة ، فعرف الخادم أن الصانع قد وقع في الفخ ، وأخذ الضابط في التحقيق مع الجميع ؛ فحينئذ اعترف الخادم بالحقيقة أمام سيده صاحب المحل وقال :

ياسيدي أنا أقول الحق ، إنما أرجو تبرئتي ومعافاتي : هو قال لي في الصباح إنه صنع عقداً من الزجاج ويريد زبوناً غشياً يبيعه له باسم ماس حقيقي ، وكلفني أن أحضر له الزبون المطلوب ، فذهبت إلى السوق ووجدت هذا السيد وهذه السيدة معه يبحثان عن محل لشراء عقد فأحضرتهما إليه ، وبعد أن باع العقد الزجاجي بمائة جنيه أعطاني عقداً آخر على أنه ماس حقيقي لأبيعه وأحضر له ثمنه ، ثم أخذ منه خمسين جنيهًا نصف ثمن العقد المزيف .

حصل ذلك قبل حضورك ياسيدي ، وأقول لك الحق : إني نويت أن أنقص مبلغاً من ثمن العقد الحقيقي لأخذ الفرق من هذا الصانع الخائن .

ولما وجدت العقد الذي أخذه منه لأبيعه مزيفاً عدت في الحال وأخبرته وتخاصمنا وحضرنا إلى هنا .

هذه هي الحقيقة أقررها ، وأمرى الله يفعل ما يشاء .

فقال صاحب المحل للضابط : أرجو إثبات ذلك في المحضر ، وحقيقة (إذا تخاصم اللسان ظهر المسروق) .

وبعد أن أثبت الضابط كل ذلك في المحضر ، أمر المسكري بتفتيش الصانع أمام صاحب المحل فتمتثله ووجد معه أوراقاً من النقود قيمتها مائة جنيه ، فأخذها الضابط وسلمها لصاحبتها ، وأثبت ذلك أيضاً في المحضر . وانصرفت السيدة وزوجها وهما يقولان : الحمد لله الذي أظهر الحق ، وردت إلينا نقودنا .

وحقا المال الحلال لا يضيع ، والباطل يرمى صاحبه في الدنيا بالخرى والعار ،
وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار .

وبعد انتهاء التحقيق وقفل المحضر ، أمر الضابط بحبس الصانع والخادم ، وأرسل
الأوراق إلى النيابة لإحالتها إلى المحكمة للنظر في عقابهما حسب القانون على جريمة الفس
والتزوير ، والنصب والاحتيال .

ولما همّ صاحب الحل بالانصراف ، حامداً شاكرًا الله على ظهور الحق ، طلب منه
للصانع السماح والمغفرة قائلاً له :

سامحني إني تبت الآن ، ولعنة الله على الباطل ، وقد ندمت على ما فعلت ، وعزمت
على أن لا أعود للباطل أبداً .

فأجابه صاحب الحل : لا تنفع التوبة إلا بعد العقاب ، والله يتوب على من تاب .
والحق يعلم ولا يُعلى عليه .

الحق والزور

<u>الحق</u> طاول في السماء شهابا	<u>والزور</u> ساء على الزمان مآبا
هذا هو الكذب الصراح بعينه	والحق صدق إن أردت صوابا
الذين لا يرضاه صاحب عفة	فيما (صديق) قد رأيت عتابا
ما كنت أرجو أن أذكركم بما	ساق الإله من الكلام جوابا
فلأنت تحفظ آية وتعيده	ولأنت تصلي الكاذبين عقابا
ولئن نسيت الآي فاذا كر سنة	فلقد أخذت من الحديث نصابا
ولقد عرفت خلال نفسي يافتي	أفأستطيع وإن هممت كذابا
أفأترى أن الصواب بجانب	فتجذد للود القديم إيابا
إني لأسمع منك وسط مجالس	أن للكذوب لدى الإله تبابا

<u>إني رأيت الحق يعلو واصباً</u>	<u>والزور يلحق بالبيوت يبابا</u>
فعرفت حقاً واهتديت بنوره	وعرفت زوراً فاطرحت خرابا
<u>الحق يرفع صاحباً وبعزه</u>	<u>والزور يخفض صاحباً وصحابا</u>
إن كنت تبغى أن أبدل بالضيا	سود الدياجي أو أجرع صابا
فأبى عن البرهان حتى أنثنى	إن كنت ترضى للصديق لعابا
وإذا أردت مودة فاقراً أخى	الحق طاول فى السماء شهابا

صافور — دقهلية

أحمد محمد عبد الرحمن باز

(مجلة الإسلام)

العدد ٤١ السنة الرابعة ص ٣٣

العدل أساس الملك

(العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ونصبه للحق)

الميزان العادل بين الحق والباطل يقول :



أنا الميزان لا أخطئ وغير الحق لا أعطي
لقول الخالق البارى : (أقيموا الوزن بالقسط)

العدل^(١)

أوصى الله سبحانه وتعالى بإقامة العدل ، وزينه للإنسان ، وصوّره له بصورة ملجأ ، قوى الدعائم ، ما استغاث به ملهوف إلا وأغاثة ، وما استجار به مظلوم إلا وأجاره ، وجعله (جل شأنه) أساس الملك ، وروح العمران ، وأساس المدنية والحضارة .

العدل هو إيصال الحق إلى مستحقه ، وهو وضع الشئ في محله ، وهو ميزان الله تعالى في الأرض ، يأخذ به الضيف حقه من القوى ، والحق من المبطل ، وبه قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح الخلق ، وهدايتهم إلى طريق الحق .

وبه تتألف القلوب ، وتلتئم الشعوب ، وتزول الخطوب والكروب ، ويشمل الناس التناصف ، ويضمهم التواصل والتعارف ، وبه تعمر البلاد ، وتسعد العباد ، وتؤمن السبل ، وتنمو التجارات ، وتدر الأرزاق والخيرات ، ويعم الصلاح الخاصة والعامة .

العدل ما قامت به أمة من الأمم ، وجعلته أصل موارد أفعالها ومصادرها إلا وكانت في مقدمة الأمم عمراناً ، وأكثرها حضارة ومدنية ، وما حادت عنه أمة إلا وكان الخراب رائدها ، والضعف قائدها .

بذلك قضى العقل ، وحكم الله بالحق ، وجرى العمل في الأمم من أول نشأتها للآن ، مهما تغيرت الأحوال والزمان .

وقد حث الله على العدل ، وبالغ في التمسك والأخذ به في جميع الأحوال ، وسائر الأعمال . فقل جل شأنه :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .

وسياتى ذكر الآيات الواردة في القرآن الكريم في العدل :

(١) قال وزير العدل في خطبة له : العدالة هي في السماء نور من أنوار الله ، وهي على الأرض ميزان منصوب لإحقاق الحق ؛ فالقضاء إنما يحشون إلى الحق مسترشدين بنوره وبوحي ضمائرهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُ قَدَرًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَلِكُ الْعَادِلُ » .

وسياتى ذكر الأحاديث الواردة فى هذا الباب .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبعض عماله : عليكم بالعدل ، وتباعدوا عن الجور ، ولا تغدروا إن عاهدتم ، ولا تنقضوا إن صالحتم .

وسياتى ذكر ما قيل من أقوال الخلفاء والعلماء والحكام والأدباء .

والعدل الذى يجب على كل إنسان التمسك به ، يكون بإعطاء كل ذى حق حقه ، لا أكثر ولا أقل .

فالبايع الذى يكيل المشتري بقدر ما اتفقا عليه فهو عادل ، ويحوز رضا بائنه ، ويربح حلالاً ، وتتسع تجارته .

والمشتري الذى يدفع ما عليه للتاجر فهو عادل ، ويميل كل التجار لمعاملته ومساعدته ، وإعطائه ما يطلب منهم .

والموظف الذى يقوم بأداء واجبه حق القيام فهو عادل ، ويفوز برضا رئيسه ، ومحبة إخوانه ، ويستحق التقدم والترقى .

والرئيس الذى يسوى بين مرؤسيه فيما يعهد إليهم من عمل ، ويوزع بينهم بشاشته وعطفه ، ويمطى كل واحد ما يستحق من مكافأة وترقية ، ولا يرقى صنعة له ، ولا يفض عن معائب ذوى الخطوة عنده ، ثم يحصى على غيرهم أنفاسهم وهفواتهم ، بل يكون الكل لديه سواء ، فيما هو من مقتضيات الوظيفة . ومستلزمات الأعمال فهو عادل يكتسب حبهم واحترامهم وإخلاصهم ، فضلاً عن أن ذلك يبعث فيهم روح النشاط والذأب والجهد ، والخوف من التقصير والتهاد ، فيكثر إنتاجهم ، وينظم سير الأعمال ، ويتوافر الكل على ما يرقى شأن البلاد ، ويسير بها فى مدارج الكمال .

والقاضى الذى ينصف المظلوم من الظلمة ، ويرد الحقوق إلى ذويها ، فلا يبرئ آثماً ، ولا يدين بريئاً ، ولا يقرب خصماً على خصم ، فهو عادل ، يكتسب رضا الخلق والخالق ، وتحسن سمعته ، وتبقى ذكراه .

وسياتى الكلام على صفات الإمام العادل ، والقاضى العادل .

فمن استمسك بمجمل حب العدل ، ومال إليه ، سهل الله سبحانه وتعالى سلوكه سنه عليه ، وأوضح بدليل التوفيق والهداية مناهجه لديه ، وجعل من عدله يوم القيامة نوراً يسعى بين يديه ، وكان عند الله من المأزین المقربين له يوم الحساب ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يحكم بينهم بالعدل أحكم الحاكمين .

كلمة

حضرة صاحب المعالي الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، وزير الشؤون سابقاً (ووزير التكوين حالياً) في العدل : كانت الحكمة المسيطرة على وأنا وزير هي :
العدل أساس الملك ، ولا كتمان أننى كنت أشعر براحة كبرى لسيطرة هذه الحكمة ، وأن كان العدل شديداً في مظهره في كثير من الأحيان ، فإنه ينطوى في كل الأحيان على خير كثير لا يفتن إليه أحد غير العادل نفسه .
وفي سبيل تمسكى بهذه الحكمة كنت لأعياً بمنشورات ولوائح لها قداسة في نظر الموظفين ، كما كنت لأعياً باعتبارات حزبية ، يعتبر عدم اعتبارها في نظر البعض جريمة لا تغتفر .

وقد سببلى ذلك الكثير من المتاعب فعلاً ، غير أننى كنت أرتاح أخيراً عند ما أرى أن التصرف العادل يمحو آية الحزبية عند المؤمنين بها .

عن مجلة الاثنين العدد ٧٠٧

المادرة في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧

الآيات القرآنية

الواردة فيها كلمة « العدل » وتفسير معانيها

سورة البقرة

١ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فليُؤْمِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ) ٢٨٢

يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى موعد عيتموه فاكثبوه ، فذلك أوفق وأدفع للتشريع .

وايكتب لكم كاتب عادل لا يجوز على أحد الطرفين ، ولا يمتنع أحد الكتاب أن يكتب لينفع الناس كما نفعه الله بتعاليمه الكتابية .

وايكن الملى هو الذى عليه الحق ، وليتق الله ، ولا ينقص من الحق شيئاً ، فإن كان الذى عليه الحق لا يستطيع أن يمل لقلة عقله ، أو ضعفه من صغر أو كبر أو جهل ، فليمل قيمه أو وكيله ، وليشهد على ذلك رجلان أو رجل وامرأتان .

سورة النساء

٢ - (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَتٌ أَوْ إِمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ لَا تَعْرُؤُوا) ٣

بعد أن ذكر الله اليتامى ' وأوصى بهم خيراً قال : وإن كنتم تخافون أن لا تعدلوا فى يتامى ' النساء ، إن تزوجتم بهن تخرجن من تبعة ظلمهن ، فتزوجوا من غيرهن مثنى وثلاث ورابع . وخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بينهن ، كما تخافون ذلك فى اليتامى ، فإن رأيتم أن العدل بينهن غير متيسر فيكفيكم واحدة ، أو مملكت أو إيمانكم من الإماء ، ذلك أقرب أن لا تميلوا عن الحق .

٣ — (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) ٥٨

هذا أمر من الله بالحكم بين الناس بالعدل (انظر سبب نزول هذه الآية في المصحف المفسر)

٤ — (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ) ١٢٩

ولن تستطيعوا أن تكونوا على العدل الكامل بين النساء ولو أفرطتم في تحري العدل كما كفوا بأن لا تميلوا كل الميل بترك المستطاع .

٥ — (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا) ، وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)

يأبىها الذين آمنوا كونوا مواظبين على العدل ، مجتهدين في إقامته ، تؤدون شهادتكم لوجه الله ، ولو على أنفسكم أو والديكم أو أقاربكم ، وإن يكن المشهود عايه غنياً أو فقيراً ، فلا تمتنعوا عن أداء الشهادة ميلاً إليه افناء ، ولا رحمة به لفقره ؛ فالله أولى بالنظر إلى حال الغنى والفقير منكم .

فلا تتبعوا أهواءكم كراهة أن تعدلوا ، وإن تلوا ألسنتكم لاخفاء معالم الحق ، أو تمتنعوا عن أداء الشهادة ، فإن الله خبير بما تعملونه ، يجازيكم عليه بما أنتم أهله .

سورة المائدة

٦ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) ٨

يأبىها الذين آمنوا اجتهدوا في القيام بعهود الله ، شاهدين بالقسط ، أى بالعدل ، ولا تحمِلَنَّكم كراهتكم لقوم على أن لا تعدلوا ، بل اعدلوا فإن ذلك أقرب للتقوى والخوف من الله ، واحذروا الله إن الله خبير بما تعملون .

٧ — (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ٤٢

بعد أن بين الله أن اليهود سماعون للكذب أ كالون للحرام قال :

يا محمد إن تحاكموا إليكم في شيء فانت خير بين أن تحكم بينهم ، وبين أن تعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ، وإن حكمت فاعمل بينهم إن الله يحب العادلين .

٨ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ بِحَكْمِ رَبِّهِ ذُو الْعَدْلِ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَفَّةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) ٩٥

أوجب الله على من يقتل صيداً وهو محرم أن يقدم للبيت من النعم عدد ما قتل من الصيد ، ويحكم بذلك ذوا عدل منكم ، أو إطعام مساكين ، أو ما يساويه من الصيام ليدوق عاقبة عدوانه .

٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) ١٠٦

يأبىها المؤمنون إن فيما أمرتكم به الإشهاد في الوصية ، فانتخبوا لذلك شاهدين من أقاربكم ذوى عدل ، أو آخرين من غير أقاربكم إن كنتم على سفر وأصابكم مصيبة الموت . وإن ارتبتم في شهادتهما فاحجزوهما بعد الصلاة فيقسمان لكم قائلين : لا نستبدل بالقسم عرضاً من الدنيا ، ولا نكتم شهادة الله ، فإن فعلنا نكن إذن من المذنبين .

سورة الأنعام

١٠ - (وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لِيُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) ٧٠

أى وإن تعد كل فداء (العدل: الفدية ، لأنها تعادل الفدى) لا يؤخذ منها ، أو أهلك الذين أسلموا إلى الهلاك بما كسبوا من الذنوب ، شرابهم من ماء مغلى ، ولهم عذاب أليم بسبب كفرهم .

١١ - (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ) ١١٥

أى وتمت كلمة ربك صدقاً فى الأخبار والمواعيد ، وعدلاً فى الأفضية والأحكام ،
لامبديل لكلماته وهو السميع العليم .

١٢ — (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) ١٥٢

بعد أن قال الله تعالى فى الآية المذكورة قبل هذه مامعناه : ولا تقربوا مال اليتيم حتى
يبلغ الرشد ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط أى بالعدل ، قال :
وإذا قلتم فاعدلوا ، أى وإذا حكمتم فاعدلوا ولو كان الخصم قريباً لكم .

سورة الأعراف

١٣ — (وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَمَةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) ١٥٩

أى من اليهود أمة يهدون الناس بالحق ، ويعدلون فى الحكم بالحق أيضاً .

١٤ — (وَبِمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) ١٨١

أى ومن خلقنا أمة يهدون الناس بالحق ، وبالحق يعدلون فى الحكم .

سورة النحل

١٥ — (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ
عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَمَّا الْآخَرُ فَصَوَّبٌ وَلَا يَغْتَبِرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) ٧٦

وضرب الله مثلاً رجلين : أحدهما أخرس لا يقدر على شئ من الأعمال لنقص فى قواه
العقلية ، وهو عالة على ولى أمره ، إلى أى جهة يرسله لا ينجح ، فهل يستوى هذا الرجل
ورجل تام العقل ، ذوفهم وكفاية ، يأمر بالعدل والإحسان ، وهو على صراط مستقيم .

١٦ — (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ٩٠

إن الله يأمر بإقامة العدل والإحسان ، وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه ، وينهى
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .

عن الفحشاء (الزنا) والمنكر والمعاصي والظلم ، يعظكم انعلمكم تتذكرون .
في هذه الآية أمر بخصال كريمة عليها نظام العمران والسعادة ، ونهى عن خصال
تخالف ذلك .

سورة الإسراء

١٧ - (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ٣٥
وأتموا الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم (أى بالميزان العادل) ذلك خير لكم ،
وأحسن عاقبة .

سورة الشعراء

١٨ - (أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ .
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) ١٨١ - ١٨٣
أوفوا الكيل ولا تنقصوا الميزان ، وزنوا بالميزان العادل ، ولا تهضموا حقوق الناس ،
ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، أى ولا تنقصوهم حقوقهم ، ولا تفسدوا فى الأرض .

سورة الشورى

١٩ - (وَأَمْرٌ تُلْأَعْدِلُ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ١٥
أمرنى ربى أن أعْدِلَ بينكم ، فلا أحابى طائفة ولا جنساً ، الله ربنا وربكم ، لنا جزاء
أعمالنا ، ولكم جزاء أعمالكم ، لا محل للخصومة بيننا بعد ظهور الحق ، سوى ما يزينه العناد
والشقاق ، والله يجمع بيننا وإليه المآب .

سورة الحجرات

٢٠ - (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَقَتْ إِحْدَاهُمَا

عَلَى الْأُخْرَى فَنَاتِلُوا الَّتِي تَبْنِي حَتَّى تَنفَى ، إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ٩

وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فأصلحا بينهما ، فإن تعدت إحداها على الأخرى فقاتلوهما حتى ترجع لأمر الله ، فإن رجعت إحدى الطائفتين فأصلحا بينهما بالعدل ، وأنصفوا إن الله يحب المنصفين .

سورة الطلاق

٢١ — (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) ٢

فإذا بلغ المطلقات آخر عدتهن فراجعوهن إن شئتم ، وأحسنوا معاشرتهم أوفارقوهن مع توفية جميع حقوقهن ، وأشهدوا في حال مراجعة المرأة أوفراتها (شاهدين عدلين) وعلى ذينك الشاهدين أن يقيموا شهادتهما لله ولا يكتهما ، ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .

بعض أحاديث في العدل والقضاء بالعدل

١ — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ طَلَبَ قِضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنَالَهُ ، ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلُهُ فَلَهُ النَّارُ » رواه أبو داود .

٢ — وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَذْنَاهُمْ مِنِّي مَجْلِسًا : إِمَامٌ عَادِلٌ ؛ وَأَبْقَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنِّي مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ » رواه الترمذى والطبرانى .

٣ — وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِمَامٌ عَادِلٌ رَفِيقٌ ؛ وَشَرُّ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ خَرَقَ وَأَحَقَّ » رواه الطبرانى .

٤ — وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَازِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُ : الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا » . رواه مسلم والنسائي

٥ — وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثُ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ (عادل) مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَفِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ » . رواه مسلم

٦ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةٍ سِتِّينَ سَنَةً ؛ وَحَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ أَوْ كَى فِيهَا مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » . رواه الطبراني

٧ — وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَدْلُ سَاعَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةٍ سِتِّينَ سَنَةً ، قِيَامٌ لَيْلًا ، وَصِيَامٌ نَهَارًا ؛ وَيَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَوْرُ سَاعَةٍ فِي حُكْمٍ ، أَشَدُّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ عَزًّا وَجَلًّا مِنْ مَعَاصِي سِتِّينَ سَنَةً » .

وفي رواية : « عَدْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةٍ سِتِّينَ سَنَةً » . رواه الأصبهاني

٨ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ » رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه ، ولفظه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُدْعَى الْقَاضِي الْعَادِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عُمرِهِ قَطُّ » .

الموضوعات

١ - ذكر ما قيل في العدل

أقوال الخلفاء ، والعلماء ، والحكام ، والأدباء .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبعض عماله : عايكم بالعدل ، وتباعدوا عن الجور (الظلم) ولا تغدروا إن عاهدتم ، ولا تنقضوا إن صالحتم .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمر بن العاص : يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

وقال فى إحدى خطبه : أيها الناس من رأى منكم فى أعوجاجا فليقوّمه ؟ فقام رجل وسط الجماعة ، وقال : والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بحد السيف . فقال : أحد الله الذى جعل فى هذه الأمة العربية من يقوّم أعوجاج عمر بسيفه . فهل بعد هذا دليل على شدة تمسكه بالحق والعدل ؟

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : العدل صورة واحدة ، والظلم صور كثيرة ، ولهذا سهل ارتكاب الجرائم ، وصعب تحرى العدل .

وسأل الإسكندر أحد حكماء أهل بابل « أرسطاطاليس » : أيما أبلغ عندكم : الشجاعة أم العدل ؟ ! فأجاب : إذا استعملنا العدل استغفينا عن الشجاعة .

وقال بعض الحكماء : بالعدل والإنصاف ، يكون الاتحاد والائتلاف ، ويَزُول النزاع والاختلاف .

وقال بعض الأدباء : إن العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ، ونصبه للحق ؛ فلا تخالفه فى ميزانه ، ولا تعارضه فى سلطانه ، واستعن على العدل بختين : قلة الطمع وكثرة الورع .

وقال عمرو بن العاص : لا سلطان إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله حينما استأذنه في تحصين مدينته : حصنها بالعدل ، ونقّ طرقها من الظلم .

وقال عبد الله بن طاهر يوماً لأبيه : كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم في بيتنا ؟
فأجابه : مادام بساط العدل والإنصاف مبسوطاً في هذا الديوان .
وقال أحد الشعراء :

العدل في جسم الولاة جواهر لومات جسم فالجواهر باقيه
وقال آخر :

العدل روح به تحيا البلاد كما دمارها أبدأ بالجور يتحتم
وقال آخر :

راعوا العدالة ياقضاة بحكمكم فالعدل أشرف خطة الإنسان
إن تحكموا بالعدل تلقوا راحة وعلى الأسرة ترقدوا بأمان
وقال بعضهم : عدل السلطان يقوم مقام خصب الزمان .

وجاء في الأمثال : « في بيته يؤتى الحكم » أى يحضر الشاهد العدل .

« أعدل من ميزان » : (يضرب للرجل الذى يحكم بين الناس بالقسطاس المستقيم)

وقيل : إن الملك يدوم مع العدل وإن كان صاحبه كافراً ، ولا يدوم مع الظلم وإن كان صاحبه مؤمناً .

وكان كسرى أنوشروان يسمي : بالملك العادل ، ويكفيه في الشرف والفخر وعلو الذكر والقدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حيث قال : « وُلِدْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ » .

ولما قيل لكسرى : بماذا استحق الملك هذه الصفة ؟ قال : لأنى جعلت العدل أكبر همى ، وحلنى عليه قول الحكيم الفاضل :

لا ملك إلا بالجند ، ولا جند إلا بالمال ، ولا مال إلا بالبلاد ، ولا بلاد إلا بالرعايا ،
ولا رعايا إلا بالعدل ، فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد .

وقد نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قوله : العالم حديقة سياجها الشريعة ، والشريعة سلطان يجب لها الطاعة ، والطاعة سياسة يقوم بها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش أعوان يكفلهم المال ، والمال رزق تجمععه الرعية ، والرعية سواء يستعبدهم العدل ، والعدل أساس قوام العالم .

وقال الحسن البصري : أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى ^(١) ، ولا يخشوا الناس ^(٢) ولا يشترؤا بآياتي ثمنا قليلا ، ثم قرأ : (يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ^(٣) فَأَخِصْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ^(٤) لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ^(٥)) . وقرأ : (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى ^(٦) وَنُورٌ ^(٧) يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ^(٨) لِلَّذِينَ هَادُوا ^(٩) وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ ^(١٠) بِمَا اسْتُخْفِظُوا ^(١١) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ^(١٢) فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ^(١٣) وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ^(١٤) ثَمَنًا قَلِيلًا ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ^(١٥) فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ^(١٦)) . وقال بعضهم : لو أنصف الناس لاستراح القاضي ، وصار كل عن أخيه راضيا .

٢ - أقسام العدل

ينقسم العدل إلى قسمين : عدل المرء مع نفسه ، وعدله مع غيره ، وذلك الغير إما أن يكون فرداً أو جماعة .

- (١) هوى النفس في قضائهم . (٢) كخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد .
- (٣) عن الدلائل الدالة على توحيد الله . (٤) عن الإيمان بالله تعالى .
- (٥) لو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا وحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى .
- (٦) يهدي إلى الحق . (٧) يكشف ما استنبه من الأحكام . (٨) اتقوا لحكم الله .
- (٩) تابوا من الكفر . (١٠) الزهاد والعلماء . (١١) استودعوا .
- (١٢) رقباء . (١٣) هذا نهى للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أو كبير . (١٤) ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها . (١٥) مستهيناً به .
- (١٦) قال ابن عباس : من لم يحكم به جاحداً فهو كافر ، وإن لم يكن جاحداً فهو فاسق ظالم .

فأما عدله مع نفسه ، فهو سلوك سبيل الاعتدال في العقيدة والعمل ، فلا يتردد على الله تعالى ورسله ، ولا يخرج عن البراهين الصحيحة ، ولا يلقي بنفسه في تيار الشهوات القاتلة ، ولا يطيع غيّه وهواه ، وبذلك ينجو من شقاء الدنيا ، ويسلم من أمراض للشهوات البدنية والعقلية ، ويبقى نفسه ناراً وقودها الناس والحجارة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ومن لم يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، وعرضها للهلاك والحسران في الدنيا والآخرة .
أما عدله مع غيره ؛ فإنه يترتب عليه السلامة في الدنيا من شرور الناس وحقدهم عليه والأمن على نفسه وأهله وما أنعم الله عليه من نعم في دار الدنيا ، والنجاة من هول يوم القيامة ، والسعادة الخالدة في دار النعيم . وله أمثلة كثيرة نكتفي بذكر المهم منها هاهنا :

١ - المثال الأول

عدل ولاية الأمور مع رعيّتهم

وهو أهم أنواع العدل وأعلاها قيمةً وقدرًا ، لأنه يترتب عليه سعادة المجتمع وصلاح أفرادهِ ؛ فإن الحاكم العادل لا يقصر في شيء من واجبه مع رعيّته ، ولا يهمل شيئاً يرقى أبدانهم وعقولهم وأخلاقهم ، ويحفظ عليهم أموالهم ودماءهم وأعراضهم ويكون لهم مثلاً أعلى في معاملة بعضهم بعضاً بالعدل والإنصاف .

فالحاكم كالقلب من الجسد إذا صلح صلح ، وإذا فسد فسد كما ورد في الصحيح فهذا كانت مسئولية ولاية الأمور عظيمة في نظر الشريعة الإسلامية ؛ وقد حذر منها النبي عليه أفضل الصلاة والسلام تحذيراً شديداً .

روى عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي ؟ قَالَ : فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَ بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » رواه مسلم .
وحقها في نظر الدين : أن يقوم بكل شيء فيه مصلحة المحكومين .

قال سيدنا عمر : والله لو عثرت بغلة في العراق لوجدتني مسئولاً عنها ، فقيل : لماذا يأمر المؤمنين ؟ فقال : لأنني مكلف بإصلاح الطرق .

هذا مثال الحاكم العادل ، ولهذا جعل الله له فضلاً عظيماً ، وميزة كبرى ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ . »

وقد اشتمل هذا الحديث الشريف على جميع الكلمات الإنسانية .

فالإمام العادل هو الذي تنصلح به رعيته ، ويستقيم به أمر دينها ودنياها ، وهو أعظم السبعة قدراً ، وأجلهم منزلة ، ومن أجل هذا بدأ به عليه الصلاة والسلام .

وأما الشاب الذي نشأ في طاعة الله ، فهو خير لنفسه وأخيره ، لأن من يتعود العمل الصالح لا تطفئ عليه شهوته ، فلا يقع منه شر لنفسه ولا لغيره .

وأما الذي قلبه معلق بالمساجد ليؤدي فيها الصلاة التي فرضها الله عليه في أوقاتها ، ويحرص على عمارتها ، فإن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، لأن من يتعلق بالمساجد لا بد أن يكون ذلك ناشئاً من خشية الله تعالى ، ومن شعر قلبه بخشية ربه ، وصلى له خاشعاً خاضعاً ، فإنه لا محالة ينتهي عن الفحشاء والمنكر ، فلا يقع منه شر لنفسه ولا لغيره .

وأما المحبة لله تعالى فمعناها التعاون على البر والتقوى ؛ فمن أحب غيره لهذا الغرض ، فقد خدم نفسه ، وخدم الناس أجل خدمة .

وأما الذي دعت له امرأة ذات حسب وجمال لنفسها فامتنع خوفاً من الله ، فذلك هو الرجل الذي ملك شهوته ، وجعل لعقله عليها سلطاناً عظيماً ، فهو أمين على عرضه ، وعلى أعراض الناس ، وجدير أن تكون له تلك المنزلة .

وأما الذي يتصدق بصدقات خفية ، فذلك الرجل الذي هو خير وبركة على عباده ،

فإنه يغيث المكروب ، ويطعم البائس والمضطرب ، ولا يحب أن يمن على الفقير فيؤذيه بمنه ، ولا يحب أن يعمل رياء الناس ، فإن مدحوه فعل ، وإن لم يمدحوه ترك .
ومثل هذا جدير برضاء الله تعالى وحسن جزائه .

وأما الذى تفيض عيناه عند ذكر ربه فهو المؤمن حقاً الذى قال الله فيه :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) .

فهؤلاء السبعة جديرون برحمة ربهم وإحسانه ، وأهل لأن يقيهم الله تعالى هول يوم القيامة .

(يَوْمَ تَذْهَلُ) فيه (كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) .

ويتبع عدل الولاة والسلاطين عدل القضاة والشهود ، وهو أهم ركن تقوم عليه سعادة المجتمع ، وينبنى عليه أمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأنفسهم .

فإذا جار القاضى (أى ظلم) ولم يقسط الشهود ، فإن النظام يختل ، وتسود الفوضى . ولهذا كانت مسؤولية القاضى شديدة فى نظر الإسلام ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ ؛ فَوَئَا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَنَجَّاهُ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ » . (رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه)

فالقاضى المدحوظ فى نظر الدين هو الذى يعرف الحق ويقضى به .

فأما معرفة الحق فإنها تحتاج إلى مجهود عظيم ، وبحث فى كل الظروف والأحوال المحيطة بالخصوم .

وأما الحكم بالحق فإنه يحتاج إلى مجاهدة عظيمة حتى يقتزى القاضى عن التحيز والميل مع أقربائه أو أصدقائه ، أو من تربطه معهم رابطة ، أو تجمعهم معهم جامعة ، أو يكون له فى الميل غرض يناله من مال ، أو منصب أو شهرة .

فالقاضى لا ينجو إلا إذا كان بالنسبة إلى الخصوم كالميزان المنضبط ؛ فلا يميل

مثقال ذرة إلى واحد منهم إلا بالحق ، ومن لم يفعل ذلك فإنه يتحقق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ وَلَّى الْقَضَاءَ ، أَوْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » .

(رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ورواه غيره)

ومعنى الحديث: أنه عرض نفسه للهلاك والعذاب الأليم ، وهذا إن لم يقض بالحق كما تقدم في الحديث الأول .

وبديهى أن الركن الأعظم الذى يعرف القاضى به الحق هم الشهود ، فإذا تحيزوا وشهدوا زوراً ، وضلوا القاضى ، فقد احتملوا كل هذه المسئولية ، وكانوا من أشقى الخلق ، وأنفسهم عند الله وعباده .

من أجل ذلك قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ (العدل) شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

قوامين : مواظبين على العدل في جميع الشئون والأحوال ، فلا يحل لكم أن تتخلفوا عنه في أى حال .

شهداء لله : تشهدون بالحق ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فلا تحملنكم الأغراض الدنيوية على التحيز وشهادة الزور .

ولو على أنفسكم : مبالغة في الحث على أداء الشهادة على وجهها ، لأن الشهادة لاتقع من الإنسان على نفسه ، وإنما الذى يقع منه يسمى إقراراً ، إلا إذا أريد بالشهادة بيان الحق مطلقاً فتشمل الإقرار .

أوالوالدين والأقربين : رأى بعض أئمة المسلمين أن شهادة الولد لوالديه ، وبالعكس جائزة أخذاً من هذه الآية .

ولقد روى بعضهم : أن سلف المسلمين كانوا على ذلك حتى تغيرت أخلاق الناس ، فعدلوا عن ذلك .

وقد علمت أن الغرض إنما هو المباينة في الحث على قول الحق ، فلا يلزم منه ما ذكر .
وقوله : إن يكن غنياً أو فقيراً ، معناه : أن الشاهد ينبغي أن لا يلتفت لأى سبب من
الأسباب الموجبة للتحييز ، سواء كانت صلة قرابة ، أو كانت عاطفة شفقة أو رحمة ، كما إذا
خشى أن يشهد على فقير فيضره في ماله أو هيئته ، وخوفاً من غنى ، وغير ذلك .

بل يجب على الشاهد أن لا يعرف في هذا المقام سوى الله تعالى الذى يأمره بأن لا ينشئ
عن قول الحق قيد شعرة .

فلا تحملنكم أهواؤكم وأغراضكم على أن لا تعدلوا في حقوق الناس ، وإن تلوا
ألسنتكم فلا تأتوا بالشهادة على وجهها ، أو تعرضوا عن أداء الشهادة رأساً فإن الله كان
بما تعملون خبيراً . فيجزىكم على ما عصيتموه .

وقال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ
قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا ، اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ) .

لا يجرمنكم ، أى لا يحملنكم شَنَاَن قوم (شدة بغضكم لهم) على أن لا تعدلوا في حقوقهم ،
أعدلوا يأيها المؤمنون في أعدائكم وأوليائكم فإن العدل هو أقرب للتقوى ؛ أى أدخل
في مناسبتها ، وأشد الأمور شبيهاً بها ؛ لأن التقوى نهاية الطاعة ، والعدل أساس الفضائل .

فهذا قول الله وقول رسول الله في الحث على عدل ولالة الأمور والقضاة والشهود
فعلى المسلمين أن يعملوا به ، وأن يتبعوه في كل أمورهم ليظفروا بالسعادة في الدنيا والآخرة
ويكونوا من الفائزين .

٢ - المثال الثاني

عدل رؤساء الأسر والقبائل

فاذا وفق رئيس أسرة أو زعيم قوم إلى إقامة العدل بينهم فإنه يحيا معهم حياة طيبة مباركة ، ويعيش هو وهم في عيشة راضية مرضية .

فإن عدل الرئيس يوجب استمرار روابط المودة والوثام بينه وبينهم من جهة وبينهم وبين بعضهم من الجهة الأخرى ، فضلاً عما يترتب على ذلك من اقتدائهم به قدوة حسنة فإنه يكون مثلاً صالحاً للصغير والكبير ، فيشرب الصغير على حب العدل مع نفسه ومع غيره ، ويعامل الكبير الناس بالعدل ، وبذلك يكفون شر المظالم الداخلية والخارجية .

أما إذا كان الرئيس ظالماً فإنه يكون شراً ووبالاً على نفسه وعلى مرءوسيه ، فإن المظلوم منهم يحقد عليه وعلى من ظلمه لأجله فتقطع بينهم روابط القرى وعلاقات المودة ويعمن كل واحد في الإضرار بالآخر .

فضلاً عما يسرى لهم من خلق الظلم فيتسلطون على خلق الله فيظلمونهم وبذلك يكونون من أشقى خلق الله .

ولقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من نيط به عمل مسئولاً عن العدل في ذلك العمل .

ولبس العدل قاصراً على السلطين وولاة الأمور والقضاة والحكام ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كُلكم راعٍ ومسئول عن رعيته : الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيتها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته » .

(رواه البخارى ومسلم)

وهذا الحديث صريح في أن كل فرد من الأفراد مطالب بتحقيق العدل بنسبة ما يكاف به من الأعمال .

فريئس الأسرة والقبيلة يجب عليه أن يعمل على تحقيق العدل بينهم فلا يظلمهم في مطعم ، أو مشرب ، أو مسكن ، ولا يذني هذا ، ويقصى ذاك بدون سبب يستدعى ذلك من عقوبة على ذنب ومكافأة على خير .

ولا يهمل أمر تربيته وتعليمهم ما لهم وما عليهم من الواجبات ، ولا يقصر مع واحد منهم في تعليمه ما ينفعه في دينه ودنياه ، ولا يذرهم يعتدون على أموال الناس أو أعراضهم ، ويتعهد تهذيب نفوسهم وإصلاح أخلاقهم .

فإذا ترك الرئيس شيئاً من ذلك ؛ فإنه يكون ظالماً مسئولاً عن تقصيره هذا وعن كل ما يترتب عليه من المآثم بين يدي أحكم الحاكمين الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة وسيجزى الناس على أعمالهم يوم يبعثون .

وأما المرأة فإنها مسئولة عن تدير منزلها بما يوافق حال زوجها ، فلا ترهقه في الإنفاق ، ولا تظلمه بطلب مالا يقدر عليه ، ولا تخونه في عرضه وماله ، ولا تفعل ما يؤذيه .

وكذلك يجب عليها أن تعدل بين أبنائها فيما بين يديها من طعام وشراب ، فلا تفضل واحداً على أخيه من غير حق بل تعطى كل واحد ما يناسبه ، فلا تحرم من تبغض وتجزل للعطاء لمن تحب ؛ فإن خانت زوجها في عرضه أو ماله أو آذته بعصيانها أو فضلت بعض أولادها على بعض كانت ظالمة تستحق عند الله سوء العقاب .

وأما الخادم أو العامل فهو مسئول عن العمل الذي يسند إليه ، والمال الذي يؤتمن عليه ، فإذا أهمل العامل عملاً أو أداه ناقصاً فقد ظلم سيده واستحق عقاب الله تعالى . وكذلك الخادم إذا خان سيده في مال ، كأن كلفه بشراء شيء فزاد في ثمنه وأخذ لنفسه ، أو أهمل مساومة التاجر فغبه في السلعة ، أو رأى أحداً يعتدى على مال سيده فلم يردده ، أو كلفه بالإنفاق على عمله فأسرف فيه بدون حق أو غير ذلك فإنه يكون آثماً ظالماً يستحق العقوبة التي أعدها الله للظالمين في الدنيا والآخرة .

ومن هؤلاء الصنّاع الذين يتعاقدون على عمل شيء لا يُجيدون صنعه ويفشون
الناس فإن لهم عقاب الظالمين ، وعليهم إثم الفاشين ، كالبنّائين والنجارين والحداّدين
ونحوهم .

فإن هؤلاء جميعاً مكلفون بالعدل في صنائعهم بأن يجيدوها ولا يتركوا باباً من أبواب
الخلل إلا أصلحوه .

متى فعلوا ذلك لوجه الله تعالى وابتغاء ما عنده فإن الله يبارك لهم في الدنيا ، ويشيهم
على ذلك في الآخرة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَزَعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ » .

(رواه ابن حبان في صحيحه)

فهؤلاء مسئولون جميعاً عن العدل فمن حفظ ما وكل إليه من الأعمال فله جزاء الحسن ،
ومن ضيعه فله سوء العذاب .

عبد الرحمن الجزيري

عن مجلة نشر الفضائل . السنة السابعة - العدد - ٣٦

٣ - العدل الشامل وضروبه

عنى الإسلام بإقامة العدل عناية عظيمة ؛ لأنه أسُّ الملك وقوامه وعدته ونظامه
فقال تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) . وقال تعالى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ)
بعض (قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ - أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) .

وسرّ ذلك أن العدل الشامل يدعو إلى الطاعة ويبعث على الألفة ويستوجب المودة
وتعمر به البلاد وتتمى به الأموال ، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر

الخلق من الجور : لأنه لا يقف عند حده ولا ينتهى إلى غاية ، وشكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستمكن . تأمل قوله صلى الله عليه وسلم .

« ثَلَاثٌ مُنْجِيَّاتٌ وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ ؛ فَأَمَّا الْمُنْجِيَّاتُ : فَأَلْعَدْلُ فِي الْقَضَبِ وَالرِّضَا ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ؛ وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِيجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . »

وانظر قول الإسكندر الحكماء الهند — وقد رأى قلة الشرائع بها — : لم صارتم سفين بلادكم قليلة ؟ قالوا : لإعطائنا الحق من أنفسنا ، ولعدل ملوكنا فينا ، فقال لهم : « أيما أفضل : العدل أم الشجاعة ؟ »

قالوا : إذا استعمل العدل أغنى عن الشجاعة . وتدبر قول بعض البلغاء : إن العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ، ونصيبه للحق ، فلا تخالقه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه ، واستعن على العدل بخصتين : قلة الطمع ، وكثرة الورع .

ضروب العدل

للعدل ضروب شتى :

منها : عدل الإنسان في نفسه ، وذلك بحملها على المصالح ، وكفها عن الفضائح ، ثم بالوقوف في أحوالها على عدل الأمرين : من تجاوز أو تقصير ، فإن التجاوز فيها جور ، والتقصير فيها ظلم ، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم ، ومن جار عليها فهو على غيره أبغ جوراً . انظر إلى قول بعض الحكماء : من تواني في نفسه ضاع .

ومنها : عدل الإنسان فيمن دونه ، كالخا كم في رعيته ، والرئيس مع مرؤسيه ، وعدله فهم يتحقق بأمور أربعة : اتباع الميسور ، وحذف المعسور ، وترك التسلط بالقوة ، وابتغاء الحق في السيرة ؛ لأن اتباع الميسور أدوم ، وحذف المعسور أسلم ، وترك التسلط أوجب للمحبة ، وابتغاء الحق أبعث على النصره ؛ ومن لم تجتمع له هذه الأمور من الحكام أو الرؤساء كان الفساد بنظره أكثر ، والاختلاف بتدبيره أظهر .

تأمل قوله صلى الله عليه وسلم : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَشْرَكَ اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ فَجَارَ فِي حُكْمِهِ .

وتأمل قول بعض الحكماء : أقرب الأشياء صرعة الظلوم ، وأنفذ السهام دعوة المظلوم .
وقول (أزدشير بن بابك) : إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن طاعته .
وقول (أنوشروان) لما عوتب على ترك عقاب المذنبين : هم المرضى ونحن الأطباء ، فإذا
لم نداوهم بالعفو عنهم فمن لهم ؟ .

ومنها : عدل الإنسان مع من فوقه : كعدل الحكوميين مع الحكام ، والمرءوسين مع
الرؤساء ، وقوام ذلك إخلاص الطاعة ، وبذل النصرة ، وصدق الولاء ، فإن إخلاص
الطاعة أجمع للشمل ، وبذل النصرة أدفع للوهن ، وصدق الولاء أنقى لسوء الظن ؛ ومن لم
تم له هذه الأمور من المرءوسين سلط عليه من كان يدافع عنه ، واضطر إلى اتقاء من كان
بقيه ، وفي هذا يقول الباحثرى :

متى أخرجت ذا كرم تخطى إليك ببعض أخلاق اللثام
وما أبدع قول بعض الحكماء : إن الله لا يرضى عن خلقه إلا بتأدية حقه ، وحقه شكر
النعمة ، ونصح الأمة ، وحسن الصنعة ، ولزوم الشريعة .

ومنها : عدل الإنسان مع إخوانه ونظرائه ، وآية ذلك ترك الاستطالة (التطول
والامتنان) واجتناب الإدلال (مجاورة الحد في التجنى) ، وكف الأذى ، فترك الاستطالة
أدعى إلى الألفة ، ومجانبة الإدلال أبقى للعطف والرحمة ، وكف الأذى مروءة ونصفة .

تأمل بديع قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِشِرَارِ النَّاسِ ؟ قَالُوا : بَلَى
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ ، وَمَنْعَ رِفْدَهُ (معونته) وَجَلَدَ عَبْدَهُ : ثُمَّ قَالَ :
أَفَلَا أُنبِّئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ،
وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَفَلَا أُنبِّئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
قَالَ : مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ » .

وانظر إلى قول بعض الحكماء في أن قبح الظلم في صورته المختلفة ومعانيه المتغايرة :
الحاكم السوء ، يخيف البرىء ، ويضع الدنىء ؛ والبلد السوء يجمع السفل ، ويورث
الطلل ، والولد السوء يشين السلف ، ويهدم الشرف ؛ والجار السوء يفسى السر ، ويهتك
الستر ، ؛ فما أنفع العدل ، وما أضر الجور !
المرحوم محمد جاد المولى بك

٤ - العدل وأثره في حياة الأمم

ترى الرئيس العادل فتعرف فيه صولة الحق ، وصدق الرجولة ، وسمو الضمير ، ويقظة الروح الأبية الطامحة إلى كل شريف من العمل ، وصادق من القول ، وتبحث عن حياته الخاصة ونمراتها ، فتري سمادته نتيجة حسن العمل ، وهناءه قريناً برضا النفس ، والرقى ناشئاً عن النظام وأداء الواجب .

وتسأل عن تاريخه في سياسة رعيته ، فتعرف كيف سجل في ديوان كفاحه قصة البطولة في ميدان الجهاد ، والظهور على عوامل الفساد ؟ وتعلم كيف يصارع بالعدل الظلم فيصرعه ، وكيف يناهض بالحق الباطل فيدفعه ؟ وكيف يهنا الناس به ويسعدون ؟ لأنه أصلح بينهم ، ووفاهم حقوقهم ، لأهم لا يظلمون ولا يظلمون ، ولا يميلون عن الشرف ، ولا يتورطون في إجرام ذلك .

هو الإمام العادل في رعيته ، وألحاكم بالحق في قضيته ، وألرجل الحازم في أسرته ، هي الحياة : لا يمكن أن يستقيم مائتها ، ولا يطرد تدبيرها ، ويحسن أمرها إلحاكم أو محكوم ، ويملك زمامها إلا بالعدل .

والإنسان الذي نما وتفرع من جذع الشجرة الآدمية ، ليملاً فراغ العالم بالخير ، ويسد رحبة الكون بعجارة الأرض ، لا يكون جديراً باسم الإنسان حتى يسوس بالعدل نفسه وماله ، وأسرته ، ووطنه ، والإنسانية كلها .

فالرجل يعدل في نفسه إذا جعلها بالحكمة ، وطمانها بالواجب ، وزنها بالإخلاص ، وأنعشها وسرها ببرىء الله وحسن المتاع ، وجنبها سبيل الميل إلى الهوى ، والزيف عن الهدى ، فلا هو بالمهمل الكسول ، ولا بالفرط المتعنت ، وإنما هو إنسان يعمل ويستريح ، ويبذل ويكف ، ويجاهد وينتظر ، ويسعى ويؤمل ، ويوافق في مبدئه روح الإسلام ، في قول الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه :

« أَنَا إِنْسَانٌ أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَهَذِهِ سُنَّتِي ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .

ولعل الناظر في قوانين الإسلام ، وأحكامه في العبادات والمعاملات وغيرها ، يرى أنه بنى على أساس العدل وفكرته ، حتى يؤكد يوقن أن العدل هو الإسلام ، والإسلام هو العدل ، وأن الله يبعث بتمام الإسلام السامية ، روح العدل العالية في نفوس المؤمنين العاملين .
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

فالعدل لأهميته في حياة البشرية أنزات الشرائع السماوية نبه ونشره ، ورسول الله هم الذين أرسلوا ليقوموا بحراسته ، وتوزيعه بين الناس ، حتى تهنا الإنسانية ، وتكمل لها عوامل النمو ، وتدفع عنها عاديات الظلم من الشقاء والفناء ، ماجملت القوة التنفيذية والزواج والحدود إلا لحراسته ، وفي هذا يقول الله تعالى :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (بالعدل) ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْافِعُ لِلنَّاسِ) .

والناظر في التشريع الإسلامي ، يرى هذه الناحية فيه بشكل أتم ، فلقد جمع بين مطالب الروح والجسد ، فأباح التناول من طيبات الرزق ، ليقوى الإنسان على أداء واجبه ، وفي غير إسراف حتى لا يكون شهوانياً ، وحض على العلم النافع ، ومكارم الأخلاق لتحمي الروح ، ويؤدي الإنسان واجبه في عمارة الكون ، وإسعاد مجتمعه ، ونهى عن المغالاة في العمل ، وحمل ما لا استطاع .

وفي الحديث : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ » .

ورفع الفوارق بين الطبقات في المعاملة ، وجعل الإنسان رهين عمله ، وطلب العدل حتى مع الحيوان ، فأسقط عدالة من يضرب دابته بغير سبب .

والعدل يأتي في شئون الحياة ومرافقها ، فيكون في المال بأن ينفق صاحبه ما يحتاج إليه ، ويلاحظ فيه واجبه نحو أخيه الإنسان ، فيشبع جوع الفقير ، ويكسى جسد العارى ، ويزيل ألم الأرملة واليتيم والمسكين ، ويبذل للناس جزءاً من ذلك العرض الزائل ، ليبذلوا له ودّاً باقياً ، وحبّاً دائماً ، وبذلك لا يكون من البخلاء المقلين .

ثم يدخر لنفسه وأهله ما ينفعه في المآزلات ، ويعينه في الثوابات ، حتى لا يكون من السرفين المبذرين . قال الله تعالى :

(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .

ويكون في الحكم بأن يكون في حكمه قوى الإرادة ، شجاعاً في الحق ، يقول قوله مراعيًا فيها ضميره وخائفه ، لا يخشى فيها أحداً ، ولا يحابي عظيمًا ، ولا يعين ظالمًا ، ولا يسمع شهادة مزورة ، وذلك لعمري هو الرجل ، وأقد قيل قديمًا :

« لو أنصف الناس أنفسهم لاستراح القاضي » .

ونعود إلى بيان عدل الحاكم ، وأثره لأهميته ، وارتباط سعادة المحكومين به فنقول :

الملك العادل في رعيته هو أول بانٍ في صرح نهضة البلاد ، وخير عامل اسموه مكانة الأمة بما يضر به للشعب من مثل النزاعة والشرف ، وما يقدمه للناس من نظم الخير والإصلاح ، وما يقوم به من إرجاع الحق لصاحبه ، ومعاملة الكل بالمساواة ، والضرب على يد الظالم المستبد ، أن تعبت بحلال النظام ، ونعمة الأمن ، فتزعج الهادئين ، وتخيف الوادعين .

بذلك يتبين أن العدل طريق كمال الرجل ، وسبيل هناءة الأسرة ، وهو من الأغنياء تخفيف لألم اليأس والفاقة ، ومرارة الفقر والحرمان .

ومن الحكام : نصر الضعفاء والمهمشين ، وقمع للظلمة والجبارين .

ومن الملوك : سمو بالشعب إلى العلا ، وسير بين نحو الكمال .

وما كان لأمة أن تنهض بدون العدل ، لأنها لا تستطيع أن تحيا على نقص رجالها ، وقلق أسرها ، ولا أن تعيش على فساد نظامها ، وسوء سياستها ، ولا يمكن أن تسعد ، وفيها من عوامل الشقاء ، جوع في البطون ، ونقص في الضمائر ، وجور في الحكم ، وضعف في القيادة .

وما أحسب مشا كل الإنسانية اليوم ناشئة إلا عن جور بعض الدول في تقدير المجد ، وإسرافها في النفوذ والسلطان ، وبناء نهضتها على شقاء الآخرين .

فلا وربك لا يرتاح الناس حتى يعقلوا ، ولا يعقلون حتى يتطهروا ، ولا يتطهرون حتى

يخلصوا ، ولا يخلصون حتى يعدلوا ، وهامو ميزان العالم في يد الزمن ، وفي كفتيه
سعادة وشقاء .

وبمقياس العدل والجور تتجاذب الكفتان ، والخلق هم الضحايا البائسون إذا جاروا ،
أو الإنسانية الهائثة إذا عدلوا واستقاموا .

محمد حسن أبو الخير

مجلة نصر الفضائل العدد ٧ السنة الثامنة

أقوال في مدح العدل

قال أنوشروان : العدل سور لا يغرقه ماء ، ولا يحرقه نار ، ولا يهدمه منجنيق .

وقيل : عدل قائم خير من عطاء دائم .

وقال قدامة : حسبكم دلالة على فضل العدل أن الجور (الظلم) الذي هو جذوة لا يقوم

إلا به ، وذلك لأن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم ، احتاجوا إلى استعمال
العدل في اقتسامهم ، وإلا أضرت ذلك بهم .

وقيل : لا يكون العمران حيث لا يعدل السلطان .

وقيل لحكيم : ما قيمة العدل ؟ قال : مُلك الأبد . ف قيل : ما قيمة الجور ؟ قال :

ذل الحياة .

وقيل : العدل يسع الخلق ، والجور يقصر عن واحد .

٥ - العدالة في الإسلام

خلاصة مقالات (لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد على منصور)

منشورة في مجلة الإسلام بالأعداد ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ من السنة الرابعة عشرة

لكي يزاد الناس يقيناً من أن الدين الإسلامي هو بحق دين العدالة والإنصاف ، يحسن
بنا أن نضع تحت أنظارهم صورة مصغرة عن حالة الأمم — ولا سيما الأمة العربية قبل
الإسلام — حتى يتبين لهم الفارق الكبير بين حالتهم في هذه الفترة التي سبقت هذا الدين

الحنيف — ولم تقم فيها للعدالة قأمة — وبين حالتهم بعد أن أظلمهم هذا الدين العظيم ، وقرر العدل بين أهله ، ودعا إليه في غير ابن ولا هوادة ، وجعله أساساً دائماً يجب السيرة عليه ، والتمسك بأهديه ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولو تتبعنا أحوال الناس — وبخاصة العرب قبل الإسلام — لوقفنا على حقائق محضة تدوب لأجلها القلوب ، وتشمئز منها النفوس ، لأن حالتهم في هذه الآونة إن دلت على شيء فأنما تدل صراحة على هدم صرح الفضائل التي لا غنى عنها للأفراد والجماعات المتطلعة إلى الكمال ، الراغبة في التقدم والرقى ، الساعية إلى تخليد ذكراها على تسمية هذا العصر (بمعصر الجاهلية) لأن الناس فيه كانوا منغمسين في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ؛ وكانوا لا يعرفون للعدالة اسماً ، بل شاع بينهم الجور والظلم ، فكان قويهم يعتدى على ضعيفهم ، ولا دين يمنعه ، ولا قانون يردعه ؛ وإذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وكانوا لا يعطون شيئاً من الميراث للنساء ولا للصغار من أبناء الميت ، وإنما يعطونه لمن كان قوياً قادراً على حمل السلاح ، وملافاة العدو ، والقتال في الحروب .

وقد اتخذوا الإغارة والسلب والنهب وسيلة من وسائل العيش ، فكانوا يغيرون على القبيلة المعادية لهم فيأخذون جمال أهلها ، وهي أعز الأشياء لديهم ، ويسبون نساءهم وأولادهم ، ويستولون على ما يملكون ، ويسومونهم الخسف والهوان ، وتتر بص بهم القبيلة الأخرى الدوائر حتى إذا سنحت لهم الفرصة اغتتموها ، وفعلوا بهم مثل ما فعلوا أو أشد ، وبادلهم سلباً بسلب ، وعدواناً بعدوان .

ولقد نبأنا التاريخ أن القبائل الضعيفة كثيراً ما كانت تضطر إلى الاحتماء بالقبائل القوية لتدود عنها وقت الخطر ، وتقاتل دونها إذا جدَّ الجدُّ ، وانتابها الحيف والعدوان .

ولكن هيهات ! فقل أن يدوم حلفهم ، أو يطول اتحادهم ؛ بل سرعان ما يدب بينهم ديب النزاع والشقاق ، فينقلب المتحالفون أعداء متحاربين ، وخصوماً متقاتلين .

هذا حالهم ، وتلك بعض صفاتهم ، فكانوا لذلك في أشد الحاجة إلى دين يضمهم تحت لوائه ، ويجمع كلمتهم ، ويوحد صفوفهم ، ويستل من نفوسهم سخائم الجاهلية ، ويبين لهم الرشد من الغي ، ويهديهم الصراط السوى .

وشاء العزيز الحكيم ، الذي خلقهم في أحسن تقويم ، ألا يدعهم على هذه الحالة التي تؤذن بالخطر ، فما هي إلا عشية أوصحها ، حتى ظهر نور الإسلام فأضاء المشرقين والمغربين ، وسارع الناس إلى الدخول فيه أفراداً وجماعات ، ونزل القرآن الكريم على الرسول الصادق الأمين ، جامعاً لكل شيء ، آمراً بالخير والنلاح ، ناهياً عن الهلاك والدمار . مشتملاً على أسباب السعادة في الدنيا والعقي ، هادياً إلى الحق والصراط المستقيم .

جاء الإسلام وقضى على ما كان في الجاهلية من ظلم وجور ، ورتع منار العدالة والقسطاس ، ودعا إليهما التنزيل الحكيم في غير موضع منه ^(١) .

قال تبارك وتعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

وقال جل شأنه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

وبين القرآن الكريم أن الناس كلهم مخلوقون من آدم وحواء ، ولا فضل لأحد على الآخر ، وأكرمهم عند الله أتقاهم ؛ فقال جل ثناؤه :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

وجاءت السنة الكريمة شارحة كتاب الله العزيز الحميد ، مبينة للناس ما نزل إليهم ، داعية إلى أشقات الفضائل ، محذرة عن تنكب جادة الإنصاف والعدل ، وهل وراء ذلك مطلع إلى القسطاس لناظر ، أوزيادة في العدالة لمستزيد ؟

— ٢ —

وبينما نرى أهل الجاهلية في شقاق دائم ، ونزاع مستمر نرى أن الدين الإسلامي يأمر بجمع الكلمة ، واتحاد القلوب ، وضم الصفوف ، وتوحيد القوى نحو مقصد شريف ، وغاية سامية ، وهدف نبيل ؛ وينهى عن التفرق ، ويحذر أهله عاقبته الوخيمة . قال تبارك

(١) وهي المذكورة في باب العدل في كتابنا هذا .

وتعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَإِذْ كَرُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا . كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

وبينا نرى أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار من أولاد الميت ، نرى الإسلام يفرض الفرائض الشرعية على أساس محكم ، وقاعدة عادلة تصلح لكل زمان ومكان .

ولما كان التورم قد ألفوا ما كان عليه أسلافهم في الجاهلية من تورث الأكبر فالأكبر ممن يقدر على خوض غمار الحروب ، وحرمان النساء والصغار من أبناء الميت ، نرى بعضهم قد شق عليه — بآدى ذى بدء — قبول ما جاء به الإسلام من الفرائض مخالفاً لما ورثوه عن آبائهم في هذا الصدد .

ولكنهم لم يلبثوا أن علموا أن التشريع الإسلامى تشريع محكم ، قائم على أساس العدالة والإنصاف ، وفى غاية من الدقة والإحكام ، فتقبلوه بقبول حسن ، وعملوا بمقتضاها طائعين راضين « أشربوا فى قلوبهم حب مبادئ الإسلام السامية ، وسارعوا إلى العمل بها عن طواعية ورغبة ، وأيقنوا أنها أنت خير الخلق أجمعين » .

— ٣ —

ولم يقف الإسلام حيال خرافات الأولين وترهاتهم مكثوف اليمين ، بل أتى عليها من الأساس ، وأبادهها من عالم الوجود ؛ فقد كان بعض أهل الجاهلية يعتقد أن للامات فى الآخرة حزية لا تقل عن مزيتها فى الدنيا ، وتطرفوا فى اعتقادهم هذا حتى تحول إلى وهم انتشر فيهم بأن الولد قد يرث منزلة والده الدينية وإن لم يكن أهلاً لها وجدراً بها ، كما يرث عنه ما تركه من مال ومتاع .

ولو أمعنت النظر فى مبادئ بعض الأديان الأخرى غير ديننا الإلهى العظيم لوجدت هذا الوهم وذلك الاعتقاد قد وجدا لها أنصاراً عديدين ، ومحبين كثيرين .

ولما أشرقت أنوار الإسلام على الوجود ، محاه هذا الاعتقاد الواهى ، ومقت ذلك الوهم الساقط ، وقرر فى النفوس أن الناس مجزيون بأعمالهم صغيرها وكبيرها ، خيرها وشرها ، (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) .

ولقد بينَ هذا الدين الحنيف في صراحة لا يعتورها أبس ولا خفاء ، أن كل إنسان
سيجنى يوم الحساب ما قدمت يدها في هذه الدار الفانية ، وعند الله الحكم العدل لا تحمل
نفس آئمة إثم نفس أخرى ، ولو كانت من أقرب الأقربين إليها ، بل كل نفس تنال جزاءها
بقدر أعمالها « إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » ، (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) .

وقد جاء التصريح بذلك في عدة مواضع من التنزيل الحكيم :
قال تعالى في سورة فاطر ، بعد أن ذكر الناس بغناه عنهم ، وفقرهم إليه ، وأنه قادر
على إذهابهم وإماتهم ، والإتيان بخلق جديد يطيعونه حق الطاعة .
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ . وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) :

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِثْلِهِ لَا يَحمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) .

وقال جل وعلا في سورة النجم: (أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبرَاهِيمَ الَّذِي
وَفَّىٰ. أَن لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ. وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ. وَأَن سَعْيُهُ سَوْفَ
يُرَىٰ. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ).

وقد جاء سيد الأولين والآخرين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقوّى هذه القاعدة العادلة ، وقررها في النفوس ، ومكنها فيها فضل تمكن ؛ أمر يوماً بجمع أهله وعشيرته الأقربين ، فانفضت إليه المجالس ، وحضرته قريش وأتاه بنو عبد مناف وبنو عبد المطلب وبنو هاشم وعمه العباس وعمته صفية وكريمته السيدة فاطمة ، رضوان الله تعالى عليها ؛ ولما أخذوا مجالسهم ، والتأم عقد الحاضرين ، قام فيهم الرسول الأعظم خطيباً . فقال بعد أن حمد الله حق الحمد ، وأثنى عليه أبلغ الثناء :

« أَيُّهَا النَّاسُ: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ — أَى عَذَابِهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ — فَإِنِّ

لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . يَا بَنِي هَاشِمٍ ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . يَا صَفِيَّةُ يَا عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ : لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ! سَلِّينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .

فإذا كان الرسول الكريم لا يغني شيئاً عن ابنته رضوان الله عليها ، وهي أحب الناس لديه ، فهل يتصور بعد ذلك أن يغني أحد من أمته شيئاً عن صواه من الناس ؟ وإن في ذلك لمنتهى الإنصاف بلا ريب ، وغاية العدالة بلا نزاع .

وهل ترى ديناً غير الدين الإسلامي العظيم جمع السعادة لمعتنقيه ، والهناءة لمتبعيه ؟ كلا . فإن الدين الإسلامي بحق هو دين الفطرة ، ويتمشى مع كل زمان ومكان ، ولم يعرف أمراً يوصل الإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة إلا وأمر به ، ولا شيئاً يدفع بصاحبه في مهادي الهلاك وبؤر الدمار إلا ونهاه عنه ، وحذره منه .
(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

٦ — العلوم والعدالة الاجتماعية

بقلم حضرة صاحب العزة الدكتور عبد العزيز أحمد بك

منذ أن قامت الحرب الحاضرة ، ورأى الناس شدائد وأهوالها التي تصيب المدنيين في بيوتهم كما تصيب الحار بين في ميادين القتال على السواء ، أخذوا يفكرون في أسبابها ، وفيما إذا كان من الممكن منعها مستقبلاً .

وقد هدام التفكير إلى أن أسبابها اقتصادية ، يرجع معظمها إلى الضائقة المالية التي أصابت الدول عامة ، وإلى البطالة التي انتشرت فيها ، خصوصاً في دول المحور ، فدفعت الحكومات إلى الاستكثار من معدات التسليح كملاج لها .

وكان من نتائج هذا التفكير أن انتشرت في العالم نزعة جديدة ترمى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس ، باعتبارها الهدف الأسمى والمثل الأعلى للحياة الإنسانية ، وأن فيها القضاء النهائي على الحروب بين الأمم .

وبغض النظر عما إذا كان تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس وحده كافياً للقضاء على الحروب ؛ أم أن هناك شيئاً آخر يسمو فوق الماديات لابد من توفره بجانبها ، ليس هنا مكان الخوض فيه ؛ فما لاشك فيه أن العدالة الاجتماعية أصبحت الآن ضرورة محتومة بسبب التطور الفكري الذي حدث في العالم .

العدالة الاجتماعية هي تعبير آخر لتحرير الفرد من العوز والحاجة إلى الغذاء والكساء والصحة والتعليم ، باعتبار هذه الأشياء هي المقومات الضرورية للحياة ، وأنها حق طبيعي لكل فرد على قومه وعلى المجتمع .

والواقع أن الدول الراقية كانت سائرة في توفير هذه المطالب لكل فرد قبل الحرب بدرجات متفاوتة بنسبة تقدمها ورقبها ، وقد اتبعت في سبيل تحقيقها طريقتين مختلفتين في الاتجاه وإن اتفقا في الغاية والنتيجة .

ففي بريطانيا العظمى وأمريكا : قامت العدالة الاجتماعية على فرض ضرائب تصاعدية على ثروات الأفراد والشركات ترتفع في النهاية إلى ما يزيد على ٩٥٪ من الإيراد ، ثم استخدام حصيلة تلك الضرائب لإغاثة الفقراء والمساكين باقدر الذي يسمح بسد حاجاتهم من مطالب الحياة الضرورية السالفة الذكر ، بعد تقدير حدّها الأدنى لكل فرد ، وبهذا وفقت تلك الدول بين نظام (الرأسمالية) الذي تدين به وتحافظ عليه ، لما ثبت لها من فوائده بمرور السنين والأحقاب ، وبين تحقيق العدالة الاجتماعية التي تنشدّها .

أما في روسيا الشيوعية فقد سلكت حكومتها مسلكاً آخر في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية ، وهو هيمنة الدولة على مرافق البلاد الإنتاجية في الزراعة والصناعة وسائر موارد الثروة فيها ، واستخدام أفراد الشعب كافة في استثمارها ، كل بحسب قدرته ومواهبه ، وتوزيع الإيراد من الإنتاج عليهم بقسطاس معين ، ملحوظ فيه كفاءتهم ومقدرتهم على

الإنتاج الفكرى والجسمانى ، أو بالأحرى بحسب مساهمتهم الفعلية فى الإنتاج ؛ فجاء هذا التوزيع متفقاً مع العدالة ، مرضياً من الجميع .

هاتان الوسيلتان تشتركان أيضاً فى أمر واحد لا يمكن تحقيق تلك الغاية المنشودة بدونهُ ، وهو أنه لا بد أن تكون الثروة الأهلية من السعة بحيث إذا وزعت بهذه الوسيلة ، أو بتلك أمكن توفير أسباب الحياة الضرورية للأفراد ؛ فبريطانيا تعتمد فى ذلك على ثروتها الطائلة فى داخل بلادها ، وعلى الثروات الواسعة المستثمرة فى إمبراطوريتها المترامية الأطراف وراء البحار ، وفى كثير من البلاد الأخرى ؛ كذلك تعتمد أمريكا على ثروتها الأهلية التى بلغت شأواً بعيد المذال ، وفى روسيا أيضاً قد تقدم الإنتاج الزراعى والصناعى فى الحقبين الأخيرتين بخطوات هائلة ، وأذهلت العقول بما أدخلته فى نظامها الاقتصادى من برنامج الخمس السنوات الذى تكرر مرات عدة فى العشرين سنة الماضية ، حتى أصبحت الآن تضارع فى الإنتاج الصناعى بريطانيا العظمى التى سبقت العالم أجمع فى الأعمال الصناعية بأكثر من نصف قرن .

والحافز الذى يرجع إليه الفضل فى هذا التقدم المادى والاقتصادى ، سواء فى بريطانيا أو أمريكا أو روسيا ، هو « العلوم » التى وضعتها تلك الأمم نصب أعينها ، وأحلتها المكان الأول من اهتمامها ، وكل من يتتبع التقدم العلمى فى روسيا الآن يعجب كيف تمسكت هذه الدولة الناشئة الحديثة العهد بالعلوم وفنون الهندسة من الوصول إلى هذا المستوى العلمى الرفيع فى هذه الفترة القصيرة ؟ فإذا ما أقبل الإنسان على دراسة الوسائل التى اتبعتها روسيا لتنشيط الإنتاج العلمى — وهى مشروحة فى كتبها ومجالاتها — تبين له أنها وسائل عادية ، وفى مقدور كل أمة أن ترسمها فتصل إلى نفس النتيجة .

ليس فى العالم الآن من يجهل فضل العلوم سواء العلوم البحتة ، والعلوم التطبيقية التى نسميها عادة بالفنون الهندسية — فى ترقية هذا المجتمع بعد أن كشفت الحرب الحاضرة عما تستطيع أن تقوم به العلوم مما يعده رجل الشارع من المعجزات ، ولا يحط من قدرها أنها وجهت إلى التدمير ، فليس هذا التوجيه من فعل العلماء أنفسهم ، ولا هو من أغراضهم ، بل أن مهمتهم الأولى والأخيرة هى الكشف عن أسرار الطبيعة ، وإعطاؤها الصفة العمالية

التي تجعلها صالحة للاستعمال إن خيراً وإن شراً ؛ فإذا ما وجهت العلوم ونتائجها نحو التعمير بعد انتهاء الحرب — وكل الشواهد تدل على ذلك — واستخدمت في زيادة الإنتاج في النواحي الاقتصادية المختلفة ، فستؤتي ثمارها يانعة ، وسيصبح العالم أسعد بكثير مما كان عليه قبل الحرب .

كل يوم تأتينا الأخبار باستعداد الأمم لتحقيق سِلم دائم يقدم على تحسين الأحوال الاقتصادية ، وزيادة الإنتاج في كل بلاد العالم ، وتوفير أسباب السعادة لكل الشعوب ، لأن هذه الأمم أدركت تمام الإدراك أن وجود شعب واحد محروم في دنيا سعيدة ، خليق بأن يثير عواصف القلق في الشعوب الأخرى .

ولما كانت العلوم هي الدعامة التي يبنى عليها صرح التقدم الاقتصادي ، فقد أخذت كل دولة في تعبئة أكبر عدد ممكن من رجال العلوم والهندسة وتوجيه مجهوداتهم إلى استثمار موارد الطبيعة وزيادة الإنتاج بالوسائل العلمية في جميع نواحي النشاط الاقتصادي .

ولقد وهب الله مصر أرضاً من أخصب بقاع العالم ؛ ومع ذلك لا يكاد إنتاجها الزراعي يضارع إنتاج البلاد التي أدخلت الوسائل العلمية في زراعتها .

وفيها كذلك معادن ومناجم تحسدها عليها بلاد أخرى حرمت منها ، مثل (سويسرا وإيطاليا) ولم يمنعها ذلك من تقدم الصناعة فيها .

وفي مصر أيضاً منابع للقوة الحركية والكهربائية لا يستهان بها ، كل ذلك خليق بأن يجعلها تنبؤاً مكاناً محترماً بين الدول الراقية ، ولا ينقصها إلا أن تعي جهودها لتنشيط العلوم والأبحاث العلمية ، وأن تستكثر من استخدام الوسائل العلمية في شؤونها الاقتصادية .
الدستور في يوم السبت ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٤

٧ — إقامة العدل ومحق الظلم

والحكم في الناس بما يصون حقوقهم

كل ما في هذا السكون المحكم بعوالمه ، يقوم على نظام محكم ، وترتيب عجيب (ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ) .

فيجدر بالإنسان أن تكون كل أحواله وأعماله العامة جارية أيضاً على نظام يدير شئونه ، ويسوس أموره .

ومن أجل ذلك اقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى إيجاد السلطان الوازع ، والشرع النافذ في خلقه منذ القدم ، وفي كل الشعوب والأمم (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ، ولهذا قيل : « السلطان ظل الله في أرضه » .

بالعدل والنظام قامت السموات والأرض .

ومبدأ القرآن فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي ، دائر على محور إقامة العدل ، وحسن تدبير الشئون في سياسة الخلق ، فسياسة المصالح ، وتدبير الأمور على حسب المقتضيات مادةً وأدباً - مطلوب من الراعي لرعيته ، وتقرير النظام ، وبسط رواق الأمن ، وتمهيد سبل استغلال الثروة في المجتمع ، ونصب ميزان القضاء العادل بالشرع والقانون ، والذود عن حياض المملكة ، والدفاع عنها ، وتشجيع العلم والعلماء ، وتسهيل نشر المعارف ، والأمر بالمعروف بين الرعية ، حقوق واجبة على الحكومة في نظر الإسلام ، حث عليها الشارع ، ونزل بها الكتاب ، وجرى بها العرف الصحيح .

فتوطد دعائم الأمن ، وتأسس المنافع ، وتسهيل سبل المرافق من أجل ما حث عليه الشرع الإسلامي ، وأوجبته المبادئ الإسلامية في آداب الحكومة .

وبالعدل تنتظم أحوال الرعية ؛ ولقد نص الله تعالى في أكثر من آية من كتابه العزيز على إقامة قسطاس العدل في الشئون المختلفة ، وفيما يشجر بين الناس من الخصام في الحقوق وسائر المعلومات .

ولذلك وجب في نظام المجتمع الإسلامي وآدابه السامية اختيار القضاة والولاة والنواب وسائر العمال من أهل العلم والتقوى والزهادة .

ولقد ورد في الحديث الشريف : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّاقِدَ عِنْدَ وَرُودِ الشُّبُهَاتِ وَيُحِبُّ الْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ » .

والرشوة وما في حكمها هي : السحت (الحرام) ، والربا المحرم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وهي إذا أخذت لإحقاق باطل كانت من أشأم الظلم والجور الذي لا يفلت صاحبه

من عقاب الله ، وإذا تنوعت لتفسير مصلحة بحق ، كانت من أعظم أكل أموال الناس بالباطل .

ومن الكذب على الله ، والافتراء على الناس ، ما يقدمه المحكوم للحاكم باسم الهدية ،
وهي الرشوة بيمينها .

جاء في صحيح البخارى ومسلم عن أبى حميد الساعدى قال : « اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ سَمُهُ (ابن التنبية) عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا بَالَ الرَّجُلِ نَسْتَعْمِلُهُ عَلَى عَمَلٍ مِمَّا وَلَا تَأْتِيهِ اللَّهُ فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ ؟ فَهَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَبْنَاءَهُ إِلَى إِلَيْهِ أَمْ لَا ؟ وَالَّذِي تَفْسِي يَمِيدُ ، لَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ ، إِنْ كَانَ يَبْعِدُ إِلَهُ رُغْلًا ، أَوْ يَقْرَأُ لَهَا حُورًا ، أَوْ شَاءَ تَعْمُرُ (نصيح) ثم رفع يديه حتى رأينا عقر إبطه (أصل إبطه) وقال : اللَّهُمَّ هَذَا بَلَغَتْ ؟ »
فتمادى عمال السوء فى أخذ الرشوة ، وخيانة الدولة من أعظم ما يفسد المصالح الفضائية والإدارية فى المملكة .

فاختيار العمال واجب ، وتقييدهم بالنظام لازم ، وانتقاؤهم من ذوى الاستقامة ، المشهورين بالصدق والإخلاص والعفة والحزم ضربة لازب .

ومن أصول دعائم قيام المملكة : تنظيم الجند للحراسة ، والدود عن حياض الدولة والأمة داخلًا وخارجًا ، وهذا أمر مرغوب فيه وداخل فى حكم الآية الشريفة : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) .

فيجدر بالأمم الإسلامية أخذ الحذر ، والسهر والمداومة على انتقاء أحسن التدابير العسكرية الفنية والعملية مما له أصل فى الترغيب فى القرآن الكريم .

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانُ مَرْصُوصٍ) .

وكل ذلك يقتضى إغداق الأرزاق على الجنود ، واختيار أجود العدد والسلاح

واللباس ، والمران على أساليب الحرب . قال الإمام الطرطوشي في كتابه « سراج الملوك »
في فضل الجندية ، والحث على القيام بشأنها :

الجند عُدَدُ الْمَلِكِ وحصونه ، ومعاقله وأوتاده ، وهم حماة البسيطة ، والذّابون عن الحرمه ،
والدافعون عن العورة ، وهم جُنَحُ « حماة » الثغور ، وحراس الأبواب ، والعدة للحوادث .
(المرحوم محمد جاد المولى بك)

٨ — بالعدل استقام الملك والدين

العدل وضع الشئ في محله ، وإيصاله إلى مستحقه ، وبه قوام الدنيا والدين ، وسبب
صلاح الخلقين ، وبه تألفت القلوب ، والتأمت الشعوب ، وظهر الصلاح ، واتصلت
أسباب النجاح ، وشمل الناس التناصف ، وضمهم التواصل والتعاطف ، وبه عمرت البلاد ،
واستراحت العباد ، وأمنت السبل ، ونمت التجارات ، وورثت الأرزاق ، وعمت الإصلاحات
العامة والخاصة .

وما قامت به أمة من الأمم ، وجعلته في موارد أفعالها ومصادرها ، إلا وكانت في مقدمة
الأمم عمراناً ، وأكثرها حضارة ومدنية ؛ وما حادت عنه ونكبت جانباً منه ، إلا وكان
الخراب رائدها ، والضعف قائدها .

بذلك قضى العقل ، وحكم الله وجرى العمل في الأمم من أول نشأتها إلى الآن ؛
وحسبك عبرة ومصدّقاً قولُ الله جل شأنه (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) .

وهو نوعان : ظاهر وباطن .

فأما الظاهر ، فيكون في الحكم بين الناس لقول الله سبحانه :

(وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ) أى بالعدل .

وفي صدق القول لقوله تبارك اسمه : (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) .

وفي الوزن لقوله عز وجل : (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) ويكون في غير ذلك .

وأما الباطن فهو في جميع ما يلزم الإنسان من محاسبة نفسه ، سواء فيما بينه وبين الخالق

أو فيما بينه وبين الخلقين .

فأما الذى بينه وبين الخالق ، فامتثال أحكامه ، والتزام حدوده ، والوقوف عند أوامره ونواهيه وإن شئت ، والرضا بقضائه ، والتسليم لقدره ، وإن لم يوافق اختياره .

وأما الذى بينه وبين المخلوقين ، فالإنصاف من نفسه فيما له وعليه ، وأخذ الحق وإعطائه ، وقول الصدق ، وحسن المعاشرة ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، وكتان السر ، وغير ذلك مما يتعلق بحكم الشريعة ، ويقتضيه الحق ، وتوجيه مكارم الأخلاق ؛ وهو بهذا المعنى لا يختص بحاكم أو أمير أو والٍ أو نحوه . ممن له على غيره حكم دون غيره ، بل هو لازم لكل إنسان فى جميع أحواله ، فإنه يتعين عليه العدل فى أهله وماله وولده وأعوانه وخواله وخلاته وقرباته وجيرانه ومعامله وخلطائه فى أخذه وعطائه ، وفى الخاص والعام من جميع أموره وأحواله .

وقد حث الله عليه ، وبالغ فى التمسك والأخذ به فى جميع الأحوال ، وسائر الأعمال .

فقال جل شأنه فى الحث على العدل فى الحكم بين الناس :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .

وقال تبارك اسمه فى الحث على العدل فى الشهادات :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

وقال جل شأنه فى وجوب العدل بين الخصمين ولو كان من أشد الناس عداوة له ،

وأنفضهم إليه .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

وقال تعالى في الحث عليه والتمسك بعروته الوثقى التى لا انفصام لها .
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ . وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .
(عن كتاب الصراط المستقيم للمرحوم أحمد زنائى بك)

٩ - أمثلة فى العدل

نقلًا عن كتاب « السمر الواعظ » الجزء الأول

١ - روى عن محمد بن كعب القرظى أنه قال : دعانى عمر بن عبد العزيز ، فقال
صف لى العدل .

فقلت : بئح بئح ، سألت عن أمر جسيم : كن لصفير الناس أبًا ، ولكبيرهم ابنًا ،
والمثل منهم أخًا ، فبرّ أباك ، وارحم ابنك ، واحفظ أخاك ، فهذا هو العدل الذى فيه
سعادة الدنيا والآخرة .

٢ - وخطب سعيد بن شريك بجمعه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
أيها الناس : إن الإسلام حائط منيع ، وباب وثيق ، فحائط الإسلام الحق ،
وبابه العدل .

ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ، ولا ضرباً
بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

٣ - وقال قدامة : حسبكم دلالة على فضيلة العدل ، أن الجور الذى هو ضده
لا يقوم إلا به .

وذلك ، أن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم ، احتاجوا إلى استعمال
العدل فى اقتسامهم ، وإلا ضلّ ذلك بهم .

٤ - روى أن منافقاً من المنافقين فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين
يهودى خصومة فى أمر من الأمور ، وابتغيا حكماً يحكم بينهما .

فقال اليهودى : نحتكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال المنافق : بل نحتكم إلى كعب بن الأشرف (وكان كافراً) ؛ وأخيراً قررا أن يحتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بينهما ، ورأى أن الحق لليهودى ف قضى له به ، فلم يرض المنافق بعد انصرافهما بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقابلهما سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ؛ فقال له اليهودى : قد احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ف قضى لى بحق ، ولم يرض هذا بقضائه وخاصمنى إليك .
فقال عمر رضى الله عنه للمنافق : أ كان ذلك ؟ قال : نعم . قال : مكانكما حتى أرجع إليكما .

ثم دخل عمر فأخذ سيفه وخرج فضرب به عنق المنافق حتى برد .

وقال : هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله .

فنزل عند ذلك قوله تعالى فى سورة النساء :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَمَّكُمُوكُمْ إِلَى الطَّاغُوتِ^(١) . وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ . وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ . ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَنْفُلُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ . وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا . فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .

(١) المراد بالطاغوت : كعب بن الأشرف أو من يحكم بالباطل اتباعا للهوى والشيطان .

وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن عمر قد فرق بين الحق والباطل ،
فسمى الفاروق .

٥ - و يروى أن رجلاً من بني ظفر (اعله كان قد أسلم حديثاً) يسمى (طعمة
ابن أبيرق) كان قد سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان ، وكانت في جراب دقيق ،
فجعل الدقيق يتساقط من خرق فيه في الطريق حتى وصل إلى منزل (زيد بن السمين
اليهودي) نخبأها عنده ، والتمس صاحب الدرع درعه عند طعمة فلم يجدها عنده ، وحلف
طعمة إنه ما أخذها وماله بها علم .

فتركوه وانبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فوجدوها عنده .

فقال لهم : دفعها إلى طعمة ، وشهد بذلك ناس من اليهود .

فقال بنو ظفر : انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقوا وسألوه أن
يجادل عن صاحبهم طعمة لئلا يفتضح ويبرأ اليهودي ، فزل قول الله تعالى في سورة
النساء أيضاً :

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ
لِالْخَائِنِينَ خَصِيماً . (أى مدافعاً) وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً . يَسْتَخْفُونَ مِنَ
النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً . هَآ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا . وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ
اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً . وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً
حَكِيماً . وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْماً
مُبِينًا . وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ
تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) .

والذى يتلو الآيات التى نزلت فى كل من القصتين يتمعن يعرف مقدار الحكم العادل ،
وعدم المحاباة فى الإسلام ، وكفى به عدلا ، وكفى بالله شهيدا .

٦ — وروى أن يهودياً شكاً علياً إلى عمر فى خلافته (رضى الله عنهما) فقال عمر
ابن الخطاب لعلى بن أبى طالب : قف بجوار خصمك (يا أبا الحسن) فوقف ، وقد علا
وجهه الغضب .

فبعد أن قضى الخليفة بينهما بالعدل قال : أغضبت يا على أن قلت لك : قف بجوار خصمك ؟
قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من كونك كنيته بأبى الحسن ، نخشيت من
تعظيمك إياى أمام اليهودى أن يقول : ضاع العدل بين المسلمين .

٧ — ووفد (جيلة بن الأيهم) أحد ملوك غسان^(١) على عمر بن الخطاب رضى الله عنه
بأبهة الملك بعد أن أسلم فتلقاها بالترحيب .
ولما انصرف إلى مكة حاجاً أخذ يطوف بالبيت ، فداس أعرابى على إزاره ، فلطمه
(جيلة) على وجهه .

فشكا الرجل إلى عمر ، فغضب وتألم ، ثم أنصفه من ضاربه ، فكبر على (جيلة) حكم
عمر ، وقال :

ألا تفرقون فى الإسلام بين الملوك والسوقة ؟ فقال له عمر : إن الإسلام قدسوى بينكما .
فغضب (جيلة) وولى هارباً من دين يسوى بين الضعيف والقوى ، ويحكم بأن يؤخذ
للحقير من الأمير ، ثم ندم بعدئ على ذلك ، وقال أبياتاً منها :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكتفى منها لجأج ونخوة فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أُمى لم تلدنى وليتنى رجعت إلى الأمر الذى قاله عمر

٨ — وروى أن عمر رضى الله عنه كان يقسم أثواباً بين نساء المدينة ، فبقى منها ثوب
جديد ؛ فقال له بعض الحاضرين عنده : أعط هذا الثوب لزوجتك أم كلثوم .

(١) بنو غسان : هم العرب الذين كانوا يسكنون فيما بين حدود الشام وكانوا تابعين لدولة الروم ،
وجيلة هذا كان آخر ملوكهم .

فقال لهم : إن فلانة أحق به منها ، لأنها بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تصلح قرب الماء يوم أحد .

٩ — وروى أنه قد جرى لعمر رضي الله عنه بمال فجاءته بنته حفصة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له :

يا أمير المؤمنين أوصيك بأقربائك بأن تعطيتهم من هذا المال ، فإن الله تعالى قد أوصى بالأقربين .

فقال لها : يا بنية حق أقربائي في مالي ؛ أما هذا فالسلمين .

غششت أباك ، ونصحت أقرباءك ، قومي ، فقامت تجرّ ذيلها (خجلًا) .

١٠ — وروى أن ولدي عمر رضي الله عنه ، وهما عبدالله ، وعبيد الله — وكانا في سفر — فمرّا في طريقهما على أبي موسى الأشعري ، وهو أمير (البصرة) يومئذ فزلا عنده فأكرمهما ، ورحب بهما ؛ وقال لهما : إني أحب أن أعمل لكما عملاً تنتفعان منه ، وهو : أن عندي مالاً من مال بيت المسلمين أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين نخذه سلفاً واشترى به تجارة من العراق لتبيعها بالمدينة وتأخذ ربحها ، وتدفع لأمر المؤمنين رأس المال ، ففعلاً ذلك وربحاً .

فلما بلغ عمر ذلك قال لهما : هل أسلف أبو موسى كل الركب أو أسلفكما وحدكما ؟ قالوا : بل أسلفنا وحدنا ، قال : إنه قد فعل معكما ذلك لأنكما ابنا أمير المؤمنين فخابا كما ، وطلب منهما رضي الله عنه أن يدفع رأس المال والربح إلى بيت مال المسلمين . وبعد مناقشة طويلة بينه وبين ولده عبيد الله صالحهما على أن يأخذ رأس المال ونصف الربح لبيت المال ، ويترك لهما نصف الربح .

ملحوظة — الذي ذكرناه من حرص عمر رضي الله عنه على العدل ، ونكراته نفسه وأهله في سبيل العدل ، قليل من كثير من أعماله وأقواله ، فله عند الله أحسن الجزاء ، وأكرم المنازل .

نكتفي بما ذكر في أمثلة العدل ؛ ومن أراد الزيادة فليقرأ هذا الفصل في كتاب « السميع الواعظ » وفي كتابنا : « السميع المذهب » الجزء الثاني من ص ١٠٥ — ١٤٩ ،

والرابع من ص ١٩٤ — ٢٠١

١٠ - مثل من حب عمر بن عبد العزيز للعدل

مما يؤثر عن حب عمر بن عبد العزيز للعدل القصة الآتية :
قدم عليه رجل من حلوان ادعى أن والده عبد العزيز لما كان والياً على مصر ،
أقطعته (عبد الملك بن مروان) أرض حلوان ، فورثها عمر وإخوته ، فقال عمر له : إن لي فيها
شركاً ، إخوة وأخوات لا يرضون أن أقضى فيها بغير قضاء قاض ، وقام عمر معه إلى القاضى
وقعد بين يديه ، فتكلم بحجته ، وتكلم الرجل المدعى بحجته ، فرأى القاضى أن الحق مع
المدعى ، فمضى له به ضد عمر . فقال عمر : إن عبد العزيز قد أنفق عليها ألف درهم ، قال
القاضى : قد أكلتم من غلتها بقدر ذلك ؛ فثلجت نفس عمر بحكم القاضى وقال : وهل
القضاء إلا هذا ؟ تالله : لو قضيت لي ماوليت لي عملاً ، وخرج إلى الرجل من حقه .
فانظر إلى هذا العدل السامى الذى يبدو من خليفة ، هو السيد المطاع ، هو الأمر
الناهى ، فيضرب به للرعية أحسن الأمثال .

رده للمظالم

ولما أقبل عمر على رد المظالم ، وقطع (عن بنى أمية) جوائزهم وأرزاق حراسهم ، ورد
ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل فظائهم ، ضجوا من ذلك على رؤوس الملائى فى المسجد ، وكانت
اتتهت لهم هذه الإطاعات من الخلفاء السابقين ، فلم يرفى هذا ما يؤثر عليه مادام هو فى الحق
يسير ، وخوف الله يخشى ويتقى .

ولقد كانت غلة عمر لما بوىع بالخلافة خمسين ألف دينار وأربعين ، وما زال يردها
لأهلها ومن أخذت منه حتى كانت يوم وفاته مائتى دينار ، ولو بقى لردها كلها .

فأنقر نفسه ، ولم يصب عمر من مال المسلمين شيئاً حتى مات فقيراً ، وكان من رأيه أن
يرجع ما أخذه من الناس ، ولو من طريق مشروع ، لأن استثمار الأموال من شأن الرعايا
لا الرعاة ، فكان نظره أعلى ، وطريقته أمثل وأعدل . أبو السعود أحمد إبراهيم

(عن مجلة نشر الفضائل)

ومن الأدلة على نزاهته أنه كتب إليه عامله على العراق : أن أناساً قبله قد اقتطعوا من مال الله مالاً عظيماً ليس يقدر على استخراجهم من أيديهم إلا أن يمسه شيء من العذاب . فكتب إليه عمر يقول : أما بعد — فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر ، كأنى لك جنة (وقاية) من عذاب الله ، وكأن رضاي بنجيك من سخط الله ؛ فانظر فيما قامت عليه البيعة فخذ بما قامت عليه ، ومن أقر لك بشيء فخذ بما أقر به ، ومن أنكرك فاستحلفه بالله وخلّ سبيله ، فوالله لأن يلقوا الله بخياناتهم ، أحب إلى من أن ألقى الله بدمائهم .

هكذا عمر بن عبد العزيز بكل أمر الفصل في الجنة إلى من تولى شئونهم ، ويحتمل على أن يقيم فيهم حدود الله متى ثبتت ، ولا يحمل نفسه شيئاً من وزر المسئولية ، ولنعتمد هذه النزاهة وذلك السبيل القويم .
أبو السعود

(مجلة نشر الفضائل)

العدد ٣٠ السنة الخامسة ٨ يناير سنة ١٩٣٨

أمثلة أخرى في العدل

١ — الحاكم العادل نصير الحق

تنازع إبراهيم بن المهدي وبُحَيْشُوع الطيب في مجلس الحكم في عمار ، فأغاظ له إبراهيم القول ، وكان القاضي (أحمد بن أبي دؤاد) فغضب وقال له :
يا إبراهيم إذا نازعت في مجلس الحكم امرأة ، فلا ترفع عليه صوتاً ، ولا تشر بيدك ، وليكن قصدك أتمّاً ، وطريقك نهجاً ، وريحك وكلامك معتدلاً ، ووفّ مجلس الخليفة حقها من التوفير والتعظيم والاستكانة ، والتوجه إلى الحق ، فإن هذا أشكل بك ، وأجمل بمذهبك في محتدك ، وعظيم خطرك ، ولا تمجلن فرب عجلة تهب ريشاً ؛ والله يعصمك من الزال ، وخطل القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ، إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : أمرت (أصلحك الله) بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست عائداً لما يثلم قدرى عندك ، ويسقطنى من عينيك ، ويخرجنى عن مقدار الواجب إلى الاعتذار بها أناذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه ، باخع بجُرمه ، لأن الغضب لا يزال يستفزنى بمواده ، فيردنى مثلك بحلمه ، وتلك عادة عندك وعندنا فيك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ وقد جعلت من هذا العقار لبخيتشوع ، فليت ذلك يكون وافياً بأرش الجناية عليه ، ولم يتلف مال أفاد موعظة .
وبالله سبحانه وتعالى التوفيق . (ثمار الإنشاء)

٢ - العدل والنزاهة

ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قيس بن سلمة) حرب الأكراد فظفر بهم ، ولما فرق الغنائم رأى حلية ، فاسترضى الجند فى إرسالها إلى عمر فرضوا ، فبعث بها مع رجل من أصحابه فقدم الرجل على عمر فرآه يُغدى فقراء المسلمين وهو متكئ على عصاه ، فتقدم إليه فأجلسه .

ولما انتهى الأكل سار عمر إلى داره واتبعه الرجل ودخل معه ، فأجلسه على وسادة وجلس هو على أخرى وقال : يا أم كلثوم غداءنا فأخرجت إليه خبزة بزيت ومهها ملح ، ثم أكل هو والرجل فما كان أحسن أكلامه ، ثم قال الرجل : حاجتى يا أمير المؤمنين أنا رسول قيس بن سلمة . فقال : مرحباً ، وسأله عن المهاجرين . فقال : هم على ما تحب فى كل شئ ، ثم أخبره بأمر الحلية ، فوثب عمر ووضع يده فى خاصرته وقال : لا أشبع الله إذا بطن عمر ، ردّ ما جئت به ؛ أما والله لئن تفرق المسلمون فى شائيتهم قبل أن نقسم هذه فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقة ، فخرج الرجل حتى أدرك قيساً وأخبره بما كان ففرق الحلية على أهلها .

فانظر إلى عدل عمر وزهده ونزاهته ، فكيف لا تكون القلوب بيده يصرفها كيف شاء ، وأنى أحب .

٣ — مثال حي من عدل الملك ابن السعود

ملك الحجاز وسلطان العرب

ليشظر كل من له عقل ثاقب ، وبصيرة نيرة ، إلى ماصار إليه الحجاز من وقت أن تولى عليه الملك ابن السعود ، الملك العادل ، وكيف تبدلت الأحوال ، وانتشر الأمن والأمان ، في هذا الزمان ، فسبحان مدبر الأكوان ، الواحد المتان ، الذي لم يترك الإنسان في عالم الطغيان ، بل اصطفى له ملكاً كريماً يعلمه الطريق القويم في بث التعاليم ، وإرسال الكتب القيمة والمرشدين ، لهداية الناس وتعليمهم طرق الحق والهداية ، وإرجاعهم عن غيهم وخطائهم إلى الصراط المستقيم .

اذهب الآن إلى بيت الله الحرام ، وزمزم والمقام ، وانظر كيف تبدلت العوائد التي من البدع والفواية والضلال إلى ما يتفق مع أصول الدين الحنيف من الصدق والحق والأمانة فجزاه الله خير الجزاء ، (وَأَنْ كَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) .

ومن جملة عدله الذي عم الأقطار الحجازية أنه يوجد رجل من التجار المشهورين يسمى (صادق أفندي خوجه زاده) وهو ابن المرحوم (محمود بك خوجه زاده) رئيس بلدية دمشق الشام ، اشتغل بالتجارة في الأقطار الحجازية مدة خمسين عاماً ونيفاً ، فحدث منذ بضعة شهور أن توقف أحد التجار السوريين القيمين بالحجاز عن دفع ما عليه من الديون المستحقة لصادق أفندي زاده ، وأنكر كل ما كان عليه له من دراهم وبضائع تعادل نحو ستين ألف جنيه ؛ ونظراً لما كان المرحوم محمود بك زاده من المحبة والمكانة العظيمة في قلوب أهل الحجاز ، أوعز بعضهم إلى ابنه صادق أفندي أن يرفع أمره لجلالة الملك ابن السعود ، فتوجه إلى جلالتة وقص عليه أمره ، وهو يصفى إليه في اهتمام وعطف ؛ ولما تحقق من صدق روايته أصدر أمره في الحال بدعوة جمعية من التجار ، وبينهم ذلك التاجر الناكرا الجميل ، وبعد أن ناقشه جلالتة في أمر ما عليه من الديون ، استطاع بحكمته ودهائه أن يستدرجه إلى أن أقر واعترف بما في ذمته ، ورد إلى صاحب الحق خمسة وعشرين ألف جنيه من الذهب ، واستطاع رجاله أن يخرجوا ما كان مخبئاً من البضائع في المخازن وغيرها ،

فكان هذا العمل الجليل موضع دهشة جميع التجار ، وتقديرهم لحمية جلالة الملك ، وحرصه على حب العدل والإنصاف ، وتمرّز اعتقادهم بأنه لا يمضي وقت طويل حتى يعود الحجاز إلى عهده في صدر الإسلام .

فَسأَل الله أن يديم جلالته مناراً للعدل والحق والتوحيد .

(السيد حسن الأنين)

مصر القديمة

٤ — مثال آخر من عدل الملك ابن السعود

قال لنا أحد رجال السلك السياسي : إن جلالته يعامل أولاده بحزم ؛ وحدث أن كان أحد الأمراء من أنجال الملك يقود سيارته ، فصدم أعرابياً في الطريق العام ، وحوار مدير الأمن العام في الأمر ، واتصل بجلالة الملك ابن السعود ، يسأله كيف يتصرف في الحادثة ؟ .
فقال جلالته : كيف يعامل السائق العادي إذا قتل أحد المسارة ؟

فأجاب مدير الأمن العام : نقبض عليه ولا نفرج عنه حتى يدفع فدية الأعرابي .

فقال جلالته : إذا أقبضوا على ابني ولا تفرجوا عنه حتى يدفع فدية الأعرابي .

وقبض على نجل الملك ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن دفع الفدية من جيبه .

وهكذا يكون عدل الملوك .

(أخبار اليوم)

١ سبتمبر سنة ١٩٤٥ العدد ٤٣

٥ — تكذيب ما نسب إلى قراقوش

من جور الأحكام

كنت أظن عند ما أسمع الناس يقولون : (هذا حكم قراقوش) ، أي أن قراقوش هذا رجل ظالم جبار ، سيء الإدارة والحكم ، حتى صار يضرب به المثل في الظلم وجور الأحكام .
ولكن عند ما قرأت تاريخه في دائرة معارف القرن العشرين ، الأستاذ الجليل « محمد فريد وجدي بك » ، علمت أنه كان رجلاً صاحب همّة عالية ، وإدارة حكيمة ، وأنه ليس بالرجل المستبد الظالم كما يقولون .

وإليك خلاصة ما ذكر عنه في دائرة المعارف المذكورة :

(قراقوش) هو الوزير أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب ببهاء الدين .
كان أصله مملوكاً للسلطان صلاح الدين ، وقيل : بل مملوكاً لأسد الدين شيركوه ،
عم السلطان صلاح الدين فأعتقه ، وكان معتمداً عليه في تدبير أحوال المملكة ، وكان رجلاً
مسموداً وصاحب همّة عالية .

وقال القاضي ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» : والناس ينسبون إليه أحكاماً
عجيبة في ولايته حتى إن «الأسعد بن مماتي» ذكر له جزءاً لطيفاً سماه : «الماشوش
في أحكام قراقوش» ، وفيه أشياء بعيد وقوع مثلها منه ؛ والظاهر أنها موضوعة ، فإن
صلاح الدين كان معتمداً في أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه .
نقول ولم يزل الناس عندنا يضربون به المثل في سوء الإدارة ، وجور الأحكام ؛
فيقول أحدهم إذا أنس جوراً في حكم (هذا حكم قراقوش) ؛ ولا شك أن هذا الوم سري
إلى الناس من كتاب الأسعد بن مماتي الذي ذكره القاضي ابن خلكان ، وليس للعامة من
حظ في نقد أعمال الرجال ، فكثيراً ما يتعلق بأذهانهم الوم الباطل ، فيتوارثونه جيلاً بعد
جيل على نحو ما حصل لقراقوش هذا .

ولقد صدق المثل : (كم في الحبس من مظلوم برى) ؟

(دائرة معارف القرن العشرين)

٦ — قدس العدل

في أيام حكم « فريدريك الأكبر » ملك « بروسيا » كان على مقربة من قصر
« سان سوسى » الذى يقيم فيه الملك (طاحون) تحجب مناظر الطبيعة عن بعض نوافذ القصر .
ولما رأى الملك أن هذه الطاحون تحول دون أن يستكمل القصر بهاءه ورونقه ، سأل
صاحبها عما يطلبه ثمنها ؟ فأجابه الطحان البروسى : إنه لا ينزل عنها بأى ثمن .
فكان هذا الجواب الجاف الغليظ باعثاً لأن يأمر الملك بهدمها على الفور .
وعند ما بدى بتنفيذ ذلك قال الطحان : يستطيع الملك أن يفعل هذا ، غير أنه
في « بروسيا » قانون سيعلم نبأه بعد حين .

ولما رفع أمره للقضاء حكم على الملك بأن يعيد على نفقته بناء الطاحون كما كانت ويدفع لصاحبها إلى جانب ذلك مبلغاً كبيراً من المال على سبيل التعويض .

فكان هذا الحكم ، وإن جرح عزة الملك وكرامته ، مدعاة لمفاخرته بأن يرى في بروسيا قانوناً عادلاً يسهر على تنفيذه قضاة أشداء في الحق يقيمونه حتى على الملك نفسه ، وبعد سنوات عديدة آل ملك الطاحون إلى أحد ورثة ذلك الطحان .

ولما وجد نفسه في ضائقة مالية لا يمكنه احتياها ، كتب إلى ملك بروسيا في ذلك الحين ، يذكره بما كان من أمر جده الطحان السابق مع « فريدريك الأكبر » ، ويعرض عليه لما هو فيه من ضنك وضيق ، وشدة نزوله عن الطاحون إذا رغب جلالته في ذلك مقابل مبلغ من المال ، ولكن الملك أرسل إليه في الحال ردّاً بخط يده يقول له فيه :
جاري العزيز : لا يمكنني أن أسمح لك ببيع هذه الطاحون التي يجب أن تبقى في حوز أسرتك إلى ما شاء الله ؛ لأن مبادئها أضحت ملكاً لتاريخ بروسيا ، ويجب أن تظل قائمة تذكراً لعدالة قضائنا وعدم تحيزهم في تنفيذ القانون ، وإنه ليسوءني أن أسمع عنك أنك في ضائقة مالية ؛ ولهذا أبعث إليك ستة آلاف ريال لتؤدي منها ديونك ، راجياً أن تعني بكل حاجاتك ، وأرجو أن تعتبرني جارك المحب . « فريدريك وليم »
ولا تزال هذه الطاحون قائمة إلى اليوم رمزاً لعظمة القضاء وشرف القضاة .
(عن كتاب التربية بالقصاص)

٩ - العدالة المطلقة (الاجتماعية)

كان لبدآل (يقال) من (أزميز) ولد ، وصل بعلمه واجتهاده إلى مركز قاض في المدينة وكان عمله الرئيسي ينحصر في تفقد حال الأسواق المختلفة في الموازين والمكاييل التي يستعملها البائعون ؛ فاتفق له أن مرةً بمناجر الحى الذى يبيع فيه والده .

ولما علم التجار أن التفتيش يجري في هذا اليوم ، وكانوا يعرفون أن والد المفتش يعامل الناس بموازين ومكاييل غير رسمية ، وجهوا نظره إلى الاحتياط في إخفاؤها وإظهار الموازين والمكاييل (المدموغة) الرسمية ، ولكنه تلقى نصيحتهم بالازدراء ، وهزأ الكنف ، وعدم الاكتراث ، ووقف أمام متجره باطمئنان وهدوء ، منتظراً وصول ابنه إلى محله .

جاء المفتش، ولديه من الدواعي الكثيرة ما يحتم عليه أن يبحث أساليب والده في الفش ويكشف عنها للناس، ليكون ذلك لهم عظة وعبرة .

ولما وقف بباب متجر والده، وطلب إليه إحضار موازينه ومكاييله، ليفحصها ويمتحنها لم يحفل البقال بهذا الطلب، وجعل يتبسم ضاحكاً، ولكنه اعتدل على صوت الأمر الجدى الذى ألقاه ابنه للضباط المرافقين له، إذ دخلوا وقتشوا حتى أظهروا الموازين والمكاييل التى اتضح بعد الفحص الدقيق أنها مفشوشة، فأمر فى الحال المفتش بكسرها؛ وقف البقال مبهوتاً، وظن أن الأمر انتهى عند هذا الحد، وأن ابنه لن يتجادى فى تطبيق القانون وتوقيع الجزاءات الأخرى التى من شأنها أن تفضحه فضيحة علنية، وأشهر به على أنه كان خاطئاً فى ظنه، لأن ابنه أمر بالعقوبات كما لو كان المجرم رجلاً غريباً عنه؛ فحكم عليه بتغريمه خمسين غرشاً، وبجلده عدداً معيناً من الجلدات، وقد أنفذ الحكم فى الحال، بعد ذلك نزل المفتش عن صهوة جواده، وتراعى على قدمي والده وقال له :

ياوالدى العزيز : لقد أدبت واجبي لله وللملكى وابلادى ومركزى، فاسمح لى الآن أن أتكلم معك فى احترام الابن، وخضوعه المفروض عليه لأبيه .

فالعادلة عمياء لا تفرق فى التطبيق بين قريب وغريب، وفرض الله، وحقوق المواطنين تجلّ عن أن تتأثر بالروابط الطبيعية، وأنت خرجت على القوانين فكنت مستحقاً لأن ينالك عقابها، ولولم تتلق هذا الجزاء على يد ابنك لوجب أن تقع تحت طائلته على يد أى إنسان آخر؛ وإنى آسف أن يكون مقدوراً لك ألا تتلقى النصيحة إلا منى، على أن ضميرى لم يرض أن أفعل إلا ما فعلت؛ فاسلك فى المستقبل طريقاً أشرف، وبدلاً من أن تحقد على أرجوان تعذرى، وتقدر أحوالى ومركزى .

و بعد ذلك تسلم صهوة جواده، وسار فى طريقه فى وسط هتاف الهاتفين، وإعجاب المعجبين من جميع الأهالى بمدالته المطلقة .

ولم يكن هذا التشجيع والاحترام هو كل ما كوفى به على عدالته، بل ظهر فى صورة أخرى إذ رقاء السلطان بعد الوقوف على حالته وعدالته، ومعرفة تفاصيل الحادثة إلى وظيفة قاض، ثم ترقى منها إلى وظيفة مفتى، وبقى فيها حارساً للقوانين، ومحافظاً على تعابيقها فى جميع أنحاء المملكة .
(الترية بالقصص)

١٠ - العدالة في الإسلام أيضاً

أرسل الله تعالى رسوله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فكان (جزاه الله عنا أفضل ما يجازى به نبي عن أمته) (قوام كل مائل ، وصلاح كل جائر ، ونصفة كل مظلوم ، ومنزع كل ملهوف . وكان بين الناس كالراعى الشفيق ، الرفيق على إبله ، يرتاد لها أطيب المرعى ، ويحميها من لفتح الحر ، وشدة البرد ، ويحول بينها وبين السباع الضواري ، والوحوش الكاسرة . وكان صلى الله عليه وسلم خير قائم بين الله وبين عباده ، ينظر إلى الله ، ويريه السبيل السوي ، وينزل عليه تاج الملائكة جبريل بالوحي ، فيبافه قومه بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً كل آن على نشر لواء العدالة ومدّ رواق الإنصاف ، هادماً صروح القوضي ، قاضياً على الظلم والجور . فاطمأن الناس إلى عدالة هذا الدين الخفيف ، ودخلوا فيه أفواجا ، طائعين لا مجبرين ولا مكرهين .

وإن المتتبع لسيرة أشرف الخلق صلوات الله وسلامه عليه ، يرى فيها العدالة واضحة كل الوضوح ، ولو سرحنا الطرف في رياض بسايتين الأحاديث النبوية لوقفنا على الكثير ، الداعي إلى التمسك بأهداب العدل ولإنصاف ، الناهي عن تنكيب جادة القسطاس ، المحذر من الاقتراب من الظلم الذي يهوى بصاحبه في بؤر الشقاء ، ومهاوى الهلاك والدمار .

ولا نذهب بالقراء بعيداً لنسرد لهم كل ما يؤيد أن الإسلام بحق دين العدالة والإنصاف من كلام سيد الأولين والآخرين وأفضاله ، وحسبنا ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن صفوان بن أمية قال : « كُنْتُ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى حَبِصَةٍ وَكِسَاءٍ أَسْوَدَ مَرَبَّعٍ لَهُ عَلَمَانِ لِي فَسُرِقَتْ ، فَأَخَذْنَا السَّارِقَ وَرَفَعْنَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي حَبِصَةٍ نَمْنَمُهَا ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا تَقْطَعُ يَدَهُ ؟ أَنَا أَهْبَأُ لَهُ ، أَوْ قَالَ : أَنَا أَيْبَعُهَا لَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَهَلَّا كَانَ ذَلِكَ

قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ ، ثُمَّ قَطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فهل ترى عدالة وراء هذه العدالة ؟ لما ثبتت السرقة ووجب حد السارق ، سارع الرسول الكريم إلى تنفيذ أمر الله ولم يقبل هبة صفوان الخبيصة للسارق حتى يعفيه من قطع يده ؛ لأن الرسول الكريم يعلم أن في حد السارق عبرة وعظة أسواء حتى لا يفعل غيره هذه الفعلة الشنعاء التي لا يعملها الإنسان حين يعملها وهو مؤمن ؛ بل لقد قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم يد رجل سرق برنساً (قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه دراعة كان أوجبة) من صُفَّة النساء (موضع مختص بهن من المسجد . وُصْفَةُ المسجد موضع مظلل منه) وثمنه ثلاثة دراهم .

ومما يوضح تمام الوضوح أن سيد الأولين والآخرين لم يقبل الشفاعة في الحدود ، وأنه كان دائماً رافعاً منار العدالة والقسطاس ، مارواه أبو داود والنسائي عن عائشة وابن عمر « أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَهِيَ بِنْتُ أُخِي أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الصَّحَابِيِّ ، كَانَتْ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَنْجِدُهُ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا ، فَأَهَمَّ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، وَرَأَحُوا يَبْتَخِثُونَ عَنْ يَكْلَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَا يَقْطَعَ يَدَهَا . »

فقالوا — بعد أن أفرغوا وسعهم في البحث : ومن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترى عليه إلا أسامة بن زيد حبيبه ؟ فكلموه في ذلك كما عاذت الخزومية بأم سلمة و بنتها زينب وعمر بن أبي سلمة ، فشفعوا لها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يشفعهم .

فطلب الجماعة من قريش من أسامة الشفاعة في أم فاطمة ظناً منهم بأن النبي صلوات الله وسلامه عليه يقبل شفاعته لمحبه له ، فيعدل عن قطع يدها .

فذهب أسامة إلى الرسول الأعظم وكله في أمرها ، فقال له : يا أسامة لأراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل ، ولما تشفع لا تشفع في حد ، فإن الحدود إذا انتهت إلى فليست بمتروكة . ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال — بعد أن حمد الله حق الحمد ، وأثنى عليه أبلغ الثناء :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ

مِنْهُمْ تَرَكَوْهُ ، وَإِذَا مَرَّقَ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ
لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » وقطع يد الخزومية .

ولا يخفى على القارئ أن الظاهر من هذا الحديث أن القاطع كان لأجل الجحد ،
فالرسول الكريم نزل الجحد منزلة السرقة ، لأنه يصدق على جاحد الوديعة أنه سارق ،
والحق قطعه . وورد في الصحيحين وغيرهما تصريح بذكر السرقة .

وأخرج ابن ماجه والحاكم وصححه عن ابن مسعود « أنها سرقت قطيفة من بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم » ووقع في مرسل حبيب بن أبي ثابت أنها سرقت حلياً .
ويمكن الجمع بين هاتين الروایتين بأن الحلى كان في القطيفة .

وذكر جحد العارية في رواية أبي داود والنسائي السابقة ، لا يدل على أن القاطع كان له
قط ، ولا يبعد أن يكون ذكر الجحد للتعريف بحالها ، وأنها كانت مشتهرة بذلك الوصف
والقاطع كان للسرقة .

وكل هذه الروايات على تنوعها تنطق بـ بعدالة الإسلام ، وتدل صراحة على أنه دين
الإنصاف وقانون القسطاس ؛ فلم يقبل رسول الله من أسامة حبيبه الشفاعة في الحدود ،
وأقسم بحق القوى القادر (الذي نفس كل مخلوق بيده) أن فاطمة كريمة وهي بضعة منه
لو كانت السارقة لقطع يدها ، ونذد على السابقين في تركهم للشرif الحبل على الغارب ،
ومعاقبة الضعيف على ما يبدو منه ، ولا ذنب له في هذا إلا أن الله اختار له أن يكون ضعيفاً
واختار للشرif أن يكون شريفاً ، ولكن الإسلام — وهو دين الفطرة لكل زمان ومكان —
سوى بين معتقيه فطبقت أحكامه على المسلمين بدون فارق بين عربي وأعجمي ، وأبي نبي
الإسلام قبول شفاعة الشافعين في أمر فاطمة الخزومية ، فضرب بذلك مثلاً أعلى للمسلمين
في أن يكونوا عادلين في كل أمورهم حتى ينبت قدرهم ، ويرتفع شأنهم ، ويكونوا قدوة للعالمين .
(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ — وفي ذلك فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) .

(أحمد على منصور)

(مجلة الإسلام)

١١ - صفات الإمام العادل

لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب إلى الحسن البصرى أن يكتب إليه بصفات الإمام العادل ، فكتب إليه :

اعلم يا أمير المؤمنين ، أن الله تعالى جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقضد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفرع كل ملهوف .
والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالراعى الشفيق ، الحازم الرفيق ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكفيها من أذى الحرِّ والقرِّ .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأب العانى على ولده ، يسعى لهم صفاراً ، ويعلمهم كباراً ، ويكسب لهم فى حياته ، ويدخر لهم بعد وفاته .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأم الشفيقة ، البرّة الرقيقة بولدها ، حملته كرهاً ، وربته طفلاً ، تسهر لسهره ، وتسكن لسكونه ، ترضعه تارةً ، وتقطمه أخرى ، تفرح لعافيته ، وتغتم لشكايته .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، وصيُّ اليتامى ، وخازن المساكين ، يربى صغيرهم ، ويمون كبيرهم .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالقلب بين الجوارح ، تصلح بصلاحه ، وتفسد بفساده .
والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويريههم ، وينقاد لله ويقودهم إليه .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدّد المال ، وشرّد العيال ، فأفقر أهله ، وأهلك ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين : أن الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والنواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟

وأن الله تعالى أنزل القصاص حياةً لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ؟

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أتباعك عنده ، وأنصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه مكثك ، ويفارقك أحباؤك ، يسلمونك في قعره وحيداً فريداً فتزود له ما يصحبك (يَوْمَ يَفِرُّ الْآرِبُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) .

واذكر يا أمير المؤمنين إذا بُعِثَ ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ؛ فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

فالآن يا أمير المؤمنين ، وأنت في مهل قبل حلول الأجل ، وانقطع الأمل .

لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك سبيل الظالمين ، ولا تساط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، فخبوء بأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالاً مع أثقالك .

ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، وبأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك .

يا أمير المؤمنين ! لا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً ، وأنت مأسور في حبائل الموت ، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، (وَ) قد (عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) .

وإني يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعضتي ما بلغه أولو النهى من قبلي ، فلم آلك شفقة ونصحا ، فأنزل كتابي إليك ، كداوى حبيبته يسقيه الأدوية الكريهة ، لما يرجو له من العافية في ذلك ، ومن الصحة ؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

والإمام العادل هو أول السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، كما جاء في الحديث الشريف : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : (إِمَامٌ عَادِلٌ) وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالسَّجْدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَهَاضَتْ

عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ،
وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَائِلُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ .
(عن أبي هريرة وأبي سعيد)

١٢ - صفات الحاكم العادل

ينبغي للحاكم أن يكون فطنًا لبيبًا ، بعيداً عن الشر ، قوى الشكيمة ، صادق
الفراسة ، بعيد النظر عالماً ديناً ، متصفاً بأجمل الصفات الطيبة ؛ ولذا قال الإمام على
كرم الله وجهه :

قد علمت أنه لا ينبغي أن يكون الوالى على الدماء والمغانم والأحكام ، وإمام المسلمين :-
البخيل ، فتكون فى أموالهم نهيمته ، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله ، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ،
ولا المرتشى فى الحكم ، فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا أُمطل للسنة ،
فيهلك الأمة .

وقد كتب الحسن بن سهل وزير المأمون العباسى إلى محمد بن سماعة القاضى يطلب
منه اختيار حاكم لأحد المناصب يكون جامعاً لخصال الخير ، فطناً لبيباً ، ذاعقل ودين .
وهذه الرسالة قد جمعت كل الصفات التى يجب أن يتصف بها الحاكم من حيث
الكفاية والدين ، وهى :

أما بعد : فإني احتجت لبعض أمورى إلى رجل جامع لخصال الخير ، ذى عفة ونزاهة
طُعمة ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس بظنين فى رأيه ، ولا بطمون فى حسبه ،
إن أومن على الأسرار قام بها ، وإن قلد مهمًّا من الأمور أجزأ فيه ، له سِنٌّ مع أدب ،
ولسان تعقده الرزانة ، ويسكنه الحلم .
قد قُرَّ عن ذكاء وفطنة ، وعُض على قارحة من الكمال ، تكفيه اللحظة ،
وترشده السكته .

قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، فقام فى أمورهم لخدمتها ؛ له أناة الوزراء ، وصوله
الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان
غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه ، وحسن بيانه .

دلائل الفضل عليه لأئمة ، وأمارات العلم له شاهدة ، مضطماً بما استنهض ،
مستقلاً بما نُحِّل .

وقد آثرتك بطلبه ، وحبوتك بارتياحه ، ثقةً بفضل اختيارك ، ومعرفةً بحسن تأنيك .
فهذه الصفات لو توافرت في الحاكم لكان مثلاً أعلى للفضل والكمال .
(أدب الإسلام . الجزء الرابع . ص ٢٠)

١٣ - واجبات الحاكم

يجب على الحاكم العاقل أن يجمع بين العدالة والرحمة ، وبين الشدة والحلم ، وذلك
بالسهر الدائم على مصالح الرعية ، ولو كان في هذا السهر تضحيةً للنفس ، وتكريس كل القوى
النافعة ، لأن الحاكم النزيه ، العالم بأحوال البلاد وحاجاتها إذا كان ضعيف الهمة ، غير
سديد الرأي ، لا يصلح للحكم حين تدفعه الحالة إلى إخضاع العصاة ، وكسر شوكة الأتقياء ،
فإن في الناس من خاق للشر والفساد ، أولئك لاسبيل إلى انقضاء شرهم ، وفسادهم بغير معاملة
العنف والشدة . قال تعالى :

(وَجَزَاهُ سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا ، فَمَنْ عَمَّا وَأَصْلَحَ فَأُجِّرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ .
وَلَمَّا انتَضَرَّ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأَوْثَقَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ
النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

والقسوة في معاملة الثائرين المهيجين والمعتدين والارهابيين ، وقطع دابرهم مما يسهل طرق
المعاملات ، ويمهد وسائل الكسب والراحة والطمأنينة في الأمة ، فتتنامو الثروة ، وترقى
الصناعة والزراعة طبقاً لطبيعة البلدان ، وأخلاق أهلها ؛ فتحسن علاقاتها الخارجية ، ويزيد
نفوذها ، وتمتد تجارتها ، ويزداد ربحها .

انظر هذا الموضوع في كتابنا « التربية الاجتماعية »

خطبة في محاسن العدل ومساوى الظلم

الحمد لله أقام بالعدل نظام ملكه ، وجعله سبيل عطفه وبرّه ؛ فأمر بإعطاء الحقوق لأربابها ، ونهى عن منعها أو انتقاصها ، ووعد على ذلك بمحبته ومعوته ورحمته وجنته ، إنه كان وعده مأتياً ، وما كان ربك نسياً . وأشهد أن لا إله إلا هو لا بدّ منتقم من الظالمين ، إما في الحياة العاجلة ، أو في الحياة القابلة .

(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عدل بين رعيته ، وأنصف في قضيته ، فأمنه العدل ، ولاذ إليه الخصم ، فصلاوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ومن اقتنى أثرهم من الحكام المقسطين ، والقضاة المنصفين .

أما بعد — فالسعيد من عدل ، والشقي من ظلم ؛ العادل راضية عنه نفسه ، راضٍ عنه قومه ، محبّ له ربه .

الظالم إن كان له ضمير وخزه كل ساعة وأنبه ، فنفسه به شقية ، والرعية منه في بلية ، عقاب الله له بالمرصاد ، في الدنيا زوال السلطان وخراب الديار ، وفي الآخرة النار ، وبئس القرار .

العادل لا يربى إلا الله في عمله ، فلا يحابي أحداً من خلقه ، فإن دُعي إلى الشهادة أقامها بالقسطاس المستقيم ، ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين ، لا يفرق فيها بين العدو والحليم ، وإن دُعي إلى منصة القضاء استضعف الظلمة الأقوياء ، حتى ينتصر منهم للضعفاء ، لا يفضل خصماً لماله ، ولا مركزه وجاهه ، ولا لآلتائه لحزبه ، واعتناقه لمبدئه ورأيه ، بل كل الخصوم أمامه سواء ، حتى يقضى بينهم بالحق ، ويُعطى كلُّ ما استحق ؛ إن دُعي إلى ولاية أو إمارة أو رئاسة أو إدارة سلك فيمن تحت يده سبيل العادلين ، ولم تأخذه فيهم لومة اللّاثمين ، ولا شفاعة الشافعين ، ولا رشا الراشيين ، ولا سطوة الحاكمين ؛ بل سلطان الله قائم في نفسه ، لا يخضع إلا لأمره ، ولا يعمل إلا بوحيه ، فيد الله تؤيده ، وجنده يمدّه ، أولئك عباد الله المخلصون ، أولئك حزب الله المفلحون ، أولئك الذين تقوم بهم الدولة ،

وَتُقَسِّرْهُمْ الْأُمَّةَ ، فَمُعِيشَ عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، أَفْرَادَهَا وَجَمَاعَاتَهَا ، فَقَرَاؤَهَا وَأَغْنِيَاؤَهَا ، ضَعْفَاؤَهَا وَأَقْوِيَاؤَهَا ، يَعِيشُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَطْمَئِنِّينَ ، وَعَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ آمِنِينَ ، فَيَتَمَتَّعُونَ بِمَا أُوتُوا فِي الْحَيَاةِ مَتَاعًا طَيِّبًا ، وَيَنْعَمُونَ فِيهَا نَعِيمًا صَافِيًا .

أَمَّا أَوْلَئِكَ الظُّلْمَةُ الْعَتَاةُ ، الطُّفَاةُ الْبَغَاةُ ، فَإِذَا بَلَّيْتَ بِحُكْمِهِمْ أُمَّةً ، وَأَصْبَحْتَ لَهُمُ السَّيْطَرَةُ وَالْكَلِمَةُ ؛ أَصْبَحَ مِنْهُمْ الْخَفِيرُ وَالْعَمْدَةُ ، وَمَنْ يَلِيهِمْ فِي الرِّبَةِ إِلَى أَكْبَرِ مَنَاصِبِ الدَّوْلَةِ ؛ إِذَا بَلَّيْتَ الْأُمَّةَ بِأَوْلَئِكَ ؛ رَفَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَنْ مَعُونَتِهَا ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا مَنْ يَجِدُّ فِي شِقْوَتِهَا ؛ يَحْتَلُّ دِيَارَهَا ؛ وَيَسْلُبُهَا أَمْوَالَهَا ؛ وَيَهِينُ كِرَامَتَهَا ؛ بَلْ وَيَطْأُ بِنَعْلَيْهِ هَامَتَهَا ؛ إِذَا ابْتَلْتَ الْأُمَّةَ بِأَوْلَئِكَ سَادَتْ فِيهِمُ الْمَنَازِعَاتُ ، وَكَثُرَتْ بَيْنَ أَفْرَادِهَا الْخُصُومَاتُ ، فَتَنَصَّ بِهِمُ النِّيَابَاتُ وَالْحَاكِمُ ، وَتَمَلَّأَ بِهِمُ الْأَقْسَامُ وَالْمُرَاكِزُ ؛ فَيَشْغُلُونَ النِّيَابَةَ وَوَكَلَاءَهَا ، وَالْحَاكِمَ وَقَضَاتِهَا ، وَالْإِدَارَةَ وَرِجَالَهَا ؛ يَشْغُلُونَ كُلُّ أَوْلَئِكَ عَنْ مَصَالِحِ أُخْرَى هِيَ أَجْدَرُ بِالرَّعَايَةِ ، وَأَوْلَى بِالْعُنَايَةِ ؛ وَلَا تَنْسَوُا مَا يَنْفِقُهُ الْخُصُومُ لِلْوَكَلَاءِ وَالْحَامِينَ وَالسَّامِرَةِ وَالْكَاتِبِينَ ، أَمَلًا فِي الْفُوزِ عَلَى خَصْمِهِمْ وَنَصْرًا بِأَطْلَاهِمُ أَوْحَقَّهُمْ ، فَإِنَّهُ مَالٌ كَثِيرٌ إِذَا أَضْفَنَاهُ إِلَى مِيزَانِيَةِ الْحَاكِمِ كَانَ الْمَقْدَارُ جَسِيمًا ، وَالرَّقْمُ عَظِيمًا .

فَلَوْ كُنَّا عَادِلِينَ ، لَكُنَّا بِهَذَا الْمَالِ مُقْتَصِدِينَ ، نَنْفِقُهُ فِي شُؤْنِنَا الْأُخْرَى ، وَمَصَالِحِنَا الْعَظَمَى .

أَلَا يَعْرِفُ الظَّالِمُ مَا تَجَنَّبَ يَدَاهُ ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَنْدَمُ فِي آخِرِهِ وَيَقُولُ : (يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) .

أَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ بَظْلُهُ يَقْتُلُ الْكُفَايَاتِ ، وَيُمِيتُ الْحُرِّيَّاتِ ، وَيُضْعِفُ رُوحَ الْإِجَادَةِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَيَقْتُلُ الْإِحْسَانَ فِيهَا وَالْإِتْقَانَ .

أَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّهُ تَارَ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ .

إِنْ كُنْتَ يَا ظَالِمُ لَا تَرْغَوِي بِالْتَّحْذِيرِ وَالْإِنذَارِ ، فَاسْمَعْ جِزَاءَ اللَّهِ لِلْعَادِلِينَ ، عَلَّ قَلْبِكَ يَخْشَعُ ، وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ تَطْمَعُ ، كَتَبَ اللَّهُ لِيُحِبِّهِمْ ، وَلِيُجِيبِينَ دَعَاءَهُمْ ، وَلِيَرْفَعَنَّ دَرَجَتَهُمْ عَلَى دَرَجَةِ الْعَابِدِينَ ؛ وَلِيَكُونَ لَهُمْ نَعْمُ النَّصِيرِ وَالْمَعِينِ ، كَتَبَ اللَّهُ أَنَّهُ يَظْلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بظل عرشه ، وأنه يُجلسهم عن يمينه بقربه ، وأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، رضى الله عنهم ورضوا عنه .

فاسمع يا ظالم جزاء العادلين ، عسى أن تكون من التائبين ، عسى أن تقول : اللهم اهْدِنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ، (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

الحديث — روى الطبراني عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقْدَسُ أُمَّةٌ لَا يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ » .

وروى أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطَرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ بَرَفَعَهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

(من كتاب إصلاح الوعظ الدينى)

للمرحوم الأستاذ محمد عبد العزيز الخولى

١٤ — المساواة نوع من العدل

إن حق المساواة ناشئ من نسبة الفرد للمجتمع باعتباره عضواً فيه ؛ له الحق فى التمتع بجميع مزاياه ، وعليه واجب الخضوع لأنظمته كسائر الأفراد ؛ فكما أنه مساوٍ لهم فى هذا الخضوع ، يجب أن يكون مساوياً لهم فى التمتع بشمرات المجتمع لا يختلف عنهم إلا بمقدار ما يستحقه من هذه الثروة .

ولم يكن هذا الحق معترفاً به قانوناً حتى القرن الأخير ، فقد كان لطبقة الأعيان دون العامة ، وبعد الثورة الفرنسية اعترف بحق المساواة والحرية والإخاء لجميع الناس .

وقد نهت الشريعة الغراء على أن الناس كافة فى الإنسانية سواء ، وبرهنت على ذلك بأنهم جميعاً مخلوقون من أصل واحد ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

ذَكِّرْ وَأَنْتَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .
وقال صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

ومبدأ المساواة أن يحترم الناس بعضهم بعضاً ، ويصرموا حبل الأزدراء والاحتقار .
فتبنى معاملاتهم على المدالة والمائلة ، ويسود النظام ، ويعم الأمن ؛ كما أن هذا المبدأ يُشرع
بني الإنسان جميعهم بأن سبل المجد والشرف مباحة لكل قاصد ، وأن التفاضل لا بالحسب
ولا بالنسب ، وإنما هو بالكمال العقلي والخلقى ، وبذلك تتوق نفوسهم إلى الشرف
والانتساب إلى الفضيلة .

وليس معنى المساواة أن توزع الثروة من أموال وأراضى ومتاع وعقار على الناس
بالسواء ، فلا يكون غنى وفقير ، ولا متسولون وعمال ، ويكون الكل شركاء ، متساوين في
الرزق فإن توزيع الثروة بهذه الطريقة ضرب من الظلم ، ونوع من النظام الاشتراكي الوخيم
العاقبة ، فالمساواة التامة غير ممكنة وليست من العدل ، قال تعالى : (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ
عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) .

وقال تعالى : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) .

فالناس متفاضلون : في الثروة والجاه والدرجات ، لتباينهم في القوى العقلية والجسمية
والخلقية ، وتنازعهم وسائل الرزق وأسباب المعيشة بحكم طبيعتهم . فمن الخرق أن يكونوا
متساوين في الأعمال والثمرات والأموال و (هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ؟ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ؟) ، بل كيف يسوغ لفئة الكسالى والأغبياء والبله والمستضعفين من الرجال
والنساء والولدان - أن ينالوا من الثروة ما يناله المجدون الأكفاء ، والعاملون الأقوياء ؟ فإنهم
إن منحوا ذلك أساءوا استعماله وأضاعوه هباء ، ولم ينتفعوا بثمراته ولم يتمتعوا بخيراته بسبب
قصورهم وعجزهم وتقاعدهم عن العمل .

على أن هذا الاختلاف بين الناس يبعثهم على الجِد ، ويوقظ فيهم روح التنافس ،
ويبعث فيهم الأمل ، وهذا هو سر ما نشاهده من النشاط المستمر في جميع مرافق الحياة ،

فإن الناس جميعاً على اختلاف أزمانهم ، وتفاوت درجاتهم في الفنى والفقر وسائر وسائل الكسب - يسمعون سعيًا حثيثًا ليظفروا بالتمتع بالنعيم ، والطيبات من الرزق ، فإذا ما انقطع الأمل أو ذهب التنافس قلّ الجهود ووقف العالم عند حد الجود ، ولا يمكن أن يبقى أوبرق فلاختلاف في الأعمال والثروة والمنزلة يؤدي إلى خير الإنسانية .

ولذا كانت المساواة المطلقة في كل شيء غير ممكنة ولا جائزة ، وليست من العدالة في شيء . وهناك أمور تكون فيها المساواة ضرباً من العدل ، وعدم المساواة نوعاً من الظلم . ومن ذلك : أولاً : المساواة أمام القانون ، فلا فرق أمامه بين عظيم وحقير ، وكبير وصغير ، وغنى وفقير ، بل الكل سواء ، من ارتكب منهم إنمياً أو خطيئة أو ذنباً أو جرماً ، عوقب على ما فعل من غير تفضيل لطبقة على طبقة ، فالقوانين التشريعية والمدنية والجنائية ، تجري على جميع الناس بدرجة سواء ، لا فرق بين أحد منهم .

لهذا كان واجباً عليهم أن يقدسوها ويحلوها ، وإلا انتشر الظلم والعسف ، وحلت الفوضى محل النظام ، وانطوت حكمة الحق ، واختلت أسباب الحياة .

وقصة جبلة بن الأيهم (وهو آخر ملوك بني غسان) في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تدل على التشديد في العدالة تثبيتاً لمبدأ المساواة .

فقد أسلم جبلة واتفق أنه كان يطوف يوماً بالبيت فداس أعرابي من فزارة على طرف رداءه ، فلطم الفزاريّ على وجهه لكمة شديدة ، فاستعدى عليه عمر ، فقال له عمر رضى الله عنه : دعه يقتص منك ، فقال لعمر : وهل أستوى أنا وهو في ذلك ؟ أنا ملك ، وهو سوقة . فقال له : إن الإسلام سوى بينكما . فقال جبلة : أجتلى إلى غد . فلما أصبح مضى إلى قيصر ملك الروم ، وارتدّ ثم ندم وقال :

تنصرت الأشراف من عار لكمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفنى منها الجاج ونخوة وبعث بها العين الصحيحة بالعمور
فيـاليت أُمى لم تلدنى ولـيتنى رجعت إلى الأمر الذى قاله عمر

ثانياً : المساواة في الحقوق ، كحق الحياة ، وحق الحرية ، وحق الملكية ونحو ذلك ^(١)

(١) انظر بيان هذه الحقوق في كتابنا « الآداب الاجتماعية » .

فلكل إنسان من هذه الحقوق ما للآخر، سواء بسواء ، بمعنى أن له الحق في أن يحيا ويعيش حراً ، وأن يمتلك ، والمجتمع هو المسئول عن هذه الحقوق ، ولهذا جاءت القوانين الوضعية والشرعية بما يكفل المساواة في هذه الحقوق ، حتى لا يحرم أحد من حقوقه الطبيعية .

ثالثاً : المساواة في المناصب والوظائف ، فليست هذه وقفاً على فئة دون أخرى ، بل ينالها كل من تتوفر فيه الشروط الموضوعية لها ؛ أما عدم المساواة فيها فهو منافٍ لقواعد الدين والمبادئ الديمقراطية الصحيحة ، وأصول المصلحة العامة التي لا تعرف وساطة لتولى المناصب غير الجدارة والاستحقاق .

أما الاعتبارات الأخرى كالغنى والجاه والقربة فلا دخل لها في التفضيل ، لأنها تتناقض وهذه القاعدة الطبيعية ، وتؤدي إلى نتائج ضارة . ولهذا فإن الدستور المصري نص في مادته الثالثة في باب حقوق المصريين وواجباتهم على : (أنهم لدى القانون سواء ، وأنهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية ، وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة ، لا يميز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ، وإليهم وحدهم يعهد بالوظائف العامة مدنية كانت أو عسكرية) .

فالقانون الأساسي في مصر ينص صراحةً على تساوى المصريين وعدم التمييز بينهم في أية ناحية من نواحي الحياة ، ويسوى بينهم في كل شيء ، فلا يفضل مصرياً على آخر في تولى المناصب الحكومية لأى سبب من الأسباب ، بل الكل متساوون ، والعامل الأدق في التفضيل هو الكفاية .

وقد صدق الله في قوله : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

فالدين الإسلامى قد أمر بالمساواة ، وعدم تفضيل أحد على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح حتى أصبح كل المسلمين سواء .
مصطفى خفاجي

(عن مجلة نشر الفضائل)

١٥ - مراعاة الحقوق والواجبات

تدعو طبيعة الإنسان إلى أن يختلط بغيره من بنى جنسه ليتبادلوا المنافع وثمرات أعمالهم ، ويتعاونوا على ما يرقى شأنهم ، ويخفف عنهم أعباء الحياة ومطالب المعيشة ، وهذا الاختلاط من شأنه أن يجعل لكل واحد على الآخرين حقوقاً ، كما يجعل عليه لهم واجبات . فإذا ما عرف كل منهم حقه والواجب عليه ، وحرص على أن يطالب بحقه ويستوفيه ، ويؤدي ما عليه لغيره من الواجبات ، عاش بهم سعيداً ، وعاشوا به سعداء ، واستقامت لهم أمور الحياة ، وطاب الاختلاط ، وأنتج التعاون والتناصر والمحبة ، وكان من وراء ذلك الخير الكثير والسعادة للجميع .

وللفرد أنواع كثيرة من الخطاء الذين تدعوه الحياة إلى العمل معهم .
فمنهم الأقارب : وهم متفاوتون في القرب والصلة ، فمنهم الأولاد ، ومنهم الآباء ، ومنهم الإخوة والأخوات ، ومنهم من بعد ذلك .
ومنهم الجيران ، وهم مختلفون في القرب والبعد .
ومنهم الشركاء : في صناعة أو تجارة أو زراعة ، أو عمل آخر .
ومنهم من أوجب الله لهم عليه حقوقاً ، وإن لم يكونوا في الطوائف المتقدمة كالفقراء واليتامى والإخوة في الدين أو الوطن إلى غير ذلك .
ولكل من هؤلاء حقوق تختلف باختلاف صلة الإنسان به قوة وضعفاً ، وقرباً وبعداً .
فللأولاد : حقوق التربية والتعليم ، والتهديب وحسن الرعاية ، حتى يشبوا في حيطة العلم والدين والثقافة ، والاستعداد لملاقاة مشاق الحياة ، والتدرج بسلاح القوة والرجولة ، كي يعيشوا في مأمن من فواجع الدهر ، وبؤس الحياة .

ولللأبوين : البر والإحسان ، والطاعة والوفاء ، بما لهم من دين في عنق الأبناء ، كي يقضوا ما قدر لهم من العمر في وقاية من ذل العيش ، ومضض الحاجة ، وأثقال الأيام .

ولسائر الأقارب بذل المعونة على قدر الاستطاعة ، واحترام الكبير ، والشفقة على الصغير ، وتفقد أحوالهم ، وتوفير أسباب الحياة الهنيئة لهم ، سواء بحاله أو جاهه .
وللجيران مواساتهم في الضراء ، ومشاركتهم في السراء ، ومساعدة فقيرهم ، وعبادة مريضهم ، ودفع الأذى والضرر عنهم .

وللشركاء في تجارة أو صناعة أو زراعة أن يكون أساس التعامل بينهم الصدق في الأقوال والأعمال ، والمحافظة على أموالهم وأسرارهم ، وتجنب الحرام في طرق الكسب والابتعاد عن الغش والطمع والحرص .

ولغير هؤلاء مواساة اليتيم ، وإعانة الفقير وتعليمه ومداواته ، والعطف على الضعفاء والمنكوبين ، وحسن معاملة الناس ، وعدم الكبر على أحد ، وابن الجانب ، والصفح عن هفوات الإخوان .

فلو أن كل إنسان عرف ما عليه من الحقوق لغيره فأذاها ، لارتاحت قلوب الجميع ، واستطاعوا أن يعيشوا في وئام وهناءة ، يحفهم الأمن ، وتظلمهم الطمأنينة والسعادة ، ويعمهم الخير ، وتنمو في قلوبهم المحبة والإخلاص ، ويتبادلون التعاون والمنافع ، وتزول أسباب الخصومات ، ويأمن كل على نفسه وماله وأولاده وعرضه ومرافق الحياة .

انظر إلى المحاكم تجدها قد امتلأت بالقضايا والمتقاضين ، وانظر إلى السجون تراها قد ضاقت بالمسجونين ، وتأمل في المشاجرات التي تراق بسببها الدماء وتزهق الأرواح ، لاسبب لذلك إلا عدم مراعاة كل واحد حقوق الآخر ، والرغبة من القوى أو الشرير في اغتصاب أموال غيره ، والطمع فيما في أيدي الناس . ولو أن كل واحد أعطى غيره حقه كما يجب أن يأخذ حق نفسه ، لاستراح الناس ، وعاشوا في وفاق وسلام ، وتوافرت لهم أموالهم وأوقاتهم وعقولهم وصحتهم ، فاستخدموها فيما يرق شئونهم ، ويقوى أمتهم ، ويكسبها المجد والفخر .

انظر بيان الحقوق والواجبات في كتابنا (التربية الاجتماعية) . مجلة نشر الفضائل

١٦ - وجوب العدل على الحكام وإيصال الحقوق إلى أهلها

لا يمنع من ذلك خصومة شخصية

الحاكم هو الأمين الذي يتولى شئون الدولة ، ويتصرف فيها بما أوتيته من عقل وفطنة وخبرة ، وبمقتضى ما يوحى به ضميره ، وبأمر به دينه . فكان لزاماً أن يكون من ذوى العدالة والورع والتقوى .

لأننا نأخذ هذه هوادة في تطبيق القانون ، وإقامة الحدود ، وتنفيذ الأحكام ، مراعيًا العدل وعدم التحيز ؛ فإن كان قاضياً مثلاً اعتمد في أحكامه على الحجج والبراهين ، وجعل العدل شعاره ، وحب الحق دثاره ، وعليه ألا يذكر وهو في كرمى القضاء صاحباً ولا قريباً ، بل يكون جميع الناس أمامه سواء . يحكم بينهم بالعدل ، غير خائف من حاكم ، أو متهمب من عظيم أو متطلع لفائدة ، أو حريص على مركزه ، أو متأثر بميول غريبة ، بل يكون دائماً رجلاً نزيهاً ، بعيداً عن التحيز وآثام الشهوات ، حتى يطمئن الناس إليه ، ويتحقق العدل في أحكامه .

فإن العدل : ميزان الله عز وجل في أرضه ، المنصوب بين الخليقة ، نصبه الله وجعل له قياً وهو (الملك) وكل من ينفذ الأحكام نائباً عن الملك نفسه ؛ وبه يؤخذ للضعيف من القوى ، وللمحق من المبطل .

فتى أزال ميزان الملك عز وجل عما وضعه بين عباده فسد أمره ، وضاع ملكه .

قال تعالى : (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .

وقال تعالى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) .

والمعنى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَشْرَكَ اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ

فَجَارَ فِي حُكْمِهِ » .

وقال بعض الحكماء : أقرب الأشياء صرعة المظلوم ، وأنفذ السهام دعوة المظلوم .

وقال أردشير بن بابك : إذا رغب الملك عن العدل ، رغبته الرعية عن طاعته .
والحاكم السوء يخيف البريء ، وبصطنع الدنيء ؛ فما أنفع العدل ، وما أضر الجور !
(أدب الإسلام الجزء الرابع)

مثال القاضي العادل

حكى : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع جماعة من أصحابه ، فجاءه خصمان فقال أحدهما : يا رسول الله إن لي حماراً ، وإن لهذا بقرة ، وإن بقرته قتلت حماري .
فبدأ رجل من الحاضرين فقال : لاضمان على البهائم .
فقال صلى الله عليه وسلم : أقض بينكما يا علي (وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه
ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم) . فقال علي لهما : أكانا مرسلين أم مشدودين ؟
أو أحدهما مشدوداً والآخر مرسلًا ؟
فقال : كان الحمار مشدوداً والبقرة مُرسلةً وصاحبها معها .
فقال علي : صاحب البقرة ضامن الحمار .
فأقرّ صلى الله عليه وسلم حكمه ، وأمضى قضاؤه ، وقدمه على بقية الحاضرين من الصحابة
وكانوا أكبر منه سنًا لفظانته .

عدل عمر بن عبد العزيز

كان لعمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموي في أوائل القرن الثاني للهجرة) قائد اسمه :
(قتيبة بن مسلم الباهلي) حاله النصر في كل موقعة حتى وصل شرقاً إلى تخوم الصين ؛
واستطاع أن يضع يده على (بلاد السند) بدون حرب واحتلت جيوشه البلاد .
فاجتمع أهلها للتشاور في الأمر بشأن إجلاء هذه الجنود الأجنبية عن البلاد ، واقترحوا
أن يذهب وفد منهم يشكو هذا القائد المحتل إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ولي أمره .
فلما وصلوا إليه وشرحوا له قضيتهم ، التفت إلى قاضيه الذي اعتاد أن يجلس بجواره وطلب
منه أن يحقق بنفسه هذه القضية وأن يفصل فيها . فقال القاضي : لا أستطيع الحكم إلا بعد
سماع أقوال الطرفين في الخصومة .

فأمره الخليفة أن يذهب مع الوفد إلى بلاده ليقابل قائد الجيش ويفصل في هذا النزاع .
وفي الطريق حاول الوفد الشاكي أن يقدم إلى القاضي ركوبةً وطعاماً فأبى القاضي
قبول ذلك لأنه يعتبره رشوة ؛ وركب دابته من الشام إلى بلادهم وأكل من خبزه الجاف .
فلما وصل عقد مجلساً رجّ البلد واستدعى (قتيبة) وأوقفه أمامه مع مندوب الوفد .
وقد اعترف (قتيبة) القائد المسلم بحقيقة ما حدث منه في طريقة احتلال البلاد .
وهنا تتجلى عدالة الإسلام .

الحكم بالجلاء

فأصدر القاضي المسلم حكمه على الجيش المسلم بالجلاء فوراً ، وبأن يردّ الجيش كل
ما أخذه ، وأن يرجع كل شيء إلى أصله ، وهمّ القائد بالتنفيذ .
ولكن عدالة الإسلام في حكمه استثارت حماسة الأهلين ، ورضوا أن يدخلوا تحت
حكم الإسلام طائعين .
(محمد شريف المستشار السابق)
الأمرام في ١٠ - ٩ - ١٩٤٧

١٧ - دستور الدولة في العهد النبوي

كيف كانت توزع الوظائف والأعمال

في حكومة حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

في الظواهر التي تلفت نظر الباحث في نشأة الدولة الإسلامية ، أن رجال الأعمال
الذين قاموا بوظائفها في عهدها الأول ، كانوا (بدوياً) لم يتعلموا في جامعات ، ولم يدرسوا
فيها نظم السياسة ولا فنون الحكم ، كالحاصل بين ظهرانينا الآن .
ومع هذا فقد قاموا بأعمالهم خير قيام ، ونجحوا في سياستهم أسمى نجاح ، وما كان
انتصار قادتهم في ميادين الجهاد أروع من انتصار سياستهم في إدارة شئون البلاد .
تجلت آيات نجاحهم في مختلف شئون الدولة : ففي الرئاسة العامة قام أبو بكر وعمر
ابن الخطاب بأعباء الدولة ، بالعدل والحزم والشورى ، وكانوا أسوة حسنة لخير من يلي

أمور الناس ، ومثلهما كان عثمان وعليّ . وفي إدارة الولايات قام أبو عبيدة ومعاوية بالشام ، وعمر بن العاص بمصر ، وسعد بن أبي وقاص بالعراق ، وغيرهم من ولاية الأمصار وعما لهم لسياسة الولايات والشعوب سياسة ثبت دعائم ملكهم ، ومدت فتوحاتهم ، وحببتهم إلى الأمم التي دخلت في سلطانهم ، ورأت تلك الأمم من هؤلاء البدو وعدلهم ، وحسن سياستهم ما لم يروه من سياسة الدولتين العريقتين في النظم والحضارة : دولة الفرس ، ودولة الرومان .

وفي التعليم دبّ نور العرفان والعلم ، فقد قام عبد الله بن عمر بالمدينة ، وعبد الله بن عباس بمكة ، وعبد الله بن مسعود بالكوفة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص بمصر ، ومعاذ بن جبل بالشام ، وغيرهم من علماء الصحابة بنشر العلم بين أفراد الأمة ، حتى أوجدوا روح التنافس العلمي بين مختلف الأمصار .

وكانت المدينة ومكة والكوفة والبصرة ومصر ودمشق ، تموج بحركة علمية مشمرة ، مالبت حتى أنجبت عدة من المجتهدين من تابعي هؤلاء الصحابة ، وتابعي تابعيهم ، مما عجزت معاهد تعليمنا الحاضرة بمناهجها ونظمها من أن تنجب مثلهم واحداً في القضاء ، والسياسة المالية ، وسائر شئون الدولة ؛ فقد توجت أعمالهم بالنجاح هذا النجاح الذي وصل إليه عمال الدولة الإسلامية في أول عهدها ، له أسباب عدة ، وأهمها : أولها : حسن اختيار الرجال للأعمال ؛ وثانيها : اليقظة في مراقبتهم ؛ وثالثها : شعور العمال بواجبهم وإخلاصهم في أدائه .

١ — حسن اختيار الرجال للأعمال ، فأما حسن اختيار الموظف فقد وضع أساسه القويم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله وبقوله ، فقد روى الطبري : أن ثلاثة أرباع عمال الرسول كانوا من بني أمية ، مع أن حوله العدد الكثير من قومه بني هاشم ، ذاك لأنه إنما أراد للأعمال أهل الفناء والكفاية ، ولم يقصد إلى نفع قريب أو تدير مورد رزق المحتاج .

وروى عن أبي ذرّ الغفاريّ أنه قال : قلت : « يا رسول الله ! ألا تستعلمني ؟ فغضب

بيده على منكبي ثم قال : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَ بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا .

وروى عن أبي موسى الأشعري قال « دخلت أنا ورجلان (من بنى عمى) على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد الرجلين : يا رسول الله ؛ أمرنا على بعض ما ولاك الله ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَلَّى عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ ، فاعتذر أبو موسى وقال : لم أعلم ما جاء له .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ قَلَّدَ رَجُلًا عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَهُوَ يَجِدُ فِي تِلْكَ الْجَمَاعَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى مِنْهُ ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ » وذلك : لأنه بعمله حرم الجماعة من مزايا أكفئهم ، وربما أدى التمادي في هذا إلى إماتة الكفائيات ، فالرسول عليه الصلاة والسلام عدُّ التمادي على الأكفاء بتمعين من هو دونهم كفاءة ، خيانة لله وللرسول ولجماعة المؤمنين ، لأن في هذا إضاعة مصالح الأمة ، وإهداراً لكفاية أرباب الكفائيات ، فتضعف الغرائم ، وتسوء سمعة الأمة الإدارية ، وتضيع مصالحها .

لهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يولى عملاً إلا من تحقق أنه أحق به لكفاءته قوةً وخلُقاً . وما منعته لجمالة أن يردأها ذرٌّ ويواجهه بأنه ضعيف ، ولأن يرد الأشعرين لما طلبا الإمارة بلسانهما ، وما حملته المحابة أن يختار للأعمال من بنى هاشم ، ويؤثرهم على بنى أمية ، لأن أعمال الدولة ليست حقاً لواحد ، وإنما هي لمصلحة الأمة فوق رضا الآحاد .

فمن الخيانة أن ينفع الفرد بإضاعة مصالح الأمة ، وأن يراعى جانب الواحد ، ولا يراعى جانب الجماعة ؛ وعلى هذا الأساس في الاختيار سار بعد الرسول خليفته أبو بكر ، وسار بعدها عمر بن الخطاب ، ومثلهما عثمان وعلي ، وكان لهم جميعاً في هذا الاختيار فراسة صادقة وسياسة موفقة .

فكان عمر يتحرى صفات العامل ومكانته في نفوس من يوليه عليهم ، ويستشير

فيمن يوليه .

قال يوماً لأصحابه وهو يستشيرهم في اختيار عامل (أمير) : إذا كان في القوم كان كأنه واحد منهم (أعني لا يتعاطم عليهم بإمارته لهم) فقالوا : نرى لهذه الصفة الربيع بن زياد الحارثي ، فتشيره به ، فولاه عليهم ؛ فوفق في عمله .

وبلغه أن عمير بن سعيد هو القاتل : (لا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان ؛ وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ، ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل) .

فقال : وددت أن لي رجلاً مثل عمير بن سعيد أستعين به على أعمال المسلمين .

وفي أول عهده باختلافه قال ؛ بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد ، فقد ابتليت بكم وابتليت بي ، وخلفت فيكم بعد صاحبي ، فما كان بحضرتنا بأشرناه بأنفسنا ، وما غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة ، ومن يحسن زده حسناً ، ومن يسيء نعاقه .

مدير مجلة هدى الإسلام (السنة الثامنة)

مختصر قصيدة في العدل

(لصاحب السعادة السيد باشا شكرى)

بالعدل يأمر ربنا في آيته	وكذا بالإحسان وفق شريعته
العدل وصف الله جل جلاله	والمؤمنين من العباد أحبته
والعدل إنصاف الفقى في صنعه	مع ربه والناس أو شخصيته
قد أحسن المولى إلى كل الورى	فمن العدالة شكره بعبادته
فاعبده لا تشرك به شيئاً ولا	تلك غافلاً عن أمره وطاعته
من قابل الإحسان بالإحسان قد	وفي العدالة حقها بنتمته
ونهاية الإحسان إحسان إلى	من قد أساءك فعله بأذيته
واقض الحقوق لأهلها طبقاً لما	أمر الإله بشرعه وعدالته
فابدأ بذى القربى وكن متيقظاً	لشئون ما ترعى كواجب شرعته
إذ كلنا راع ومسئول لدى	مولاه حقاً عن شئون رعيته

معنى حديث المصطفى ' فافطن له
والله ينهانا عن البغى الذى
لنفوز فى الدنيا بطيب حياتنا
والعدل أس الملك يا من يبتغى
وعليه عمران الممالك والقرى
وإذا العدالة أهملت فى أمة
ولربما اضطربت وثار طفرة
من ولّى الأحكام فليعدل كما
فى قول سبحانه (أن تحكموا
هل يستوى عدل وظلم أم يرى
فإذا حكمتم فاحكموا بالعدل إذ
والعدل أيضاً فى الشهادة واجب
فإذا شهدتم فى القضا فتجنبوا
حتى على الآباء والأولاد أو
واخشوا عقاب الله دوماً واعدلوا
فالعدل يرفع من غدا متمسكاً
والظلم يخفض ظالمًا مهما يرى
إلى أن قال فى ختامها :

بالعدل والإحسان أوصى ربنا
فإنه يرزقنا التوكل دائماً
ثم الصلاة على النبي محمد
بالآل والأصحاب من قد شيدوا

ونهى عن الظلم الشنيع لحرمته
والعدل فى كل الأمور بمنته
بالعدل والإحسان جاء لأمته
ركن السلام بحكمهم وعدالته

(عن المنظومة الشكرية)

قصيدة أخرى لسعادته

في الحاكم وحب الرياسة وإطاعة الحكام

فضل الفتى بين الورى بكياسته حبُّ الرياسة في النفوس سجية
فلمنت بها فئةٌ فضلٌ صوابها فُتنت بها فئةٌ فضلٌ صوابها
إن المناصب والرياسة آفة إن المناصب والرياسة آفة
لا تغتر بظهور أو برياسة لا تغتر بظهور أو برياسة
واحفظ لنفسك في الرياسة سمعةً واحفظ لنفسك في الرياسة سمعةً
إما بخير أو بشر حسبما إما بخير أو بشر حسبما
يا طالباً لقب المعالي في الدنا يا طالباً لقب المعالي في الدنا
هلا اتخذت وقايةً تحميك من هلا اتخذت وقايةً تحميك من
كل يسارع في الرقي وإنما كل يسارع في الرقي وإنما
بالمعلم والتقوى وخشية ربه بالمعلم والتقوى وخشية ربه
هذا الذي تسمى المناصب نحوه هذا الذي تسمى المناصب نحوه
والسعى في سلب المناصب خسة والسعى في سلب المناصب خسة
كم حاكم ضر البلاد بظلمه كم حاكم ضر البلاد بظلمه
(حب الرياسة رأس كل خطية)

فتراه في الدنيا يثوب بخيبة فتراه في الدنيا يثوب بخيبة
وإطاعة الحكام أمر واجب وإطاعة الحكام أمر واجب
فدع الذي تبع القواية والهوى فدع الذي تبع القواية والهوى
واعلم بأنك لا تنال سوى الذي واعلم بأنك لا تنال سوى الذي
فتتاع دنياك الدنيئة زائل فتتاع دنياك الدنيئة زائل
ضربت لنا الأمثال هل من سامع؟ ضربت لنا الأمثال هل من سامع؟

ومحاسن الأخلاق لا برياسته ومحاسن الأخلاق لا برياسته
فليحترس من رامها من فتنته فليحترس من رامها من فتنته
لم تبغ إصلاحاً يدوم بنعمته لم تبغ إصلاحاً يدوم بنعمته
للمرء ما لم يرقها بعدالتـه للمرء ما لم يرقها بعدالتـه
وانظر لعاقبة الظهور ومخنته وانظر لعاقبة الظهور ومخنته
فالمرء يبقى ذكره في أمتـه فالمرء يبقى ذكره في أمتـه
هو صانع في سـيره وإدارته هو صانع في سـيره وإدارته
ورياسة تدعى بصاحب دولته ورياسة تدعى بصاحب دولته
خطر السقوط إذا دهاك بفجأته؟ خطر السقوط إذا دهاك بفجأته؟
خير الرجال من ارتقى بكفائه خير الرجال من ارتقى بكفائه
والقسط في الأحكام أسـ سلامته والقسط في الأحكام أسـ سلامته
من غير أن يسعى لها لنزاهته من غير أن يسعى لها لنزاهته
كبرى وخزى فاحذروه لخسته كبرى وخزى فاحذروه لخسته
حباً لدنيا أولنفع أحبته حباً لدنيا أولنفع أحبته
لمن اعتدى في حكمه برياسته لمن اعتدى في حكمه برياسته
ويرى شديد عذابه بقيامته ويرى شديد عذابه بقيامته
فيما يوافق شرع رب بريته فيما يوافق شرع رب بريته
واتبع سبيل من اهتدى في خطته واتبع سبيل من اهتدى في خطته
قسم الإله بفضله ومشيتته قسم الإله بفضله ومشيتته
والفوز في تقوى الإله وخشيته والفوز في تقوى الإله وخشيته
فاسمع مقالاً قد أتناك بحكمته فاسمع مقالاً قد أتناك بحكمته

في الناس كن ذنباً ولا تك رأسهم فعلى الرؤوس تكون أول ضربته
كم حاكم دارت عليه دوائر وبظلمه ذاق الهوان بقسوته
كم من رئيس صار مرءوساً لمن أمضى زماناً تحت حكم رياسته
كم من ملك زال قهراً ملكه مع ظنه عدم الزوال بقسوته
وغروره بمظاهر ألهته عن عمل يقوم به لنفع رعيته
أشقى العباد لدى الجزاء ملوكهم إلا الذي هو قائم بعدالته
يخشى الإله ويتننى رضوانه والمفرو عن زلاته في مدته
(المنظومة الشكرية)

الجزء الثالث ص ٢٦٧

١٨ - حسن اختيار القاضي العادل

القاضي هو حارس الشرائع ، والمؤتمن على الآداب والعدالة ، وإليه مرجع
القصاص من الجناة وعقاب الأشرار ، والأخذ بيد المظلومين الضعفاء ، إحقاقاً للحق ،
وإزهاقاً للباطل .

ولا يقتصر عمل القاضي على الفصل بين الأفراد فقط ، بل ينظر كذلك في الدعاوى التي
تقوم بين الأفراد والحكومة في الشئون الخاصة والعامة . (كما هو حاصل في مجلس الدولة)
ولما كان القاضي هو المؤتمن على العدل ، وعلى حقوق الناس ، كان من الواجب أن يختار
لهذا المنصب أنبل الناس خلقاً ، وأطهرهم نفساً ، وأذكاهم عقلاً ، ضماناً للعدل ، وإصلاحاً
لنظام المجتمع .

١٩ — أهم واجبات القاضى^(١)

ومن أهم واجبات القاضى القضاء بالعدل بين الناس ، والحكم بما أنزل الله .
فإذا قام بهذا الواجب استتب الأمن فى البلاد واستراح العباد ، ووقف كل إنسان عند حدود الله ، وقطع دابر القوم الظالمين ، وقضى على عدوان الأشقياء ، وتمتع الشعب بالراحة والهناء ، وأمن كل إنسان على حياته وماله وعرضه .
ومن واجبات القاضى أيضاً أن يكون قوى العزيمة ، شديد رأى ، لاناخذه فى الحق لومة لائم ، ولا اعتداء آثم ، وأن لا يقبل من أحد رجاؤ أو رشوة أو شفاعة ، ليكون بعيداً عن الشبهات ، ولا يعرض نفسه للإهانات ، وشرفه إلى الانحطاط ، وبذلك يحوز الثقة من الناس والرضا من رب العالمين ، والناس أجمعين .

٢٠ — المحاماة وواجبات المحامى^(٢)

المحاماة هى الدفاع عن الحق لإظهاره ، أو مقاومة الباطل لإزهاقه وهلاكه ، والمساعدة على إنصاف المظلوم من الظالم ، ولذلك كانت واجبات المحامى المطلوبة منه كثيرة وعظيمة وهى تتلخص فيما يأتى :

درس القضية جيداً للوقوف على ما فيها ، فإن كانت على حق فليقبلها ويترافع فيها ، وإن كانت على باطل فليرفضها ، ولا يغش أصحابها ويقبلها لبيتز أموالهم بلا جدوى ، وتكون إساءته مزدوجة : إساءة نحو المغرورين بخبرته ودفاعه ، وإساءة نحو القضاء بما يأتیه أمامه من التمويه والخداع مجتهداً فى قلب الحقيقة وتغييرها .

وربما انحدر القضاء بحسن حيلته ولباقته ، قسوء العقبي ، ويخرج المجرم بريئاً ، ويكبل البرى ظلاً بالسلاسل والأغلال ، ويوضع فى ظلمات السجون بسببه ، وإساءة إلى نفسه حيث يضع الثقة به ، ويلوث سمعته ، ويفقد شرفه وكرامته .

فليثق الله القائمون بهذه المهنة ، خصوصاً رجال الدين منهم (المحاميون الشرعيون)

(٢٠١) انظر واجبات القاضى والمحامى بالتفصيل فى كتابنا : « التربية الاجتماعية » .

فإنهم أولى الناس بحرمته ، ولا تفرنهم الحياة الدنيا ، فإن ما يأخذونه من هذا العرض الزائل لا يساوى شيئاً في كرامة الدين ، والوقوف بين يدي أحكم الحاكمين ، يوم يتعلق المظلمون بالظالمين ، بل لا يعد شيئاً في جانب سقوط العدالة ، وفقدان المروءة والكرامة .

٢١ - القضاء

لما كانت مسألة القضاء في مصر مسألة هامة يتوقف عليها راحة العباد ، واستتباب الأمن في البلاد ، حتى إن أحد المستشارين الإنجليز وهو المستر (ماك بارت) الذي قضى مدة طويلة في خدمة القضاء المصري ، كتب أخيراً مقالاً في إحدى المجلات الإنجليزية الشهيرة : نشرت جريدة الأهرام القراء ترجمة له ، خلاصتها باللغة العربية في عدد يوم الأحد ١٩ مارس سنة ١٩٣٣ جاء فيها : « إن النظام القضائي في مصر أصبح مظهرًا من مظاهر الفوضى التي لا تحتمل » فرأيت أن أكتب كلمة عامة عن القضاء من الوجهة الدينية فقط ، تاركاً البحث فيه من الوجهة القانونية لرجال القانون ، فهم أدري بطله وعلاجه ، عسى أن يكون من ورائها ما أرجوه من خدمة الحق والصالح العام فأقول :

القضاء من أعظم الأمور وقتاً ، وأعمها نفقاً ، وعليه مدار مصالح الأمة عقلاً وشرعاً . والفرض منه : إقامة ميزان العدل بين الناس بالقسط ، وفصل القضايا بين المتقاضيين . عند الخصام ، وبسط بساط الإنصاف والعدل بين الخاص والعام ، والعدل — كما هو معروف : أساس الملك — وهو وضع الشيء في محله وإيصاله إلى مستحقه ، وبه قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح الخلق أجمعين .

وقد حث الله عليه ، وبالع في التمسك والأخذ به في جميع الأحوال وسائر الأعمال ، فقال جل شأنه :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .

وقال تعالى في وجوب العدل بين الخصمين ، ولو كانا من أشد الناس عداوة وبغضاً إليه (أى إلى القاضي) :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا ، أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

وقال تعالى : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاخْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) .

وما من أمة من الأمم قامت به ؛ إلا وكانت في مقدمة الأمم عمرانًا وأكثرها حضارة ومدنية ، وما حادت عنه ونكبت بالظلم إلا وكان الخراب رائدها والضعف قائدها ؛ لقوله تعالى : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا) .

فالويل كل الويل لقاضى الأرض من قاضى السماء !

وكما أن الله أمر الحُكَّام والقضاة بالعدل بين الناس ، أمر عباده وأرشدهم إلى الوقوف عند حدود الشرع الشريف ، من عدم أكل أموال الناس بالباطل ، وأخذها منهم بدون استحقاق ، ولو برضاء المالك نفسه .

والأكل بطريق التعدى والتحدى ، والنهب والغصب ، وغيرها مما لم يبيح الشرع أخذه ، ومثله ما يؤخذ بالخصومة عند الحاكم ، فيخاصم الرجل أخاه في ماله ؛ ويقيم الحجة على ذلك ، فيحكم الحاكم له به لما أقامه من الحجة الباطلة ، سواء كان ذلك بقوة بلاغته ، أو بشهادة الزور ، أو اليمين الكاذبة ، وهو يعتقد أنه ليس له فيه أدنى حق ، فإن ذلك حرام أيضا ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله :

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِقَاءَ كُلِّكُمْ) .

ومعنى ذلك : ألا تتقربوا بالرشوة والهداية إلى الحُكَّام ؛ ليعينوك على الظلم ؛ وارتركاب الآثام .

فالجرم النوى يسلك هذا السبيل ويحكم ببراءته ، لا يلبث أن يصير من عوامل الفساد في البلاد والخلل الاجتماعى ، لأنه يستطيع أن يعود إليه من العبت بالمال أو بالنفس .

وفي هذه الحالة ؛ فإن مرتكب الجريمة وأصحابه وأعوانه وجنوده ، الذين يلتفون حوله يهزمون بالقضاء والعدل .

بل وقد يعيشون في أمن وسلام آمنين مطمئنين ، كشأن الوارث الذي يتمتع في أمن وطمأنينة بمال مورثه .

أما المجرم الذي حقت عليه العقوبة من القضاء العادل ؛ إنما هو العبرة الزاجرة لطبقة المجرمين والناس أجمعين .

فالقضاء العادل يتطلب أن يكون القاضي مستقلاً منصفاً ، نزيهاً قبل كل شيء . أما القاضي الذي يميل إلى الحكم في قضية لغرض من الأغراض ، أو تحت تأثير الرجا والمحاباة بل والمادة ، يركب متن الظلم ، ويتعد عن مواطن الإنصاف والعدل .

وإذا ظهر القاضي بهذه الصفة ، يعدّه المجرم مشجعاً له على التمادى في خطة الإجرام بل استهزاءً وتحقيراً له .

فالخطأ القضائي الذي تؤدي إليه هذه النزعة ، سواء كانت بقصد أم بغير قصد ، يلقي في النظام الاجتماعي العام بذور الحقد والضغينة والتذمر ، ويكون القاضي يمثل هذا الفعل المنكر سبباً لوقوع الجرائم وكثرتها ، التي يذهب الناس شخصيتها وهو لا يشعر .

ولنذكر حكاية في فضيلة العدل والقاضي العادل :

نقل أن (عاقبة بن يزيد) القاضي كان يلي القضاء ببغداد للمهدي ، فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدي وهو خال ، فاستأذن عليه ، فلما دخل عليه استأذنه فيمن يسلم إليه . (القمطر) الذي فيه قضايا مجلس الحكم ، واستعفاه من القضاء ، وطلب منه أن يقيه من ولايته . فظن المهدي أن بعض الأولياء قد عارضه في حكمه ، فقال له في ذلك : وإنه إن عارضك أحد لننكر عليه ، فقال القاضي : لم يكن شيء من ذلك . قال : فما سبب استعفائك من القضاء ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ كان تقدم إلى خصمان منذ شهر في قضية مشككة ، وكل يدعى بينة وشهوداً ، ويدلى بحجج تحتاج إلى تأمل وثبت . فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفضل بينهما .

فسمع أحدهما أنى أحب الرطب ، فعمد في وقتنا هذا (وهو أول أوقات الرطب ، فجمع رطباً لا يتهياً في وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشاً بواي بدراهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن يرد عليه) .

فلما أدخل على أنكرت ذلك ، وطردت بواي ، وأمرت برد الطبق ، فردده عليه .

فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى ، فما تساويا في عيني ولا في قلبي .

فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فكيف يكون حالي لو قبلت ، ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني وقد فسد الناس فأقلنى يا أمير المؤمنين ، أقالك الله ، وأعفى ، عفا الله عنك .

فلو كان (عاقبة بن يزيد) عائشاً الآن ، لحكم على الناس بالفساد المركب ، وتبرأ إلى الله منهم .

ولقد أحسن الشاعر في قوله :

ونحن المقسطون إذا حكمنا ونعفو عن كثير قادرينا

وما أولى امرؤ يوماً إلينا بمال أو بجاء مترفيننا

الإمام أبو حنيفة يرفض أن يتولى القضاء

تورعاً وخوفاً من الوقوع في خطئه

مما يؤثر عن الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور عرض عليه تولية القضاء ، فأبى وقال له : لا أصلح لذلك ، فقال له الأمير : كذبت ، أنت تصلح لذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد حكمت على نفسك ، إن كنت صادقاً فقد أخبرت

أمير المؤمنين أنى لا أصلح ، وإن كنت كاذباً فكيف يحل لك أن تولى قاضياً كذاباً ؟
فأمر به إلى السجن .

فمن هذه الحادثة تعرف شدة ورعه وخوفه من الوقوع في خطأ القضاء وهذا سبب امتناعه .

٢٢ - نبذة في تاريخ القضاء في الإسلام

مستخلصة من كتاب « تاريخ القضاء في الإسلام »

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود بن محمد بن عروس

القاضي بالمحاكم الشرعية بمصر سابقاً

القضاء هو من الأمور المعروفة المقدسة عند كل الأمم مهما بلغت درجتها في الحضارة
رقياً أو انحطاطاً .

وما رأينا وما سمعنا عن أمة تركت أمورها فوضى ، إذ الخصومة من لوازم الطبيعة
البشرية ؛ فلو لم يكن هناك وازع للقوى عن الضعيف ، لاختل النظام ، وعمت الفوضى ،
يشير إلى ذلك قوله تعالى : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ
وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) .

وقوله تعالى : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) .

فلا غرابة إذا كان القضاء مما قدسته الشريعة الإسلامية من أول نشأتها إلى الآن .

وينقسم القضاء حسب أطواره إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وهو من مبدأ نشوئه يبتدى من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وينتهى

إلى سنة ١٥٠ هجرية ، سنة تدوين الأحكام .

القسم الثاني : أو الطور الثاني ، يبتدى من نهاية سابقة بعد تشييد مدينة (بغداد)

عاصمة الخلافة العباسية ، لأن الحركة العلمية انتشرت فيها انتشاراً عظيماً ، وقد اجتمع العلماء

في هذه المدينة من كل فج ، وأخذوا في تشييد العلم الإسلامي حتى أزهى واستمر وأثمر ، هذا

الطور حتى بعد ضعف الخلافة في بغداد ، بل بعد سقوطها واستيلاء الترك على الرقعة

الإسلامية تقريباً ، ويمكن اعتباره ممتداً إلى سنة ١٢٥٥ هـ .

القسم الثالث : يبتدىء من ذلك التاريخ ، لأنه حصل فيه أن السلطان عبد المجيد العثماني أصدر الخط المايونى المعلن فيه بإدخال الإصلاحات والنظمات الجديدة في البلاد العثمانية جرياً على النظمات الغربية ، فأخذت الدولة من ذلك التاريخ في إنشاء مجالس وتدوين قوانين تضاهى المجالس والقوانين الغربية ، فأنشأت (قانون عقوبات) على نمط قانون (فرنسا) .

ولما استقر الأمر (ل محمد على باشا) على مصر أوجب عليه الباب العالي أن يسير في الحكومة على نظام الدولة العلية لأن مصر (كانت) جزءاً من أجزائها .

تعريف القضاء

قال أئمة الشرع : القضاء قطع الخصومة ، أو قول ملزم صدر عن ولاية عامة .
أما القضاء في العرف الشرعى : فهو الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعى وقطعاً للنزاع بالأحكام الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة ، وهو من أعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

يدل على ذلك قوله تعالى : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)
وقوله تعالى : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) .

أول قاض في الإسلام

بعث النبي صلى الله عليه وسلم في (مكة) ، وأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ولما أذن له بالهجرة إلى (المدينة) ، هناك انتشرت دعوته ، وكثر متبعوه ، وكما كان مأموراً بالدعوة والتبليغ ، كان مأموراً بالحكم والنصل في الخصومات ؛ وقد ورد في القرآن الكريم في غير ما آية ما يشير إلى ذلك .

منها قوله تعالى : (فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بِيَمِينِهِمْ) (فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بِيَمِينِهِمْ) .
وقوله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .

أما كيفية قضائه فيشير إليه ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد
في مسنده عن أم سلمة هند زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : « جاء رجلان يختصمان
في موارد بينهما قد درست ليس بينهما يدنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ
بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ
أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا إِسْطَاطًا (المسعار الذي
يحرك به النار) فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما : حق لأخي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا إِذَا قَفُومًا فَادْهَبَا فَلْتَقْتَسِمَا ثُمَّ تَوَخَّيَا
الْحَقَّ ثُمَّ اسْتَهِمَا ، ثُمَّ لِيُحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ » . وسبق تفسير هذا الحديث .
والقضايا التي رفعت لرسول الله عليه الصلاة والسلام بالمعنى المتعارف في الخصومات
قليلة ، وإنما كان يُسأل عن الحكم فيجيب .

هذا هو الصحيح من أن أول قاض في الإسلام هو النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر بعض المؤرخين الذي عنوا ببيان أوائل الأشياء : أن أول قاض في الإسلام هو
(عمر بن الخطاب) ، استقضاه أبو بكر في خلافته ، فكث سنة لم تأت قضية ، ولكن
ذلك لم يصح .

ولما فتح الله على المسلمين بعض الأمصار بعث النبي عليه الصلاة والسلام ولاة عليها
فكان الوالي هو الحاكم وهو القاضي فبعث (معاذ بن جبل) إلى اليمن (وعقاب بن أسيد)
إلى مكة ؛ فقضوا بين الناس في حياته صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذه الحال صار أبو بكر رضي الله عنه ، فكان يقضى بين الناس بالمدينة وولاته
في الأمصار هم القضاة .

وقد كان عهده عهد فتن واضطراب ، فلم تتح له الفرص أن يفعل ما فعله عمر .

٢٣ — القضاء من الولاية

مضى زمن النبي عليه الصلاة والسلام وزمن أبي بكر ، والقضاء جزء من الولاية إلى أن جاء زمن عمر بن الخطاب ، فكثرت فيه فتح الأمصار ، واتسع نطاق العمران ، فأصبح من المتعسر على الخليفة أو نائبه أن يجمع مع النظر في الأمور العامة الفصل في الخصومات ؛ ففصل عمر القضاء من الولاية ، وعهد به إلى شخص آخر غير الوالي .

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : أول من دفعه إلى غيره وفوض به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى (أبا الدرداء) معه بالمدينة ، وولى (شريحاً) بالبصرة ، وولى (أبا موسى الأشعري) بالكوفة ؛ وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء وهي مستوفاة فيه .

وقد عني كثير من المؤلفين في الفقه الإسلامي بأن يصدرُوا كتبهم برسالة عمر ابن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري الذي أشار إليها ابن خلدون ، ويوجد في روايتها خلاف يسير . وسنذكرها كما جاءت في كتاب «أعلام الموقعين» لابن القيم وهي :

(بسم الله الرحمن الرحيم) ، من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . سلام عليك — أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، وأنذ إذا تبين لك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاد له ، وآس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك وقضائك ، حتى لا يطعم شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر .

والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحل حراماً ؛ أو حرم حلالاً ؛ ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة ، فاضرب له أمداً ينتهي إليه فإن بينه أعطيته بحقه ، وإن أعجزه ذلك استحلت عليه القضية ، فإن ذلك هو أبلغ للعذر ، وأجلى للعمى ؛ ولا يمنحك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فإن الحق قديم لا يمتطيه شيء ، ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل ؛ والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجرباً عليه شهادة زور ، أو مجلوداً في حد ، أو ظليماً في ولاء أو قرابة ؛ فإن الله تعالى تولى من العباد

السراثر ، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان ، ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ، ثم قايـس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعد فيما ترى إلى أحقها إلى الله ، وأشبهها بالحق ؛ وإياك والغضب والقلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتتنكر عند الخصومة أو الخصوم ؛ فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ، ويحسن به الذكر ؛ فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ؛ ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله ؛ فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً . فما ظنك بشواب عند الله في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته . والسلام عليك ورحمة الله . اهـ

وقال (ابن القيم) بعد ذلك : وهذا الكتاب الجليل تلقاه العلماء بالقبول ، ودونوا عليه أصول الحكم والشهادة ، والحاكم والفتى أحوج شئ إليه وإلى تأمله والتفقه فيه ، ثم شرحه شرحاً وافياً في الجزء الأول والثاني من كتاب أعلام الموقعين .

وقال حضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا في كتابه الذي وضعه في سيرة عمر في صفحة ٢٢٦ ما يأتي - بعد أن ذكر كتاب أبي موسى الأشعري : رأيت إلى المبادئ التي قررها عمر في هذا الكتاب ؟ أليس هي هي المبادئ التي يجرى القضاء عليها اليوم في أكثر الأمم حضارة ؟ بل أليست هي المبادئ الثابتة التي لم تتغير بتغير الأزمان ، والتي تتناولها كتب الفقه والتشريع بالتعليق والشرح في عشرات الصحف ومئاتها ؟ أليس ما ذكره عمر عن أدب القاضى وما يجب عليه أن يلتزمه في معاملة الخصوم بالغاً غاية السموة .

ولا عجب أن يصدر ذلك عن عمر ، وقد كان أبو بكر يعهد إليه في بعض شئون القضاء ؛ وقد تولى هو القضاء بنفسه في العهد الأول من خلافته .

ثم لا عجب وقد كان فقيهاً رصيناً في العلم في الفقه ، يأخذ في قضائه بخير ما يعرف في المسألة المعروضة عليه ، فإذا استبهم عليه أمر استشار واجتهد رأيه ، فكان اجتهاده موقفاً ، بل كان حجةً يأخذ بها من بعده ، مطمئناً إليها ، واثقاً بها .

وهل غير القاضى النزيه العادل يقول ما قاله هو في بعض وصاياه لمن يلوذ بالقضاء :
« إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبيـنة العادلة ، أو باليمين القاطعة ، وأوّل الضعيف

حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب فإنك إن لم تتمهده ترك حقه ورجع إلى أهله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به . »

كانت إقامة القضاة خطوة أدت إليها الحاجة ، وقضت بها ضرورات التطور في أحوال الدولة ، ولم تكن تنظيمًا عامًا أريد به تطبيق مبدأ لذاته ؛ فقد بقي الفصل في الخصومات متروكاً أمره للولاة الذين لم ترهقهم أعباء الولاية ، ولم تمنعهم من القيام به ، وهؤلاء لم يعين عمر قضاة إلى جانبهم ، بل ترك السلطات كلها مجموعة في أيديهم ؛ لكن هذه الخطوة الأولى لم تلبث بعد سنوات أن أصبحت نظاماً من نظم الدولة ، فأنفصل القضاء عن السلطة التنفيذية ، وصارت للقضاة مكاتهم الخاصة ، وأحيط مركز القاضي بكل ما يجب له من التحية والاحترام . وقال عن هذا الكتاب : « إنه قطعة من أدب القضاء ، خالدة على الزمان » .

وقال أيضاً في قصة تولية عمر شريحاً قضاء الكوفة : إنها خير شهيد على اختبار عمر لقضاته ؛ فقد ساوم عمر رجلاً على فرس ثم ركه ليجرّبه فعطب ، فأراد أن يرده إلى صاحبه فأبى ، فقال : اجعل بيني وبينك حكماً ، قال الرجل : شريح العراقي فتحاكما إليه . فقال شريح بعد أن سمع حجة كل منهما : خذ ما ابتعت ، أورد كما أخذت . قال عمر : وهل القضاء إلا هكذا ؟ وأقام شريحاً على قضاء الكوفة فبقي عليه ستين سنة ، ولا تزال كتب عمر وأقواله تشهد بسعة علمه في القضاء وأصوله وأحكامه .

طريقة اختيار القضاة

سبق لنا القول بأن عمر بن الخطاب هو الذي فصل القضاء من الولاية ، وكان يتشدد في اختيار القاضي ، وهو القائل : مامن أمير أتر أميرا ، أو استقضى قاضياً محاباة ، إلا كان عليه نصف ما اكتسب من الإثم ، وإن أتره أو استقضاه لمصلحة المسلمين ، كان شريكه فيما عمل من طاعة الله تعالى ولم يكن عليه شيء مما عمل من معصية .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاركة أهل العلم والرأى ، على هذه القاعدة كان اختيار القضاة .

وكان الذى يختار القاضى هو الخليفة نفسه ؛ وفى بعض الأوقات كان يكتب الخليفة للأمير أن يولى فلاناً قضاء بلده . وعلى الحالتين فالتعيين صادر من الخليفة ، وفى بعض الأحيان كان يفوض الخليفة للأمير فى تعيين القاضى ، والأمير هو الذى يختار .
وقد كتب أفضل الكتاب الإمام على إلى عامله فى مصر كتاباً فوض له فيه اختيار القاضى بعد أن أرشده إلى الصفات الواجبة فيه .

قال : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته فى نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحله الخصوم ، ولا يتأذى فى الذلة ، ولا يمحصر من الغنى إلى الحق إذا عرفه ، ولا تستشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم إلى أقصاه ؛ أوقفهم فى الشبهات ، وأخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصوم ، وأصبرهم على كشف الأمور ، وأحزمهم عند انضاح الحكم ممن لا يزدعيه المراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل ، ثم أكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له فى البذل ما يزيل علقته ، وتقبل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، فإما من بذلك اغتيال الرجال له عندك .

الابتعاد عن منصب القضاء

خوفاً من ارتكاب الظلم

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : أن اجمع بين إياس بن معاوية ، والقاسم بن ربيعة ، فولى القضاء أنفذهما . فجمع بينهما وكانا غير راغبين فى القضاء .

فقال إياس : أيها الرجل ؛ سل عني وعن القاسم فقيهى المصر (الحسن وابن سيرين) وكانا يحببان القاسم . فعلم القاسم أنه إن سألهما عنه أشارا به .

فقال : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذى لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء ، فإن كنت كاذباً فما أشير عليك أن توليني وأنا كاذب ، وإن كنت صادقاً ينبغي لك أن تقبل قولي .

قَالَ إِيَّاسُ لَمَدَى : إِنَّكَ جِئْتَ بِرَجُلٍ فَوْقْتَ بِهِ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَتَجِبُ نَفْسُهُ مِنْهَا
بِمَعْنَى كَاذِبَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا وَيَنْجُو بِمَا كَانَ .
قَالَ لَهُ عَدَى : أَمَا إِذَا فَهَمْتَهَا فَأَنْتَ لَهَا ، فَاسْتَقْضَاهُ .

٢٤ - المحاماة أيضاً

وَبِحِجَابِ الْقَضَاءِ تَوْجِدُ الْمَحَامَاةُ ، وَهِيَ مِهْنَةٌ شَرِيفَةٌ جَعَلَتْ لَخِدْمَةِ الْحَقِّ ، وَالِدِفَاعِ عَنْ
حُقُوقِ الْمَظْلُومِينَ وَالضُّعْفَاءِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ .
وَهِيَ كَمَا قِيلَ : لِسَانُ حَسَنٍ إِذَا اسْتَعْمَلْتَ لِلْخَيْرِ وَدَفَعَ الشَّرَّ ، وَلِسَانُ خَبِيثٍ إِذَا
اسْتَعْمَلْتَ لِلْخَبَائِثِ .

فَالْحَامِي الَّذِي يَضَعُ عَلَى بَابِ مَكْتَبِهِ لَوْحَةً بِهَا كَلِمَةٌ : (مُحَامٍ) يَدْخُلُ مَكْتَبُهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ
الْعَالَمِ ، وَيَأْتِيهِ الظَّالِمُ وَالْمَظْلُومُ ، وَالغَابِثُ وَالْمَغْبُونُ ، وَالْجَرِمُ وَالْبَرِيءُ .
فَإِنْ كَانَ رَجُلًا صَاحِبَ ذِمَّةٍ ، وَنَزِيهًا شَرِيفًا مُحْتَرَمًا ، يَدْرِكُ مَعْنَى وَاجِبَاتِهِ نَحْوَ خِدْمَةِ
الْإِنْسَانِيَةِ وَالْعَدْلِ ، لَا يَقْبَلُ مَطْلَقًا دَعْوَى مِنَ الدَّعَاوَى الَّتِي فِي جَانِبِ الزُّورِ وَالْبَطْلَانِ مَهْمَا
أَعْطَى لَهُ مِنَ الْمَالِ ، وَلَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ ظَهِيرًا لِلْجُرْمِينَ ، وَاضِعًا نَصَبَ عَيْنِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى :
(قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْجُورِ) .

أَمَّا الْحَامِي الَّذِي يَرَى وَيَتَقَدَّرُ بِطُلَانِ دَعْوَى مُوَكَّلِهِ ، ثُمَّ لَا يَتَوَرَّعُ مِنَ الْوُقُوفِ أَمَامَ
الْقَضَاءِ مُرَافِقًا وَمُدَافِعًا مِنْ جَانِبِ الْبَاطِلِ ، مُدَحِّضًا يَبْطُلَانُهُ حَقَّ خِصْمِهِ ، مُضِلًّا الْقَضَاءَ
بِسُفْسُطَتِهِ وَتَهْوِيشِهِ ، فَهُوَ شَرِيكُ الْجَرِمِ ، بَلْ هُوَ الْجَرِمُ الْحَقِيقِيُّ ؛ لِأَنَّهُ مَبْرِيءُ اللَّصِّ لَصِّ
مِثْلِهِ ، وَمَجْرَمُ الْبَرِيِّ . مُجْرِمٌ ، وَمُطْلَقُ الْقَاتِلِ سَفَاكُ زَنِيمٍ ، مُعْتَدٍ أَثِيمٍ .
وَفِي الْأَمْثَالِ : شَرِيكَكَ فِي الْجَرَمِ مِنْ أَعَانِكَ عَلَيْهِ ، وَالَّذِي يَتَسَتَّرُ عَلَى الْحَرَامِ فَهُوَ
حَرَامٌ مِثْلُهُ .

فَإِنْ كَانَ سَارِقُ الْمَالِ وَمُغْتَصِبُهُ مُجْرِمًا ، فَالْحَامِي الَّذِي يَدَافِعُ عَنْهُ وَيُعِينُهُ عَلَى أَكْلِ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، لَا سِيَّمَا الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ الْجُرْمِينَ ، وَيَسْتَحِقُّ
الْأَلْفَةَ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَسُخْطَ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ .

قال الله تعالى : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا لِيُدْحِضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » . (عن ابن عباس)

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ يَظْلِمُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ » .

ومما يوجب الأسف والحسرة أن يكون في زمرة المحامين الأفاضل من لا يكلفون نفوسهم عناء الدرس والبحث وراء الحق ، فيشاركون أهل الاحتيال والنصب في احتيالهم ونصبهم ؛ بل هم أنفسهم يساعدونهم على ذلك بما عندهم من سعة الفكر والذكاء ، وضروب الحيل والدهاء ، ولا يباليون بحمل موكلهم على الإتيان بشهداء الزور ، ويوحون إلى أصحاب القضايا وإلى الشهود المزورين ضروباً من الضلالة التي ما كانوا يعرفونها حتى يتبرأ المجرم المحتمل الضلالى المزور من جريمته ، ويخرج من المحكمة مرفوع الرأس ، شامخ الأنف ، ويفلت من يد القضاء العادل بفضل مساعى محاميه ، وتضليله القضاة ، وتكون المسئولية واقعة عليه ، وذنب أصحاب الحقوق في عنقه إلى يوم القيامة يحاسبه الله عليها .

فليتق الله القائمون بهذه المهنة ، لاسيما رجال الدين منهم ، فإثمهم أحق وأولى باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، ولا تغرنهم الحياة الدنيا ، فإن متاع الدنيا قليل ، وإن ما يأخذونه من هذا المال عرض زائل لا يساوى شيئاً بجانب كرامة الإنسان وعزة الدين ، والوقوف بين يدى رب العالمين ، يوم يتعلق المظلومون بالظالمين ، بل لا يعد شيئاً في جانب سقوط الشرف والكرامة والسمعة ، وليتعضوا بقوله تعالى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) .

وليحذروا أكل مال اليتيم بالباطل لقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) .

وليقتدوا بحضرات المحامين النزهاء الشرفاء الذين سطرت أسماؤهم في سجل التاريخ

بأحرف من نور ، لنصرتهم للحق والعدل ، ومساعدة الضعفاء والمظلومين للحصول على حقوقهم . فلهم بذلك حسن الذكرى في الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .
هذا ولا سبيل لمنع الجرائم ، ووقوف كل إنسان عند حده إلا بالوازع الديني ، والزاجر النفساني .

وأما الزواجر الأخرى فلانكفى لحل الإنسان على انتهاج الطريق القويم .
فكثيراً ما يقدر الإنسان على الخيانة ، ولا يعلم به أحد ، ويتمكن من السرقة ويفلت من أيدي الحراس ، ويستطيع أن يقتل عدداً ، ويأمن من عقاب الحكومة ، وإطلاع الناس على أمره ؛ لأنه يعلم أن القانون الوضعي لا يحاسب إلا على الأعمال الظاهرة ، ولا يحكم إلا على من يثبت خطؤه بالأدلة والبينة والشهود .

وأما الدين الإسلامي الحنيف ، فيحاسب الإنسان على كل ما يعمل من خير أو شر ، فيعاقبه على ارتكاب الشر ، ويجزيه على فعل الخير . قال الله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيداً) .

وقال جل شأنه : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) . ولو أقيم حد من حدود الله لصلح حال العالم ، وقلت المظالم .

لهذا كان الناس كلهم في أشد الحاجة لهذا الزاجر الديني — وهو إقامة حدود الله — حتى تقل الجرائم والمفاسد ، ويمتنع الظلم ، والاعتداء على الحقوق ؛ فيسعد المجتمع الإنساني ، ويعيش الناس في صفاء وهناء ، وأمن وراحة واطمئنان ، والعاقبة للمتقين .

على فكرى

(نشرت بمجلة النهضة النسائية)

بالسنة الحادية عشرة — العدد ٥ مايو سنة ١٩٣٣

٣٥ - استقلال القضاء

إن الحق والنزاهة قوام القضاء ، وأُسُّ العدالة ؛ فالقاضي الذي أقامه الله حكماً بين الناس ، يفصل فيما يعرض عليه من خصومات ومشاحنات ويحمي الأموال والحقوق ، ويعصم الدماء ، فهو موئل الإنصاف ، وحصن العدل ، وموضع الرجاء والأمل .

وأول واجب عليه أن يتحرى الصواب في أقواله ، والسداد في أحكامه ، ويقيم شعائر الدين والقانون ، غير هيب ولا وجل ، ولا متأثر بأي مؤثر يحمله بحسد عن جادة الحق ، أو يتنكب سبيل العدل ؛ بل يكون في جميع أحكامه مثال النزاهة والإخلاص والصدق والتقوى ، ليتمتع كل فرد بحقوقه ، ويطمئن على شئونه ، وأن يكون مستقلاً في قضائه .

ويصدر أحكامه عن دليل وبرهان ، كما يرضى ضميره وعقله ودينه ، لامتيازاً لفئة دون أخرى ، ولا مؤثراً لحزب على حزب ، ولا يجعل للفضب عليه سبيلاً مهما لقي من جفوة الخصم وتشديده في المطالبة بحقه .

فإن المؤثرات المختلفة مدعاة إلى الظلم ، ومجلبة للبنى والعدوان ، إذ بها يحتل نظره ، فيتجاوز الحق إلى الباطل في حكمه ، لأن ما يؤثر على العقل ، ويغير الفكر ، من محابة أو وساطة أو غضب أو محاملة يشغل القاضي عن استيفاء النظر ، ودقة البحث ، واستقراء الحوادث ، ويبعده عن طريق الهدى .

أما إذا خلس القاضي من جميع الشوائب ، وبعد عن كل المؤثرات أياً كان نوعها ، فإنه يكون مثلاً أعلى للقضاء العادل ، وهنا يمتد ظل الأمن على الناس فيسعدون وينعمون . وأخيراً بمن نُصِب للفصل بين الناس في الخصومات ، واستجلاء الحق ، واستيضاح الصواب ، أن يكون حريصاً على وضع الأمر في نصابه ، وتفرس الحق واستخلاصه من بين الأقوال والمزاعم .

ولا يتحقق ذلك إلا بأن يكون حاضر الذهن ، واعياً لكل ما يقال بين يديه ، يزنه بميزان الصيرفي الناقد ، والمبقرى الحاذق ، مالئاً زمام أمره ، جاعلاً الحق نصب عينيه ،

خاليًا من المؤثرات والصوارف التي تحول بينه وبين ماجل له ، عادلاً لا تستغزه الأهواء ، ولا يأسر لثبته الملق والاطراء ، حليماً لا تحل حَبْوَتَه المكدرات ، أميناً غير متحيز ولا مائل ، فارغ النفس من الهموم والتحزب والشواغل والأهواء .

إذ ذلك يردع من جبروت وسطوة الظالم ، ويقوى الضعيف الحق ، ويضعف القوى المبطّل ، وتستغنى بضوء عدله مسالك الحياة الوادعة السعيدة ، ويتحطم على صخرته كل بطش وجور .

(أدب الإسلام)
الجزء الرابع ٦٣ - ٦٤

مثال في استقلال القضاء

ومن الأمثلة الرائعة لاستقلال القضاء المثال الذي نسوقه إليك :
لما توجه على كرم الله وجهه إلى (صِفِّين) افتقد درعاً له ، فلما انتهت الحرب ورجع إلى (الكوفة) وجد الدرع في يد يهودى .
فقال لليهودى : الدرع درعى ، لم أهبه ، ولم أبعه .
فقال اليهودى : درعى وفي يدي .
فقال على : نسير إلى القاضى ، فتقدم كل منهما إلى شريح القاضى ، فقال له شريح : قل يا أمير المؤمنين

فقال : نعم هذه الدرع التي في يد هذا اليهودى درعى ولم أبعه ، ولم أهبه .
فقال شريح لليهودى : ما تقول ؟
قال : درعى وفي يدي ؟

فقال له شريح : ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم .
(قنبر والحسن) يشهدان أن الدرع درعى .
فقال شريح : شهادة الابن لا تجوز للأب .

فقال على : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

قال اليهودى : أمير المؤمنين قدّمنى إلى قاضيه ، وقاضيه قضى عليه ، أشهد أن هذا هو الحق ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين .

(ولا غرو فالحق أبلغ ، والباطل جليج) .

فن هذا القصص تعرف إلى أى حد كان استقلال القضاء فى صدر الإسلام .

(أدب الإسلام)

الجزء الرابع ص ٦٤

٢٦ — أمثلة فى القضاء بالعدل بين الناس

١ — كان قضاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لصيانة الحقوق والتسوية بين الخصوم .

ويكفى شاهداً على هذا أنه صلى الله عليه وسلم أراد إقامة الحدّ على امرأة مخزومية سرق .

نخاطبت قريش أسامة ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إسقاط الحدّ عنها ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال :

« يا أيها الناس ؛ إنما أهلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فىهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فىهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وإيم الله ؛ لو أن فاطمة بنت محمد سرق لقطع محمد يدها » .

وفى الحديث : « وَالَّذِى تَفَسَّى بِيَمِيهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » . (وسيأتى شرح هذا الحديث) .

٢ — أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرساً من رجل على سوم ، فحمل عليه فمطب فخاصمه الرجل ، فقال عمر :

اجعل بينى وبينك حكماً ، فقال الرجل : إني أَرْضَى بِشَرِيحِ الْعِرَاقِ ، فقال شريح : أَخَذْتَهُ صَحِيحاً سَلِماً . فأنت ضامن له حتى ترده صحيحاً سليماً .

قال الشعبي (وهو راوى القصة) : فكأنه أعجبه فبعثه قاضياً .

نعم الرئيس العادل ، يعجب بالعالم الذى دلته التجربة على استقامته عند الحكم ،
وتجرده من كل داعية غير داعية ظهور الحق ، ويدعوه هذا الإعجاب إلى إقامته قاضياً
بين الناس .

٣ — ومن القضاة العادلين ، من تطرح بين يديه قضية يدلى فيها أحد الخصمين
بشهادة الخليفة نفسه فيرد الشهادة في غير مبالاة .

شهد السلطان (بايزيد) عند شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى (قاضى الأستانة)
في خصومة رفعت إليه ، فرد القاضى الشهادة .

ولما سأله السلطان عن وجه ردها قال له : إنك تارك للجماعة . فبنى السلطان أمام
قصره مسجداً ، وعين لنفسه فيه موضعاً ، ولم يترك الجماعة بعد ذلك .

٤ — ورفعت قضية إلى محمد بن بشير (قاضى قرطبة) أحد الخصمين فيها سعيد الخير
(عم الخليفة عبد الرحمن الناصر) وأقام سعيد بيئة أحد شهودها الخليفة نفسه .

ولما قدّم كتاب شهادة الخليفة إلى القاضى ، نظر فيه ثم قال لوكيل سعيد : هذه شهادة
لا تقبل عندى ، فجىء بشاهد عدل .

فمضى سعيد إلى الخليفة وجعل يغريه على عزل القاضى .

فقال الخليفة : القاضى رجل صالح ، لا تأخذه في الله لومة لأثم ، ولست والله أعارضه
فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله .

ولما سئل ابن بشير عن رد شهادة الخليفة قال : إنه لا بد من الإحذار في الشهادة ،
ومن الذى يجترئ على القدح في شهادة الأمير إذا قبلت ؟ ولولم أعذر لبخست الشهود
عليه حقه .

٥ — حكم ابن بشير (قاضى قرطبة) على الخليفة عبد الرحمن الناصر في قضية رفعها
عليه أحد المستضعفين من الرعية ، وأبلغ الخليفة الحكم مقروناً بالتهديد بالاستقالة من القضاء
إذا لم يسلم الحكم ويبادر إلى تنفيذه .

أنعم بالدين الإسلامى الخفيف ، الذى يلقن القاضى أنه مستقل ، ايس لأحد عليه من سبيل .

انظر هذا الباب فى كتاب « السمر الواعظ » الجزء الثانى .

قصيدة فى استقلال القضاء فى الأحكام

لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا

إن تنصروا الرحمن ينصركم ولو	طال الزمان على الظلوم وشيمته
فالحكم حكم الله يظهره على	أيدى القضاة فلا يكن فى سريره
فله ارجعوا مستمسكين بشرعه	ينصركم حقاً كما فى آيته ^(١)
وتأملوا قولاً حكيماً فى القضا	قد قاله رجل سما فى حكمته
ونظيره ما قاله (الباشا على)	فى مجلس النواب حال إجابته ^(٢)
معناها استقلال هيئات القضا	ليكون حراً قائماً بعدلته
فتداخل الحكم فى أعماله	أمر مخجل بالنظام وحرمة
ورقابة الأحكام أمر لازم	وكذا انتقاء قضائنا لإفادته
فالحكم ينسب للقضاة بطبعه	كل بقدر جهوده ودرايته

(١) يشير إلى قوله تعالى . (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) الآية :

(٢) يشير إلى الكلمة الحكيمة التى قالها (على ماهر باشا) فى مجلس النواب ومى .

« إن العدالة ميزان الله فى أرضه ، لسانه بيد القضاء ، ولا بد أن يصل به المحقون إلى حقوقهم ، ولئن شالت كفة محق بيد قاض ضعيف فلترجع له بيد قاض قوى . وعلى الأول الوزر ، وللثانى الأجر والشكر .

إن طبيعة القضاء تأبى على القضاة أن ينتفعوا به ، فهو ربح للإنسانية الإنسانية ، وما هذه الخيالات التى تمر بأوهام ضعفائهم إلا أعاصير نار تحرقهم ثم يلفظهم القضاء من بيثته .
ومثل القاضى الوائم والقاضى المالم ، كمثل السراب والسحاب ، ثم لا يكون إلا الحق ، وما كان للحق مكان فى قلب نكس ولا جبان .

إن القضاء جوهر ، والحكومة عرض ، وهو الذى يكون الحكم ، كالمائل يعطى الزجاج لونه ، ولا عكس .

لذلك كان العدل أساس الحكم ، وليس الحكم أساس العدل « فطوبى لقاض عرف نفسه فعرف الله والناس ، وعرفه الله والناس » .
حكيم

عدل القضاء وظلمهم لا يستوى	مثل الفريقين استتمعه بصحته
كالنور والظلماء في وصفيهما	أو كالبصير مع البكفيف بظلمته
وكمؤمن مع كافر رب احبنا	من ظلم أنفسنا وسوء مغبته
ردوا المظالم عاجلاً من قبل ما	يأتيكمو الموت الزؤام بفجأته
قد خاب حامل ظلمه حين الجزا	لا سيما يوم الحساب وكرفته ^(١)
إذ يجعل الولدان شيباً هو له	كل امرئ يجزى كما بصحيفته
لا والد يجزى ولا ولد ولا	(مال) سوى تقوى الإله بطاعته ^(٢)
كل يموت ولا يصاحبه سوى	أعماله في قبره وقيامته
هي (أنسه) أو خصمه طبقاً لما	كسبت يدها بفعله لنهايته
من شاء يعرف حاله وماله	فمليه بالقرآن محكم آيته
فيه البيان لما يشاء مع الهدى	المتقين المؤمنين بشرعته

حديث شريف

في أن القضاء لا يحل حراماً ، ولا يحرم حلالاً

عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه سمع خصومة بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، وَإِنَّهُ يَأْتِيَنِ الْخُصْمُ ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَخْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأُقْضَى لَهُ بِذَلِكَ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ، فَلْيَا خُذْهَا أَوْ يَثْرُكَهَا » (رواه البخاري وأبو داود)

الشرح

كان لأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم حجرات بجوار مسجده المعروف ، ومن بينها حجرة أم سلمة . فبينما النبي صلى الله عليه وسلم في حجرتها إذ سمع ببابها نزاعاً ومحاورة ،

(١) يشير إلى قوله تعالى . (وقد خاب من حل ظملاً) الآية .

(٢) يشير إلى قوله تعالى . (يوماً لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) الآية .

وخصامًا ومجادلةً ، ارتفعت فيها الأصوات واختلط بعضها ببعض ، وكان ذلك على إثر قديم (كما صرح بذلك في روايته) فخرج إلى الخصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم لهم هذه العظة البالغة قبل أن يقضى في الشجار ، ويفصل في النزاع ، فقال لهم :

« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ » امثالًا لأمر ربه (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) فلا علم لي بالنصيب ، ولا يبوطن الأمور كما يزعم الجاهلون ، إلا ما يوحى إلى ربي من آي القرآن وأمور التشريع ، أما الوقوف على دخائل النفوس وخفايا الأمور ، فأنا وسائر الناس فيه سواء ، فلنا ما ظهر وإلى الله ما بطن ، فإذا حضر مجلسي الخصوم لأفصل بينهم في نزاع قائم ، فربما كان بعضهم أشد بيانًا من بعض ، وأقوى تأثيرًا ، وأقوم قبلاً ، وأقدر على صوغ الحجج ، وتوضيح المشتبه ، وإجلاء الغامض ، لذراية لسان ، وقوة بيان ، وطول مران ، وحدة ذهن ، وسرعه بديهة . والآخر دونه في ذلك ، فلا يحسن البيان والخصام ، والحوار والدفاع ، وقد يكون الحق في جانبه والصدق في قوله ، ولكن عييه وضعفه ستر معالم حقه ، وبيان الأول وبلاغته جلى دعواه ، وألبسها ثوب الحقيقة ، وقد تكون دعوى باطلة وقضية مزورة ، فيقلب على ظني ، ويقع في نفسى صدق من علا بيانه وقوى حجاجه ، وهو في الباطن كاذب فأقضى له بما ادعى . فمن قضيت له بحق أخيه في الإنسانية مسلماً أو ذمياً ، معاهداً أو حربياً ، فإنما أفضى له بقطعة من نار ، إذ كان في الواقع حق غيره لاحقاً ، فهو مقرب به للاحالة . فإن رآه الآن مالاً ونفعاً فسيراه في الآخرة ناراً ولهباً ، فإن شاء فليأخذ ما حكمت له به ، وإن شاء فليترك . فإن أخذ فالنار موعده ، وإن ترك فلعمل الله مسامحه ، فالأمر هنا التهديد في قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) .

والحديث كما ترى أصل كبير في المحاماة والقضاء ، ونبين لك المهم في أحكامه :

١ — المحاماة عن الباطل إثم كبير ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

(وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِمًا . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَمْكُلُونَ مُحِيطًا هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ؟) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا أَيْدِيَهُ بِيَدِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » .

فإذا انضم إلى ذلك استخدام القوة الخطائية ، والمواهب النفسية في إظهار الحق في معرض الباطل ، ورسم الباطل في مظهر الحق ، كان الإثم أشد ، والجرم أكبر .

أما أن تستخدم البلاغة ، وقوة المعارضة في نصرة الحق وإزهاق الباطل في عبارة سياجها الأدب ، منزهة عن التشهير بالخصم والتم للعرض ، فذلك ملاحرج عليك فيه ؛ بل لك من الله أجر الدفاع ، وثواب الإقناع . وإذا كان قضاء الحاكم بالباطل لا يحل حراماً ، ولا يجرم حلالاً ، فبأى وجه يستحل المحامون أجر الدفاع عن الباطل إذا وقفوا على الحقيقة قبل التوكيل ، أو في أثناء المرافعة ، ليعلموا أن الحياة الدنيا متاع ، وأن ما عند الله خير وأبقى ، وأنه لا يبقى على الحرام ملك ، ولا يضيع عند الله حريص على حق .

٢ — من ادعى حقاً أمام القاضى ، وعجز عن إثباته ، وطلب يمين المدعى عليه فخلف ، فبرأه القاضى وهو في الحقيقة مدين لم يبرأ عند الله ولم يحل له بذلك حق أخيه . فلو تمكن المدعى من إثبات دعواه بعد وجب على القاضى الاستماع ليمينته ، وتقض الحكم الأول ، فإن الحق قديم ، والرجوع إلى الحق خير من التماضى في الباطل .

وكذلك لو ادعى إنسان على آخر مალأ ، أو ادعى زوجية امرأة لم ترض به زوجاً ، أو ادعى على رجل تطليقة لزوجته وأقام البينة على ذلك ، وكانت في الظاهر بينة عادلة فحكم بها القاضى وهى في الواقع كاذبة مزورة لم يحل له المال ، ولم يكن له حقوق الأزواج ، ولم تحرّم المدعى طلاقها على زوجها ؛ بل المدعى مؤاخذ بعله ومعاقب على كذبه ، ولو رفع عنه حكم القاضى الذى أداه إليه اجتهاده .

أما إذا كان القاضى عالماً بكذب المدعى وحكم له ضد خصمه فعليه وزر حكمه لأنه شارك المدعى في كذبه وإنه .

فيا أيها المسلم لاتسلك إلى الباطل الحيل ، ولا تأكل الإثم وإن قضت بذلك الحاكم ، أو عجز صاحب الحق عن رفع دعواه لفقده الرسوم ، أو لأنه يخشى بأسك وسلطانك ، أو لأنه تعوزه البينة والدليل ، واجمل لملك قيمة فاعمل به وإن خالفه القضاء .

واعلم أن الله رقيب عليك ، يعلم سرّك وجهرك ، وباطلك وحقك ، وهو أولى بالخشية ، وأجدر بالرعاية (وَتَخَشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) .

وأما أنت أيها القاضى فليكن لك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فإذا تقدم إليك الخصوم وقد وجد بينهم النزاع فتقدم إليهم بالموعظة الحسنة ، والمقالة المؤثرة ، عسى أن يرجعوا عن خصامهم ويعترفوا بالحق فيعودوا من مجلسك إخواناً متصافين ، ولنصحبك شاكرين . (الأدب النبوى)

الحديث ١١٤

النهى عن القضاء حين الغضب

عن أبى بكره رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا يَقْضَيْنَ حَكَمٌ » . وفى رواية : « لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانُ » رواه الجماعة .

الشرح : العدل دعامة العمران ، وباعث الطمأنينة إلى النفوس ، به يحقق الحق ويزهق الباطل ، يأمن فى ظلّاه الخائف ، ويرتدع من جبروته وسطوته الظالم ، ويقوى الضعيف الحق ، ويضعف القوى المبطل ، وتستنير بضوئه مسالك الحياة الوادعة السعيدة ويضمحل على صخرته صخب البطش والجور .

وأحرى بمن نصب للفصل بين الناس فى الخصومات واستجلاء الحق فى ثنايا الدعاوى والأباطيل أن يكون جدّ حريص على وضع الأمر فى نصابه وتفرس الصواب من بين عريض الأقوال والمزاعم^(١) .

« ولا يتحقق ذلك إلا بأن يكون حاضر الذهن داعياً لكل ما يقال بين يديه ، يزنه بميزان الصيرفى الناقد والعبقرى الحاذق ، مالكا زمام أمره - خالى الذهن من الصوارف التى تحول بينه وبين ما جعل له ، رزينا لاستغفره الأهواء ، ولا يأمر لبّه الملق والإطراء ، حليماً لا تحل حبوته المكدرات ، ولا يهيج طائرته المفزعات ، فارغ النفس من المغموم والشواغل^(٢) »

هنالك يتحقق منه العدل ، ويرتضى الحكم ، وتخضع الهامات العاصية ، وتذل النفوس الطاغية ويمتد ظل الأمن على الناس ، وتسكن ثورة الأهواء ويقضى على نزوات العيث والفساد .

أما إذا كان القاضى أو المحكم على غير ذلك اختل نظره ، وربما تجاوز الحق إلى الباطل فى حكمه ؛ كأن يكون حال غضب استولى على نفسه وصعب عليه صرفه ومقاومته . وكذا سائر ما يتعلق به القلب تعلقاً يشغله عن استيفاء النظر ودقة البحث لاستيضاح الصواب . ولذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث أن يقضى القاضى بين الناس وهو غضبان ، وقاس العلماء على الغضب كل ما من شأنه أن يؤثر على العقل ويغير الفكر من جوع أو مرض أو هم أو نحو ذلك . (الأدب النبوى)

الصلح أولى قبل فصل القضاء

من وصايا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يؤثر بينهم العداوة والبغضاء » .

فيألها من وصية خالدة ، وحكمة جامعة ، وكلمة شاملة ، ويكفى أن قائلها عمر بن الخطاب الذى درس أحوال الناس ، وعرف أن الحياة عراك دائم ، وجهاد مستمر ، وأن الطبيعة البشرية بحكم تنازع البقاء ، لا تخلو من حقد أو تنافس . فكل إنسان يعتد برأيه ، ويرى أنه هو الصواب وإن كان باطلاً . ومن هنا ينشأ حتماً النزاع والتصادم بين الناس .

وكثيراً ما نرى أن فصل القضاء فى المنازعات يثير الحمية بين المتخاصمين ، ويؤثر بينهم العداوة والبغضاء ، ويقفل باب الصلح فى وجوه المتنازعين ، بل ربما كان عاملاً من عوامل اشتداد الخصومة فى النفوس ، وداعياً إلى اشتعال نار العداوة فى القلوب .

ولعل من يذهب إلى إحدى المحاكم الشرعية أو الوطنية يرى ما تتركه أحكام القضاء من الأثر فى نفوس من صدرت ضدّهم الأحكام ، حتى لقد يؤدى الأمر ببعضهم إلى التراشق بالفاظ السباب فى ساحة القضاء . ويأليت الأمر يقف عند هذا الحد ، فقد لا تمر أيام بعد حكم القضاء إلا وتنشب المعارك بين الطرفين ، ويمتد النزاع إلى جميع أفراد الأسر

المتنازعة ، بعد أن كان محصوراً في دائرة ضيقة ، مع أن الأمر يكون بعكس ذلك في اعتقادي إذا وجد بين أفراد كل أسرة من يقول الكلمة الطيبة ، ويوفق إلى إزالة مافي الصدور من الحسد والبغضاء .

لهذا رأى عمر بن الخطاب بثاقب فكره أن فصل القضاء في المنازعات مما يؤثرت العداوة بين المتنازعين ، ولا يأتي بالغاية المنشودة غالباً كما هو الواقع والمشاهد الآن .
فمن الحكمة وسداد الرأي أن يكون للناس فيما بينهم مصالحون ، فتحل المشاكل حلاً مرضياً في زمن وجيز قبل أن يتفاقم أمرها ، ويستشري شرها . وليس من شك في أن نعمة فرقاً بين أن يتولى صلح قوم رئيسهم ، وهو أقرب الناس إليهم ، أو صديقهم وهو أحب الناس إليهم ، وأعرف بأمرهم ، وبين أن يتولى ذلك حكم بعيد عن المتخاصمين لا يدري من أمرهم شيئاً ، اللهم إلا ما قد يقدم له في سبيل تأييد الدعوى من بيانات وأسانيد .

الأهرام في ٢٦ - ٨ - ١٩٤٨

من حوادث الأقاليم

الصلح بين الأمر الكبيرة بالعريش

العريش : (للمراسل الأهرام) عقد صاحب العزة الأمير ألاي (محمد زكي عبد الحميد بك) محافظ سيناء ، اجتماعاً في حديقة داره شهده جميع رؤساء الأمر المتخاصمة ، وغيرهم من رؤساء الأمر الأخرى . ولما انتهوا من تناول المرطبات ، ارتجل كلمة بليغة حثهم فيها على نبذ الخصام ، ثم ألقى صاحب العزة (محمد الشافعي اللبان بك) كلمة دعاهم فيها إلى إقرار الصلح ، وبعد أن تعاقب الخطباء ، أخذ المتخاصمون يتماثلون متعاهدين على نبذ الأحقاد . وقد نحرت الذبائح لهذه المناسبة ، ووزعت لحومها على الفقراء .

الصلح خير وأبقى

لما كان النزاع والشقاق كثيراً ما يحصل بين الزوجين ، فقد أمر الله في كتابه الكريم بالسعي في الصلح بينهما ، فقال تعالى في سورة النساء آية ٣٥

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) وَإِنْ عَلِمْتُمْ خِلَافًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ (فَابْتَثُوا) إِلَيْهَا بَرَضَاهَا

(حَكَمًا) رجلاً عدلاً (مِنْ أَهْلِهِ) من أقاربه (وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) ويمكن الزوج حكمه في طلاقه وقبول عوض عليه ، وتوكل هي حكمها في الاختلاع .

فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع ، أو يفرقان بينهما إن رأياه (إِنْ يُرِيدَا) أى الحكمان (إِصْلَاحًا يُوقِي اللَّهُ بَيْنَهُمَا) بين الزوجين: أى يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بكل شئ (خَبِيرًا) بالبوطن كالظواهر .

وقال تعالى في سورة النساء ١٣٨ :

(وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ) توقعت (مِنْ بَعْلِهَا) زوجها (نَشُوزًا) ترفعاً عليها بترك مضاجعتها ، والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجل منها (أو إِعْرَاضًا) عنها بوجهه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَاحِبَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا) في القسم والنفقة بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة ، فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها ويفارقها (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) من الفرقة والنشوز والإعراض .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الصلح أولى قبل فصل القضاء .

خطبة منبرية في الإنذار الإلهي

الحمد لله الملك القادر المطلع على مافي القلوب والضمائر (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) وأشهد أن لا إله إلا الله ، من أطاعه وقاه وأعطاه مناه ، وأحياه حياة طيبة ، وجعل الجنة مستقره ومشواه . ومن عصاه أشقاه وأذاقه الضر في دنياه ، وجعل النار مأواه (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ، وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَى . جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير من نهى وأمر ، وبشر وأنذر . اللهم صل وسلم على ذلك الرسول الكريم ، سيدنا محمد ذى القلب السليم ، والخلق العظيم ، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا مسلكه واهتدوا بهديه ، فلم تشغلهم دنياهم عن أخراهم ، ولا حاضرم عن مستقبلهم ، بل كانوا كما قالوا : (رَبَّنَا آتِنَا

فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) .

أما بعد : فأيها المسلمون ؛ إذا جاءكم مُحَضَّرٌ ومعه إعلان فيه الإنذار بالحضور إلى المحكمة لسماع الدعوى المرفوعة من فلان ، فماذا يكون ؟ لاشك أنكم تهتمون بذلك الإنذار اهتماماً عظيماً . فتفكرون فيه ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، وتساألون الجُزَّاءين للقضايا ، وتبحثون عن المحامي البارع ليدافع عنكم الدفاع النافع ، كل ذلك لأنكم تريدون كسب القضية ، والخروج منها ، لاتبعة عليكم ولا مسئولية . وما غاية خسرانها سوى غرامة مالية أو سجن أياماً معدودة ، وليكن غاية خسرانها الإعدام . فلموت واحد وإن تنوعت الأسباب (وَلَئِنْ يُؤَخَّرَ أَفَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) على أن القاضي الذي يحكم في القضية بشر لا يملك لنفسه جلب نفع ولا دفع ضرر ، قلبه بيد الرحمن يصرفه كيف يشاء ...

وها هو قد جاءكم مُحَضَّرٌ عظيم ، بل سيد الأولين والآخرين ، مهبط الوحي والإلهام ، والداعى إلى السلام بالإسلام . جاءكم بإعلان ليس من وضع البشر ، بل هو كلام العليّ الأكبر .

فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكْمٌ ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه . وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَآنُ نُشْرِكَ رَبَّنَا أَحَدًا) .

في ذلك الإعلان إنذاركم جميعاً بالحضور أمام المحكمة العليا التى قاضىها أحكم الحاكمين ، لسماع الدعوى المرفوعة عليكم من كل من ظلمتموه ، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد خالفتموه ، ومن القاضى جل شأنه فقد عصيتموه ، وإن حضوركم فى يوم لا كأيام الدنيا إذ يذهب المدعى عليه إلى المحكمة ومعه أهله وإخوانه ، وخلّانه وأعوانه ، يؤنسونه وينفسون

كرهه ، ويبشرونه وَيُطْمِئِنُّونَ قلبه . إى وربى إنه ليوم عبوس قطرير ، شره مستطير ،
(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ) ، ألم تسمعا قوله جل علاه : (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ . يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ) ، جبار قدير ، بكتاب منير ، فيه ذلك الإنذار الخطير ، بمث صفوة الخلق سيدنا
محمدا البشير النذير .

ولكنكم لم تهتموا به اهتمامكم بإنذار الدنيا — أأنتم فى شك منه ؟ — إنكم تقولون :
إنا مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وقد جئنا المسجد للصلاة ، ولكن
بينكم المنكرات ذائفة ، والسيئات شائعة . الدماء مسفوكة ، والأعراض منتهكة ، والخمر
تشرب ، والزنا يرتكب ، والربا يؤكل ، ومن القمار اليانصيب مشتهى محبوب ، وحقوق
الضعفاء ضائعة ، وسوق النفاق رائجة ، والقرآن هجرتهم ، والدين سببتموه . والظلم بين (وهو
ظلمات يوم القيامة) أنهاوتم بالإنذار اعتماداً على شفاعة الشافعين ؟ أم على إنكار الذنوب ؟
أم على إلقاء التبعة على الشيطان ؟ أم على أن توكلوا عنكم محامياً بارعاً . إن الله تعالى يقول :
(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) وغافلون من يعتمدون على إنكار الذنوب يوم
الدين (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . يَوْمَئِذٍ
يُوقَفُهُمُ اللَّهُ دِيْنَهُمُ الْحَقُّ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) .

والشيطان يوم القيامة يقول للعاصي : إنى لم أقدك بسلاسل ولا أغلال إلى المعاصي ،
ولكنى دعوتك فكنت لدعوتى ملبياً ، ولقولى سميماً مطيعاً . (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ
الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ
سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تُلْزَمُونِ وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ، مَا أَنَا
بِمُضَرِّحِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُضَرِّحِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ الظَّالِمِينَ

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ولا محاماة (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

فيا أيها المسلمون ؛ الأمر جدٌ ليس بالهزل ، فاستعدوا واهتموا بإنذار مولاكم الذى يعلم سرّكم وعلا نيتكم كاهتمامكم بإنذار الدنيا بل أشد ، فاعملوا الصالحات ، واحجروا السيئات ، لتكسبوا القضية يوم حسابكم فتسلموا من سجن جهنم ، وتفوزوا بأطيب حياة فى دار العزِّ والكرم .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ؛ فيقولون : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فى يَدَيْكَ ، فيقول : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فيقولون : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فيقول : أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فيقولون : وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فيقول : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسَخِّطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » .

وقد روى عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

محمد مصطفى أبو الملا

واعظ القاهرة

٢٧ - محكمة العدل الإلهية

قضية فصل القضاء

بين المجرمين الأشقياء ، والأتقياء السعداء !

في يوم القيامة تعرض أعمال العباد على المولى سبحانه وتعالى ، فيحكم بينهم بالعدل ويفصل في قضيتهم ، ويجازى كل امرئ بعمله ، ففريق في النار ، وفريق في الجنة ، كما جاء في كتابه الكريم :

يقول الله تعالى ذكره : (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) أى أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للغلائق لفصل القضاء بين العباد (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) أى كتاب الأعمال (وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم (والشهداء) من الملائكة : الحفظة على أعمال العباد من خير وشر (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) أى بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

كما قال تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) .
وقال جل وعلا : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) .

ولهذا قال عز وجل : (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ) أى من خير أو شر (وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ؟ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) .

يخبر الله تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار ؟ .

وإنما يساقون سوقاً عنيفاً بزجر وتهديد ووعيد كما قال عز وجل :

(يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا) أى يدعون إليها دعاء .
 وهذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا فى الآية الأخرى :
 (يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُغْتَابِينَ إِلَى الرَّثْمِ وَفُودًا . وَنَسُوقُ الْجَائِرِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُودًا) .
 وهم فى تلك الحال : ضَمُّ وبكم وعى ، منهم من يمشى على وجهه كما قال تعالى :
 (وَنَخْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ غُصَيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ ، كُلَّمَا
 خَبَّتْ زُرْدَانُهُمْ سَعِيرًا) .

وقوله تبارك وتعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا) أى بمجرد وصولهم إليها
 فتحت لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة (وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْهَا) أى يقول لهم : خزنتها
 من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق ، شداد القوى ، على وجه التقريع والتوبيخ والتثكيل
 (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) أى من جنسكم تتسكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم
 (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) أى يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة مادعوكم
 إليه (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أى ويحذرونكم من شر هذا اليوم ؟ (قَالُوا بَلَى)
 أى يقول الكفار لهم : بلى : أى نعم قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ،
 (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) أى ولكن كذبناهم وخالفناهم لما
 سبق لنا من الشقوة التى كنا نستحقها ، حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل ، كما قال عز وجل
 مخبراً عنهم فى الآية الأخرى :

(كَلَّمَا اتَّقَى فِيهَا قَوْحٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ
 فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَالَالٍ كَبِيرٍ . وَقَالُوا لَوْ كُنَّا
 نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) أى رجعوا على أنفسهم باللامامة والندامة
 (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُخِّفُوا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) أى بعداً لهم وخساراً .

وقوله تعالى : (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) أى كل من رآهم وعلم
 حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب بما حكم العدل الخبير عليهم به ، ولهذا قال

جل وعلا : (قِيلَ ادْخُلُوا ابوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) أى ما كثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها (فَبَيْسَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) أى فبئس المصير ، وبئس المقيـل لكم بسبب تكبركم فى الدنيا ، وإياتكم عن اتباع الحق ، فهو الذى صيركم إلى ما أنتم فيه ، فبئس الحال ، وبئس المآل .

(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ، نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) .

هذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة .

يقول الله تعالى ذكره : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) أى الذين خافوا الله وأطاعوه يساقون إلى الجنة زمرًا ، أى جماعة بعد جماعة ، وهم المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع من يناسبها ، الأنبياء مع الأنبياء ، والصدِّيقون مع أشكائهم ، والشهداء مع أضربهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا .

(حَتَّى إِذَا جَاءَهَا) أى وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقصص لهم مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونُقوا أُذن لهم فى دخول الجنة .

وقد ورد فى حديث الصور : أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يأذن لهم فى الدخول : فيقصدون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدًا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، كما فعلوا فى العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأتى لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر فى المواطن كلها ، وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ » وفى لفظ لمسلم : « وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ » .

(وهناك أحاديث طويلة كثيرة فيمن يدخل الجنة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفي صورهم) .

يقول الله تعالى ذكره : (حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) ، أى حتى إذا جاءوها تلقىهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والبقاء كما تلقى الزبانية الكفرة بالثريب والتأنيب (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) أى أبواب الجنة السبعة ، وقيل : الثمانية ، منها باب يسمى (الريان) ، لا يدخله إلا الصائمون ، ومفتاح الجنة « لا إله إلا الله » .

وقوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) أى طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم (فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ) أى ما كثر فيها أبداً لا يبعثون عنها حِوَالاً (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أى يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر ، والعطاء العظيم ، والنعيم المقيم ، والملك الكبير ، يقولون عند ذلك (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أى الذى كان وعدنا على السنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادُ) (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) .

وقوله تعالى : (وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَبْتَوُّ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) أى أرض الجنة كقوله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ولهذا قالوا : (نَبْتَوُّ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أى أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا .

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأُفْوًى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

لما ذكر تعالى الحكمة في دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وأنه نزل كلا في الحل القى يليق به ويصلح له ، وهو العادل في ذلك الذى لا يجوز ، أخبر عن ملائكته أنهم يحذقون من حول العرش المجيد ، يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه ، وينزهونه عن

النقاىص والجور ، وقد فصل القضية ، وقضى الأمر ، وحكم بالعدل ، ولهذا قال عز وجل :
(وَقَضَىٰ بَيْنَهُم) أى قضى بين الخلائق (بِالْحَقِّ) أى بالعدل ، ثم قال : (وَقِيلَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أى نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد فى حكمه
وعدله ؛ فهو بلا شك رب العالمين ، وأحكم الحاكمين .

العدل (عند قدماء المصريين)

غذاء الآلهة والشعب

كان المصريون القدماء يعتقدون أن النظام الملكى ليس من وضع البشر ، ولكنه من
وضع الخالق نفسه جل شأنه منذ خلق العالم .

وعلى هذا رفع أولئك المصريون القدماء بعض ملوكهم إلى مافوق مصاف البشر ، وكانوا
يعدون النظام الملكى هبة من الخالق ونعمة تكفل رخاء الشعب وإسماعه ، بل كانوا يعتقدون
أن الخالق قدست ذاته تقلد عرش العالم منذ اليوم الذى خلقه فيه ثم أورث العرش سلالته ،
وخلفائه على الأرض من الفراعنة العظام .

هذا ولا توجد كلمة الدولة فى اللغة المصرية القديمة ، ويرجع هذا إلى أن جميع مقومات
الدولة كانت مركزة فى شخص فرعون الجالس على عرش البلاد ، فكان هو مصدر السلطة
والقوة والثروة .

وكان فرعون يسير فى حكم رعاياه ، وفق نظام خاص مقدس هو القانون الذى سنه أبوه
« رع » حين بدا حكمه للعالم كما تحدثنا بذلك الأساطير ، ويلخص هذا القانون فى توخى
العدالة والصدق والحق وأداء الواجب على الوجه الأكمل دون تقصير أو تراخ ، وقد سار
على سنته كل فراعنة مصر ، لاعتقادهم أن من يحيد عن سبيله لا يكون جديراً بأن يدعى
ابن « رع » . ولقد ارتضى المصريون النظام الملكى ، وتقبلوه مقتبطين طول تاريخهم المجيد
وكانوا يسمون شريعته « ماعت » أى شريعة العدالة والإنصاف ؛ كما كانوا يعتقدون أن هذه
الشريعة غذاء الآلهة وقوام حياتهم ، كما أنها غذاء الشعب وعماد حياته ، ولا غرابة إذن
فى أن نرى الشعب المصرى قد خضع للفراعنة خضوعاً تاماً ، فهو لاء الفراعنة فى اعتقاده لم

يكونوا ينطقون إلا بوحى من « ماعت » الشريعة التى سنّها « رع » ومن أجل ذلك كان أهم قربان ، وأتمن هدية يقدمها فرعون للآلهة هى صورة « ماعت » التى تمثل امرأة تضع على رأسها ريشة ترمز بها للعدالة .

وكثيرة هى الصور التى يبدو فيها « سيتى الأول » وهو يقدم هذه الصورة للآلهة ، وكذلك كان لازماً على كل قاض فى العصور المصرية القديمة أن يحلى صدره بصورة « ماعت » كما كان عليه عند النطق بالحكم أن يمسك بهذه الصورة ، ويشير بها نحو من فى جانبه الحق كأنه يقول له : « إن العدالة فى جانبك » .

وهكذا ترى أن سلطات الحكم بأنواعها كانت مجتمعة فى شخص فرعون مصر الذى كان يحكم وفقاً لنظام إلهى يتمثل فى حكمة « ماعت » وهى دستور العدالة والصدق والأمانة والطاعة والنظام .

(الأثرى الممير)

سليم حسن

الأهرام فى ١٢ يونيه سنة ١٩٤٩

الظلم وأنواعه

عرّف الكثير الظلم بأنه وضع الشيء في غير موضعه ، وهو تعريف خفي . والأحسن أن يعرف بأنه : خروج الشخص في تصرفه عما حدّ له .

في الناس من طبعه العدوان ، ومنهم من دأبه الجشع ، وآخرون عادتهم الغضب ، وغير ذلك من الرذائل التي جاءت من عدم اعتدال القوة المودعة فيهم . فلا جرم كانت هذه الرذائل مع تراجمهم على المطالب سبباً في مجاوزتهم الحد واستطالة بعضهم على بعض بالشم والضرب ، والسلب والنصب ، والقتل والغصب ؛ وغير ذلك من الأمور التي يابها العقل والقانون .

وأول من يصيب الظالم بظلمه نفسه التي بين جنبيه ، فإن الشرور التي تخالج قلبه ، وتخامر نفسه ، تضره قبل أن تصير شروراً بالفعل تصل إلى الغير ويجد ألمها ؛ على أن بعض الظلم يكون قاصراً على الظالم ، لا يصل إلى غيره منه ضرر .

والظلم أمر تبيح سيء العاقبة ، وأنواعه كثيرة :

فإنها ظلم الحاكم للأمة ، وأدناه ألا يقلع عما فيه من الرذائل ، فإن كل رذيلة فيه هي عند النظر ضرب من الظلم لرعيته ، لأن تلك الرذيلة تنتقل إلى كثير منهم .

فالحاكم إذا أحب التجسس أخذه من حوله بحكم التقليد ، ولكل من هؤلاء حاشية وناس محدقون به ، فتنقل تلك الرذيلة إليهم ، وهكذا .

كنت أعرف في بعض الرؤساء رذائل ، ولم ألبث حتى رأيت بعض مرءوسيههم وقد ظهرت فيهم هذه الرذائل بعينها ، وكأني الآن أنظر إليهم .

ومنه أن يقعد عن إدارة شئون الأمة ، ويعمل مصالحها وراء ظهره لا يحفل بها ، ولا يعني إلا بتقاضى أجره ، وحمل الرعية على الاعتراف له بالسيادة ، وإبداء شعائر العبودية ويكون عبثاً ثقيلاً على كاهلها .

ومنه — وهو أشد — أن يستبد برأيه ، ويقضى بهواه ، وقد يمد عينيه ويديه مع ذلك إلى أحوال الرعية .

وحينئذ تذهب حرمة النفس والمال ، ويتضعض الأمن ، ويخشى الناس على أموالهم من إظهارها في التجارة ونحوها ، وتنقبض الأيدي عن الأعمال فتقل الثروة ، وتضيق دائرة العرفان ، لأن الأمة تكون حينئذ في تهقر ، والحكومة الظلمة لاتنصر العلم ، لأنه يناقض حالها الذي هي فيه .

وكذلك الشأن في أخلاقها ، فإنها تصير إلى الضعف والذلة ، وينتشر فيها النفاق والكذب ، وتبطل فيها الشجاعة والحمية ، وتظهر فيها جميع الرذائل التي تتولد من الضعف ؛ وإذا سلت من الدمار زمناً فإنها تبقى كالمریض في حال النزاع ، ثم تضعف عن القيام بنفسها وتصير إلى غيرها .

الظلم في الأم يشیر الضغائن ، ويزرع الأحقاد في نفوس الرعية على الحكومة ، حتى تكون الأمة في نزوع إلى الثورة ، وليس يدرى ما وراء الثورات من سقوط الحكومات ، وانقلاب الممالك إلا الله تعالى ، فالحروب الداخلية أشد وقعاً من الحروب الخارجية .

وهذه أمة الروس لما لقيت من حكومتها من الاستبداد والمصادرة في الحرية أوغر ذلك صدورها ، وتحفزت إلى الثورة ؛ ولما آنت من حكومتها الضعف ثارت إلى الفتن والفتك بالناس ، وتمطيل الأعمال ، وتلك من ثمرات الظلم .

ومنها الظلم الذي يقع في الأسر من عمدائها ، والأسر أجزاء تتركب منها الأمة ، فإذا وقع فيها خلل أدى ذلك إلى فساد الأمة من وجه ؛ ونذكر لك شيئاً تقيس عليه .

فمن ذلك أن يسيء الرجل إلى زوجته — وهو كثير — ينظر إليها نظره إلى متاعه ، ويعاملها بما يقتضى ذلك ، فإن هذا يؤدي إلى ذلها وهوانها ، ويؤكد الرذائل في نفسها ، وهي أم ولده ؛ فلا بد أن تبعث في نفسه من تلك الصفة التي صارت إليها ، ويكون عدوانه على زوجته عدواناً أيضاً على أولاده وأمتة .

إن الذين يتكبرون في أجواف بيوتهم على أهلهم ، ويشمخون بأنوفهم على أمرهم ، إنما يلدون عبيداً لغيرهم من الناس .

ومن الظلم أن يدع تربية أبنائه تربيةً يقتضيها الزمان ، فإن التزاحم على أمور الحياة قد اشتد ، وحاجة الإنسان قد تضاعفت ، وطبيعة العمران قد تغيرت ، فمن لا يحمل ابنه عدة من تعاليمهم وتربيتهم فقد ظلمهم ، وكان كما لو دفعهم إلى الوغى بغير سلاح . وكثير من الأسر أدرك الحاجة إلى تربية البنين ، ولكنهم لم يدركوها بعد إلى تربية البنات^(١) ، وهي كذلك في حاجة إليها .

فإن تدبير المنزل والسعادة من داخله ، وتربية الأولاد ، واقتدارهن على العمل ، والكسب عند الحاجة ، كل ذلك دأب إلى العناية بتعليمهن وتربيتهن .

غالب الرجال في ظلم بناتهم حتى جعلوا درجاتهن وراء ما يملكون من الحيوان وهم لا يشعرون . تولد عند الرجل المهرة أو الجحشة ، فتدرك سن الرض دفعها إلى الرائض وإن قصر ندم . وتولد له البنت فإذا جاء عليها دور التربية أو جاوزته لم يدرك في خلده شيء من أمر تربيتها .

فما أظلم الإنسان وأبعده عن الحق ! إذا اعتاد الباطل ! .

ومن الظلم ما أسلفنا القول عليه من أن الرجل يضم إليه بنيه الكبار على الوجه الذي في القرى ، ولا يكل إلى كل منهم عملاً خاصاً يحضه على الكسب ، ويعرفه طرق المعاملات ، ويبعث فيه روح الاستقلال ، فإذا مات عجزوا عن تدبير أمورهم ووقعوا في الخسران . ومنها ظلم الحيوان مع كونه نعمة من الله تعالى على الإنسان . قال تعالى :

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعَ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ إِلَّا بِسِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّهٌوفٌ رَّحِيمٌ) .

فلا يحل مقابلة هذه النعم بالكفران ، ولا هذه الرحمة بالظلم والقسوة ، وإسقاطه تعالى فيما أفاض من المنة .

نعم أحلت الشريعة ذبح الحيوان وأكله ، فمجازاة ذلك إلى تعذيبه بلا جدوى أمر مخالف للشرع والعقل معاً .

(١) قد أدرك الناس أخيراً ضرورة تربية البنات فقامت الحكومة بقسطها في فتح مدارس لهن ، والجماعات حتى تطورت الحالة وأصبح تعليم البنات في مستوى تعليم البنين تقريباً .

فهراش الديوك تتقاتل حتى تسيل دماؤها ، والكباش تننطح وتذوق الألم وقد تنكسر
لونها ، وتحميل الحيوانات فوق طاقتها حتى يبلغ منها الجهد غاية ، وضربها مع ذلك
السياط ، كل ذلك ظلم . وأظن أمثال هؤلاء الذين يصنعون بالحيوان مثل ذلك ، يعاملون
الإنسان بمثل هذه المعاملة لو وجدوا إليها سبيلاً .

جاوز الناس الحد في أمور الصيد ، والعدوان على الحيوان ، وإن لم يطعموا منه ؛ ومن
هؤلاء جماعة من الأغنياء جعلوا لهم قطعاً من الأرض يأوى إليها ، فإذا مالوا للهو بقتله
ركبوا ومعهم آلاته من كل نوع ، حتى إذا جاءوا إليه وجدوا لهم في الفتك به هواً ولذة .
ويجب على الأستاذ أن يربى تلاميذه على احترام الشرع ، والقانون والتمسك بهما ،
وينفرهم من مخالفتهما والخروج عنهما حتى يكون ذلك داعياً إلى بعدهم من الظلم .

(عن كتاب الأخلاق للمرحوم عبد الرحمن زغلول)

ونشره الأستاذ محمد عبد الجواد

١ — نتيجة البغى (الظلم)

قضت سنة الله أن يذل المستكبرين ، وأن يقسم ظهور جبابرة المتغطرسين ، وأن
ينقم ممن يقتربون ، فيظلمون الضعفاء الآمنين .

طغى فرعون في الأرض ، واستبد بالعباد ، وتعاضم وقال : (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) ،
فكان من أهل الشر والفساد .

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِيفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

وقال تعالى : (فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى)

اغتنى قارون وآتاه الله مالاً طائلاً ، وكنوزاً ضخمة ، ففسى نعمة ربه ، وبخل على
أبناء جنسه ، فابتلعه الأرض في جوفها بماله وداره ، وصارت قبراً لجسده وذهبه وعقاره .
قال تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ

مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ .
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى
عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً
وَأَكْثَرُ جَمْعًا) .

إلى أن قال جل شأنه : (تَخَسَّفْنَا بِهِ وَبَدَّارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ
يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) .

كانت عاد وثمود أمما قوية ، غرتهم القوة ، فأذلهم القوى العزيز ، الذى لا يعجزه
شئ فى الأرض ولا فى السماء .

(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) .

فأهلكهم الله بريح قوية باردة أبادتهم عن آخرهم .
(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةٍ
أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَفَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَمَهُلُ تَرَى
لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) .

وهكذا ينتقم الله من كل قوى يستبد بالخلق ، وينكر ما للناس من حقوق ؛ فالقوة
وحدها لا تنتج خيرا أبداً ، وإذا لم يعززها الحق ويكن لها مدداً أبادها الله القوى القادر ،
وسلط عليها من لا يرحمها . « وما ظالم إلا سيرى بأظلم » .

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .
(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) .

محمود على أحمد

٢ - كلمة عامة عن الظلم

يزعم بعض الناس أن الظلم طبيعة في الإنسان تظهره القوة ، ويخفيه الضعف ، وهذا زعم خاطئ ، فإن هناك من الطباع طباعاً تأبى لسلامتها الظلم ، وتمتته من نفسها ، وتقاومه عند غيرها .

ولو أنصف الناس لقالوا : إن الظلم لؤم الطبع ، وخبث النفس ، وضعف الوازع الديني والخلقي .

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) .

وقال تعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَالَمٍ لِلْعَمِيدِ) .

وجاء في الحديث الشريف : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وليس الظلم مقصوراً على أكل أموال الناس بالباطل ، فإن الظلم أنواع شتى . وأظلم الناس لنفسه ولغيره ذلك الذي لا عمل له ولا شغل إلا الانتقال من مجلس إلى آخر ، ينهش في أعراض الناس ، ويسعى بينهم بالفساد . وأظلم منه من ينظر إلى حليلة جاره ، وبلغ في عرض أخيه المسلم . ومثل أولئك من يجرح كرامات الناس ويتبع عوراتهم .

وأشد من هؤلاء ظلاماً وأشنع جرماً ، من يتهم الأبرياء ، ويلفق الجرائم على أناس لاصلة لهم به ، أو يأكل أموال اليتامى ظلماً ، ويقتال حقوق الفقراء ، فكل واحد من هؤلاء قد خسر الدنيا والآخرة .

وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال : « أَتَذَرُونَ مِنَ الْمُنَافِقِ ؟ » قالوا : المنافس منا من لا درهم له ولا دينار . فقال : إِنَّ الْمُنَافِقَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُمَاطِي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ .

ولا يغيب عن الأذهان أن دعوة المظلوم مستجابة ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّىٰ يُنْظَرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ

لِظُلْمٍ يَرَفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَامِّ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا نُصْرَتُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» .

ومما يروى في هذا الصدد : أن رجلا ادعى على سعد بن أبي وقاص ظلماً وبهتاناً أنه لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية ، فدعا عليه سعد بطول العمر ، وبطول الفقر ، والتعريض للفتن ، فأصابته هذه الدعوات كلها .

وادعت امرأة على سعيد بن زيد ظلماً أنه أخذ شيئاً من أرضها ، وشكته إلى مروان ابن الحكم ، فقام سعيد أمامه قائلاً :

أنا آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

قال مروان : ماذا سمعت من الرسول ؟ .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ ظُلْماً طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ » .

فقال له مروان : لأسألك بعد هذا بيّنة .

فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ، فسمع الله دعوته فأعمى بصرها وقتلها في أرضها .

لهذا كله ؛ قد حق على الظالم أن يلتبس المفوم من ظلمه ، ويرد الحقوق إلى أهلها ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِذَرِّ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فُحِّلَ عَلَيْهِ » .

فليزِم الظالم أن يرد ما أخذ إن كان موجوداً ، أو يرد ثمنه إن كان مفقوداً ، وإن كان قد اغتاب إنساناً ، أو نمَّ على أحد فليعتذر له ، ويرج منه الصفع عسى أن يتجاوز الله عنه .

محمود علي رسلان

(مجلة نشر الفضائل)

العدد الأول (السنة الثامنة)

الآيات القرآنية الواردة فيها كلمة «الظلم»

وما يتفرع منها وتفسير معانيها

سورة البقرة

١ — (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ٣٥

وقلنا : يا آدم اسكن أنت وزوجك (حواء) الجنة ، وكلا من ثمراتها كما تريدان في أى مكان منها شئتما .

ولكن إياكما أن تأكلا من هذه الشجرة ، وعينها لهما ، فتكونا من الظالمين لأنفسكما .
٢ — (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) ٥١

وإذ وعدنا موسى أن نعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ، ومع هذا عبدتم العجل من بعده وأنتم ظالمون لأنفسكم ، فتوبوا إلينا حتى نغفو عنكم من بعد ذلك كله ، لعلكم تشكرون .

٣ — (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) ٥٤

واذكروا أيضاً ، إذ قال موسى لقومه ، وقد رأهم يعبدون العجل : يا قومي لقد ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل الذى لا يضر ولا ينفع ، فتوبوا إلى خالقكم ، واقتلوا أنفسكم بترك الشهوات ، أو اقتلوا الذين عبدوا العجل منكم .

ذلكم أفضل لكم عند مولاكم فتأب عليكم إنه هو التواب الرحيم .
٤ — (وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ النَّهَامَ وَأُنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ؛ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٥٧

يذكرهم الله تعالى بأنه أظلمهم بالنعام ، وبما تفضل عليهم به من (الن) إفراز حلو المذاق
تفرزه بعض الأشجار .

(والسلوى) : الطير المعروف بالسماني ، ليقبهم الهلاك من تلك البقعة المجذبة ، وأمرهم
بأكل الطيبات من الرزق ثم يقول الله : وما ظلمونا ولكن كانوا لأنفسهم يظلمون .

٥ — (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ٥٩

فبدل الذين ظلموا من بنى إسرائيل الاستغفار وطلب العفو بالانهماك في الشهوات ،
فكان جزاؤهم أن أرسل الله عليهم العذاب ، (قيل : هو الطاعون) فأهلك منهم
عدداً عظيماً .

٦ — (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ
ظَالِمُونَ) ٩٢

لما جاءكم موسى بالآيات البينات آمتم به أولاً ، ثم اتخذتم العجل من بعده ،
وأنتم ظالمون .

٧ — (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٩٥
قل يا محمد لبنى إسرائيل : إن كانت الدار الآخرة كما تقولون - لكم خاصة لا يشارككم
في نصيبها أحد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، لأن نعيم هذه الحياة لا يساوي شيئاً إذا
قيس بنعيم الآخرة ، ولكنهم لن يتمنوه أبداً بسبب ما اجترموه من الذنوب ، والله عليم
بما كانوا يظلمون .

٨ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) ١١٤

ومن أكثر ظلماً ممن منع مساجد الله أن يُصلى فيها وعمل على تعطيلها .
أولئك ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع ، لأن يجترئوا على تخريبها .

٩ - (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، قَالِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ١٢٤

وإذ اختبر الله إيمان إبراهيم بأوامر ونواهٍ كلفه إياهن فقام بهن ، فقال له : إني جاعلك للناس قدوة .

فدعا ربه أن يكون ذلك أيضا لذريته من بعده ، فأجابه الله بأن عهده لا يصلح له إلا الصالحون ، ولا ينال الظالمين .

١٠ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ١٤٠

ومن أشد ظلماً ممن كتم شهادة يعلمها عن الله ، هذه الشهادة هي : ما كانوا يعملونه من تبرؤ الله لإبراهيم من اليهودية والنصرانية ، وكله بأنه على الحنيفية ، وما الله بغافل عما تعملون .

١١ - (وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ١٤٥

فإذا اتبعت يا محمد أهواءهم (ضلاتهم) من بعد ما جاءك من العلم فيما يختص بأمر القبلة فإنك تظلم نفسك .

١٢ - (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ، وَلَئِنَّمْ رَفَعْتُمْ عَلَيْكُمْ وُكُوفَكُمْ فَسَوَاغٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ أَنْ يَخُوفُوا وَخَافُوا نَارَ اللَّهِ ، وَلَئِنَّمْ رَفَعْتُمْ عَلَيْكُمْ أَيْدِيَكُمْ وَمَأْكِلَاتِ أَيْدِيكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ بِمَا طَغَوْتُمْ مِنْهَا فَمَا يَصْلَاهَا فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ بَاطِلٌ كَالَّذِي أَنْفَكْتُمْ فِي غَوَاةٍ سَبِيلَ لِمَا تَنْفَعُونَ) ١٥٠

يقول الله تعالى ما معناه : وفي أي جهة كنتم فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام . فادفعوا حجة اليهود عليكم في قولهم : إن التوراة قد نصت على أن نبي آخر الزمان قبلته الكعبة ، ومحمد بمحمد ديننا ، ويتبعنا في قبلتنا .

ولتدفعوا حجة المشركين أيضا في قولهم : كيف يدعى محمد ملة إبراهيم ويخالف قبلته ؟ إلا المعاندين الظالمين الذين لا يقنعهم أى تعليل كان ، فلا تخافوهم وخافوني ، ولأنهم نعمتي عليكم في أمر القبلة ، ولعلكم تهتدون بذلك .

١٣ — (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ ، أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ، وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) ١٦٥

ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم باتخاذ الأنداد حين يرون العذاب الذى ينتظرهم ، أن القوة كلها لله ، لا شريك له فيها ، وأن الله شديد العذاب ، لندموا على الشرك به سبحانه وتعالى .

١٤ — (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . ٢٢٩

تلك أحكام الله فلا تتجاوزوها ، ومن يتجاوز أحكام الله فهو لاء هم القوم الظالمون .
١٥ — (وَلَا تَمْسِكُوهُمْ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) ٢٣١
ولا تمسكوا النساء بقصد الاعتداء عليهن ، فإن من يجزؤ على ذلك فقد ظلم نفسه .

١٦ — (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٢٤٦

فلما كتب عليهم القتال جبنوا إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين .

١٧ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَئِغَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٢٥٤

يأيها المؤمنون : أنفقوا فى سبيل الله مما رزقناكم ، من قبل أن يأتى يوم لا نجارة فيه تستمضون بها عما خسرتم ، ولا محبة من محبة تنفعكم ، ولا شفاعة من ذى جاه تنقذك والكافرون أى مانعو الزكاة هم الظالمون لأنفسهم .

١٨ — (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٢٥٨

لما قال إبراهيم للنمرود ، وقد أخذ يجادله ويحاجه : إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فتحير النمرود ولم يرد جوابًا ، لأن الله لا يهدى القوم الظالمين .

١٩ — (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ٢٧٠

وما بذلتم من مال ، أو نذرتم من شيء فإن الله يعلمه ، ويجازيكم عليه ، وليس للظالمين أنصار .

٢٠ — (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ٢٧٢

وما تنفقوا من مال غير قاصدين به إلا وجه الله فهو لأنفسكم ، إذ يوفى إليكم أجره ، وأنتم لا تظلمون .

٢١ — (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٨١

واحدروا يومًا سترجعون فيه إلى ربكم ، فتوفى كل نفس حسابها وهم لا يظلمون .

سورة آل عمران

٢٢ — (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٥

فكيف يكون الحال ؟ إذا جمعناهم ليوم القيامة ، وهو لا شك فيه ، ووفيت كل نفس جزاء ما عملته من خير وشر بالقسط المستقيم وهم لا يظلمون .

٢٣ — (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٥٧

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأوفيهم أجر ما عملوا ، ولا أحب الظالمين ، هذه الآية بعد قوله تعالى :

(فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) .

٢٤ — (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ

وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٨٦

بعد أن بين الله أن من يطلب دينًا غير دين الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من

المالكيين . قال تعالى ما معناه : كيف يهدي الله الذين كفروا بعد أن آمنوا وشهدوا بأن

الرسول حق وجاءهم بالآيات البينات ؛ إن الله لا يهدي القوم الظالمين .

٢٥ — (فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩٤

بعد أن بين الله أن كل أنواع الطعام كانت محلة لبنى إسرائيل قبل التوراة ، ثم حرم موسى عليهم بعضها بسبب عنادهم ، فأنكر اليهود هذا الأمر فقال الله :

فأتوا بالتوراة فافروها ، وهي تشهد بأنها حرمت عليهم لهذا السبب ، فمن كذب بعد ذلك وافترى على الله الكذب فأولئك هم الظالمون .

٢٦ — (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) ١٠٨

هذه الآيات الواردة في الوعد والوعيد من وحى الله نزلها عليك ملتبسة بالحق ، وما الله يريد ظلماً للعالمين .

٢٧ — (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ

حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَسِيكُنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) ١١٧

مثل الله ما ينفق هؤلاء الكافرون رياء كمثل ريح فيها برد أصابت زرع قوم ظلّموا أنفسهم بالانهماك في المعاصي فأهلكته ، وما ظلمهم الله ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب تلك المعاصي .

٢٨ — (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظَالِمُونَ) ١٢٨

ليس لك يا محمد من أمر تدبير العباد شيء ، فإما يتوب الله على المشركين وإما يعذبهم فإنهم ظالمون يستحقون العذاب .

٢٩ — (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ١٣٥

بين الله في الآيات السابقة وهذه الآية صفات المتقين . وهم : الذين يبذلون أموالهم في حاشي الرخاء والشدة ، ويمسكون غيظهم ويعفون عن الناس . وإذا فعلوا أمراً منكراً ، أو ظلّموا أنفسهم بإتيان أى ذنب كان ، تذكروا الله فاستغفروه ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون . أولئك جزاؤهم عند الله المغفرة ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين .

٣٠ — (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُمْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ) ١٥١

سننقذف في قلوب الكافرين الرعب بسبب شركهم بالله ، ما لا تقوم عليه حجة ، ومنزلهم النار ، وبئس منزل الظالمين .

٣١ — (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَفْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١٦١

وما كان لنبي أن يخون في الغنائم ، ومن يخن يأتي بما أخذه يوم القيامة ثم تقضى على كل نفس جزاءها وهم لا يظلمون .

٣٢ — (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ١٨٢

لقد وعد الله اليهود الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعدمهم بعذاب الخريق ، وقال لهم : ذوقوا عذاب الخريق ، ذلك بما فعلت أيديكم ، وأن الله ليس بظالم للعبيد .

٣٣ — (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ١٩٢

ياربنا إنك من تدخل النار فقد قضيت عليه بالخزي ، وما للذين ظلموا أنفسهم بالنكوب عن الصراط السوي من أنصار .

سورة النساء

٣٤ — (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظَالِمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) ١٠

إن الذين يختلسون أموال اليتامى ظالمًا إنما يأكلون ملء بطونهم نارا ، وسيدخلون نارا تتأجج يوم القيامة .

٣٥ — (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) ٣٠

بعد أن قال الله في الآية السابقة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) كالتماعل بالربا والفهار ، واغتصاب الحقوق إلى آخر الآية قال :

ومن يفعل ذلك ، أى القتل والمحرمات التى سبقت إفراطاً فى التجاوز عن الحق ، أى عدواناً وظلماً ، فسوف ندخله ناراً ، وكان ذلك على الله هيئاً .

٣٦ — (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) ٤٠

إن الله لا يظلم أحداً وزن هبابة حقيرة ، وإن عمل عامل حسنة يزدها له أضعافاً كثيرة ويؤته من عنده أجراً عظيماً .

٣٧ — (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ٤٨

ألا تعجب هؤلاء اليهود الذين يثنون على أنفسهم فيقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ولكن الثناء والتزكية التى يعتد بها هى تزكية الله ، وهو لا يظلم الإنسان فتيلاً (الفتيل : الخيط الذى فى شق النواة ، ويطلق على الأمر التافه) .

٣٨ — (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) ٦٤

قدر الله تعالى أنه ما أرسل الرسل إلا ليطاعوا ، ولو أن هؤلاء المنافقين إذ ظلموا أنفسهم بعدم قبولهم حكمك يا محمد جاءوك مستغفرين لتاب الله عليهم .

٣٩ — (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) ٧٥

وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ؟ والحال أن الضعفاء من الرجال والنساء والولدان من مسلمى مكة يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية (أى مكة) المتلبس أهلها بالظلم ، واجعل لنا من عندك ناصراً ومعيناً ، أى كيف يهنا لكم العيش وإخوانكم على تلك الحالة .

٤٠ — (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلَمُونَ فَتِيلًا) ٧٧

قل يا محمد للذين يخشون القتال هرباً من الموت : متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن

خاف الله ، ولا تظلمون فتيلاً

٤١ — (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَسْكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ٩٧

إن الذين تتوفاهم الملائكة ، وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة ، ومواقفة الكفرة ، قالوا لهم : في أى شئ كنتم من أمر دينكم ؟

قالوا : كنا مستضعفين عاجزين عن الهجرة ، فردوا عليهم قائلين :

ألم تسكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مردّهم جهنم وساءت ما لآ .

٤٢ — (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ١١٠

بعد أن قال الله لمن يعين الظلمة : (ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم في الآخرة ، أو من يكون محامياً لهم ؟)

يقول : ولكن الأولى بمن يعمل السوء ، أو يظلم نفسه بأى حال كان — أن يستغفر الله فيجده غفوراً رحيمًا .

٤٣ — (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) ١٢٤

ومن يعمل من الأعمال الطيبة الصالحة سواء كان ذكراً أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون قتيلاً .

٤٤ — (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) ١٤٨

لا يحب الله أن يجهر أحد بشئ من الكلمات السيئة إلا المظلوم إذا دعا على ظالمه ، فإن الله يسمعه ويعلم بحقيقة حاله .

٤٥ — (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ نَعْمُونَ عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣)
يسألك يا محمد أهل الكتاب من اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء من طريق
الإعجاز ، فقد طلبوا إلى موسى أكبر من ذلك ، فقالوا له : أرنا الله عياناً ، فنزلت على
القاتلين صاعقة من السماء فأحرقتهم بظلمهم .

ثم عكفوا على عبادة العجل من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات ، ثم عفونا عنهم بعد
ذلك كله ، ومنحنا موسى من لدنا سلطاناً ظاهراً عليهم .

٤٦ — (قَبِظْلُمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَبَعَدُ عَنْهُمْ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) ١٦٠

ولقد حرمنا على بني إسرائيل طيبات كثيرة كانت أحلت لهم ، وذلك كان بسبب
ظلمهم وصدّهم عن سبيل الله كثيراً .

٤٧ — (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا) ١٦٨
إن الذين كفروا وصرفوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً ، وإن الذين
كفروا وظلموا محمداً بإنكار نبوته ، أو ظلموا الناس بصدّهم عما فيه صلاحهم لم يكن الله
ليغفر لهم ، ولا ليهديهم طريقاً ، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ، وكان ذلك عند الله يسيراً .

سورة المائدة

٤٨ — (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِيمَانِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ) ٢٩

في قصة أبني آدم (قابيل وهايل) لما أراد قابيل قتل أخاه هابيل .
قال له : أن بسطت إلى يديك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك ، لأنني أخاف
الله رب العالمين ، ولأنني أريد أن ترجع حاملاً إيماني وإيمانك فتكون من أصحاب النار ،
وذلك جزاء ظلمك .

٤٩ — (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ٣٩
بعد أن ذكر الله عقاب السارق والساوقة في الآية السابقة قال : فمن تاب من بعد

(ظلمه) مُرِقْتَهُ وَأَصْلَحَ أَمْرَهُ بِالْخِلَاصِ مِنَ التَّبَعَاتِ وَالْعِزِّ عَلَى أَنْ لَا يَبُودَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ .

٥٠ - (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٤٥

من لم يحكم بما أنزل الله (أى بالقرآن) فأُولَئِكَ هُمُ الظالمون .

٥١ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥١

بأيها المؤمنون لا تتخذوا المعادين لكم من اليهود والنصارى أولياء يتولون أموركم ، فإن بعضهم أولياء بعض ، ومن يفعل ذلك منكم فإنه يكون منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين لأنفسهم .

٥٢ - (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ أَنْصَارٍ) ٧٢

بعد أن قال، الله تعالى : (لقد كفر الذين زعموا أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم) مع أن المسيح نفسه قال لبني إسرائيل : يا قوم اعبدوا الله ربي وربكم .

قال تعالى : إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومنزله في الآخرة النار ، وما للظالمين من أنصار .

٥٣ - (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعتَدَيْنَا) ١٠٧

فيحلفان الشاهدان الآخران بالله على أن شهادتهما أحق من شهادة سابقتهما ، وما اعتدينا ، وإلا كنا إذاً لمن الظالمين .

سورة الأنعام

٥٤ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ) ٢١

ومن أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، أو كذب بآيات الله ، إنه لا يفلح الظالمون .

٥٥ — (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) ٣٣

قد نعلم إنه لا يكدرك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك في الحقيقة ، ولكنهم بآيات الله يجحدون ؛ لأنهم ظالمون .

وقد قالها محمد أبو جهل : ما نكذبك وإنك عندنا اصادق ، وإنما نكذب ما جئتنا به .

٥٦ — (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٤٥

فاستوصل القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .

٥٧ — (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا

الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) ٤٧

قل لهم يا محمد : أرايتم لو أتاكم عذاب الله فجأة بلا مقدمات ، أوجهرة تنقدمه أمارات هل يهلك إلا القوم الظالمون ؟ .

٥٨ — (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ،

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ

مِنَ الظَّالِمِينَ) ٥٢

ولا تطرد الفقراء الذين معك يدعون ربهم على الدوام (صباح مساء) ابتغاء وجه الله ،

وايس عليك حساب إيمانهم ، ولا عليهم حساب إيمانك فتطردهم فتكون من الظالمين .

٥٩ — (قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) ٥٨

قل لهم : لو أن عندي ما تستعجلون به من العذاب لقضى الأمر بيني وبينكم ، والله

أعلم بالظالمين .

٦٠ — (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْدُ بِمَذْذَكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٦٨

وإذا رأيت الذين يتناولون آياتنا بالطعن أو الاستهزاء ، فتول عنهم حتى يأخذوا

في حديث غيره ، فإن أنساك الشيطان ذلك ، فلا تقعد بعد أن تتذكر هذا الأمر مع القوم الظالمين .

٦١ — (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) ٨٢

الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم : أى بشرى ، أولئك لهم الأمن الصحيح ؛ وهم مهتدون .

٦٢ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ٩٣

ومن أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، فزعم أنه بعثه نبيًا ، وادعى أنه سيأتي للناس بمثل ما أنزل الله من القرآن والكتب السماوية .

ولو ترى إذ الظالمون في شداد الموت وأهواله ، والملائكة الموكلون بقبض الأرواح باسطوا أيديهم إليهم يقولون :

أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون العذاب المهيمن ، بما كنتم تقولون على الله غير الحق كالشرك به ، وكنتم عن التأمل في آياته والإيمان بها تستكبرون .
لو ترى كل هذا رأيت أسراً فظيماً هائلاً .

٦٣ — (وَكَذَلِكَ نُوَلِّيْ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ١٢٩
وكذلك نجعل بعض الظالمين أولياء بعض ، يمد بعضهم بعضاً في النفي ، جزاء لهم على ما كانوا يكسبون من الآثام .

٦٤ — (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) ١٣١
إن الله لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ، بل ينهضهم وينذرهم ويبالغ لهم في الموعظة أولاً لعلهم يرجعون .

٦٥ — (قُلْ يَاقَوْمِ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ اِنِّي عَامِلٌ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ، اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ١٣٥

قل يا محمد لقومك : اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم ، ولا تدخروا جهداً في الكد
إني عامل على الصبر والثبات على الدين ، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار؟
إنه لا يفلح الظالمون .

٦٦ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ اِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٤٤

فمن أشد ظلاماً ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ، إن الله لا يهدي
القوم الظالمين .

٦٧ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيَّاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) ١٥٧

فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وأعرض عنها ، سنجزى الذين يعرضون عنها سوء
العذاب بما كانوا يعرضون .

٦٨ — (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا
مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١٦٠

من جاء بالحسنة فله أجرها مضاعفاً إلى عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاً ،
وهم لا يظلمون .

سورة الأعراف

٦٩ — (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٥

فما كان دعواهم ، أي دعاؤهم حينما جاءهم بأسنا ، إلا أن اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين .
وماذا يجديهم اعترافهم هذا بظلمهم ؟ وقد انتهوا إلى الآخرة وخرجوا من الدنيا ، ولم
يكسبوا في حياتهم خيراً .

٧٠ — (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) ٩

يوم القيامة توزن أعمالهم بالعدل ، فمن رجحت حسناته على سيئاته ، فأولئك هم الفائزون .

ومن خفت موازينه (أى قلت حسناته) فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون آياتنا فيكذبونها بدل أن يصدقوها .

٧١ — (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ١٩

أمر الله تعالى آدم بأن يسكن الجنة هو وزوجه (حواء) وأن يأكلا من شجرها إلا شجرة منها، قيل : (هي شجرة الخنطة) فإذا أكل منها يكونان من الظالمين .

٧٢ — (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ٢٣

قال آدم وحواء : ربنا ظلمنا أنفسنا بمعصيتنا بالأكل من الشجرة ، وطلبنا منه الغفران والرحمة بقولها : ربنا إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

٧٣ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) ٣٧

فمن أظلم ممن اختلق على الله الكذب أو كذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيب من الكتاب ، أى مما كتب لهم فيه من الأرزاق والآجال ، حتى إذا جاءتهم رسلنا من الملائكة يتوفونهم ، أى يتوفون أرواحهم . قالوا لهم : أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ؟ .

قالوا : غابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين .

٧٤ — (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٤١

لهم من النار فراش ، ومن فوقهم أغطية ، وبمثل هذا الجزاء نجزي الظالمين .

٧٥ — (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ٤٤

وسأل أصحاب الجنة أصحاب النار : أنا وجدنا ما وعدنا ربنا من النعيم حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم به ربكم من العذاب حقاً ؟ .

قالوا : نعم . فأعلم معلّم بينهم أن لعنة الله على الظالمين .

٧٦ — (وَإِذَا صُْرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ، قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤٧

بين الله في الآية التي قبلها ، أنه يوجد بين أهل الجنة وأهل النار حاجز عليه رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فحبسوا هنالك حتى يحكم الله في أمرهم ، لم يدخلوا الجنة وهم طامعون فيها .

يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بعلامات فيهم ، يميّزون الأولين ، وإذا رأوا الآخرين وهم أصحاب النار (أى أهل جهنم) قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين .

٧٧ — (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ١٠٣

ثم بعثنا بعد هؤلاء الرسل موسى بآياتنا إلى فرعون وأشراف قومه فظلموا بها ، أى إنه كان الإيمان من حقها فظلموها بكفرهم بها ، فانظر كيف كانت نهاية المفسدين .

٧٨ — (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خَوَازٍ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ؟ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) ١٤٨

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً مِثْلَ الْصَنَعِ حَتَّىٰ يَخِيلُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ أَكْثَرُ أَعْيُنًا .

الآيرون أنه لا يكلمهم ولا يهديهم إلى طريق السداد لأنهم كانوا ظالمين ؟
٧٩ - (وَأَلَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ، قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ، أَعْجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوكُنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ١٥٠

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال لهم :
بئسما قمتم مقامى من بعدى أأدركنم العجلة فتركتم أمر ربكم غير تام ، وهو مدة الأربعين يوماً فضلتهم قبل تمامها .
وألقي الألواح من يده ، وأخذ بشعر رأس أخيه هارون يجره إليه ، كأنه ظهر له تقصيره في منهم . وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين ، فقال له أخوه :
لأتعجل إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تفعل بى ما يشتمهم ، ولا تعدنى في عداد القوم الظالمين .

٨٠ - (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١٦٠
وظللنا عليهم السحاب ليقمهم حرَّ الشمس ، ورزقناهم المَنَّاءَ والسلوى ، وقلنا لهم :
كلوا من طيبات ما رزقناكم .

فلم يثبتوا على ما أمرناهم به ، فلقوا جزاءهم ، وما ظلمونا بعصيانهم ، ولكنهم كانوا يظلمون أنفسهم .

٨١ - (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ) ١٦٢

فبدل الذين ظلموا أنفسهم منهم قولاً غير الذى قيل لهم ، فأرسلنا عليهم عذاباً من السماء بسبب ظلمهم .

٨٢ — (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ١٦٥

فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن المنكر ، وسأطنا على الظالمين عذاباً شديداً بما كانوا يخرجون عن حدود الشريعة .

٨٣ — (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ) ١٧٧
بعد أن مثل الله الذى كذب بآياته (وهو بلعم بن باعوراء من علماء اليهود)
بالكلب الذى يلهث ، قال :

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات ربهم وظلموا أنفسهم .

سورة الأنفال

٨٤ — (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ٢٥

واتقوا مصيبة لا يقتصر نزولها على الظالمين وحدهم ، بل تعم من لم يكونوا ظالمين ، لتقصيرهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلموا أن الله شديد العقاب .

٨٥ — (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٥١
ذلك بما اكتسبتموه من الآثام ، والله ليس بظلام للعبيد ، لأنه لا يظلم أحداً من خلقه .

٨٦ — (كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ، وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَالِمٍ) ٥٤

كذب آل فرعون ، ومن سبقهم بآيات الله ، فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون ، وكل كانوا ظالمين .

٨٧ - (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ٦٠
وما تبدلوا من شيء في سبيل الله يرد إليكم ثوابه ، وأنتم لا تظلمون .

سورة التوبة

٨٨ - (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٩
يقول الله تعالى للمشركين : أيها المشركون ؛ أجعلتم الخطط التي تتولونها من سقى
الحجاج في المواسم ، ومن عمارة المسجد الحرام ، والقيام على حفظ جدرانه ، كإيمان من
آمن بالله إيماناً صادقاً ، وآمن بالدار الآخرة ، وعمل على التزود لها ، وجاهد في سبيل
الله بنفسه وبماله ؟

كلأ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

٨٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٢٣
يا أيها المؤمنون : لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء توالونهم الحب والوداد إن آثروا
الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون .

٩٠ - (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ،
وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ٣٦
إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في حكم كتاب الله ، وهو أمر ثابت منذ خلق
الله الأجرام والأزمنة .

من هذه الشهور أربعة حرم ، وإن تحريمها هو الدين القيم ، فلا تظلموا فيها أنفسكم
بهتك حرمتها ، وقاتلوا المشركين جميعاً متساندين ، كما يقاتلونكم جميعاً متعاونين ، واعلموا
أن الله مع المتقين .

٩١ — (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْفُونَكُمْ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٤٧

لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا فساداً وشرّاً ، ولأسرعوا في التدخل بينكم يطلبون لكم
الوقوع في أمر يخذلكم كالتخالف أو التخاذل ، يريدون بكم الفتنة وفيكم ضعفاء يسمعون لهم ،
والله عليم بالظالمين .

٩٢ — (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ
وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤَنَفَكَاتِ أَتَتْهُم رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٧٠

ألم يحثهم خبر الذين من قبلهم ، قوم نوح (أغرقوا بالطوفان) وقوم عاد (أهلكوا
بالريح) وقوم ثمود (أهلكوا بالرجفة) وقوم إبراهيم (أهلك ثمود وأهلك أصحابه) وأهل
مدین وهم قوم شعيب (أهلكوا بالفار) وقرى قوم لوط (انقلبت بأهلها فصار عاليها سافلها) .
كل هذه الأمم أتتهم رسلهم بالآيات الواضحات فلم يكن الله ليظلمهم ، ولكنهم كانوا
يظلمون أنفسهم بتعريضها لسخط الله بالكفر والجحود .

٩٣ — (أَمِنْ أَشْسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ ، أَمْ مَنْ أَشْسَ
بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠٩
أيهما أفضل ؟ الذي أسس بنيانه على تقوى الله ورضوانه ، أم الذي أسسه على حرف
شط متساقط ، فهو ي به في نار جهنم ، والله لا يهدي الظالمين .

هذا بيان من الله سبحانه وتعالى بشأن الفارق بين من بنى (مسجد قباء) الذي أسسه
الرسول (ومسجد الضرار) الذي بناه بنو غنم بن عوف ، ليؤتمم فيه (أبو عامر الراهب) السالف
ذكره في الآية السابقة .

سورة يونس

٩٤ — (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) ١٣

ذكر الله تعالى في هذه الآية الأمم السابقة التي أبادها بظلمها لعدم إيمانها بالآيات البينات التي جاءتهم رسلم بها ، وكذلك يجزى الله القوم المجرمين .

٩٥ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْجَرْمُونَ) ١٧

فمن أشدُّ ظلمًا ممن اختلق على الله كذبًا ، أو ممن كذب بآياته فكفر بها ، إنه لا يفلح المجرمون .

٩٦ — (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) ٣٩

بعد أن قال الله في الآيات السابقة : إن هذا القرآن ليس مما يمكن أن يفترى ، فإن صح زعمكم بأنه ممكن افتراؤه فأتوا بسورة مثله ، بكل من تشاءون من أهل الفصاحة والحكمة ، بل كذبوا بشئ لم يعرفوه ، ولم يحثهم تأويله بعد ، كذلك فعل الذين من قبلهم فتأمل ماذا كانت عاقبة الظالمين .

٩٧ — (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) ٤٤

إن الله لا يظلم الناس شيئًا ، ولكن أكثر الناس يظلمون أنفسهم .

٩٨ — (وَإِكْلُ أُمَّةٍ رَسُولٌ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٤٧

ولكل أمة رسول يبعثه الله فيها ليهديها طريق الصواب ، فإذا جاء الأمة رسولها قضى بين الرسول ومكذبيه بالعدل وهم لا يظلمون .

٩٩ — (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) ٥٢

لما سأل الكفار محمدًا صلى الله عليه وسلم قائلين له : متى وعد الله بالعذاب إن كنت صادقًا ؟ فقال الله له قل لهم يا محمد : إني لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضررًا ، ولا أن أجلب

إليها نفماً ، فكيف أستطيع أن أستعجل وقوع العذاب عليكم ؟ لكل أمة موعد نزول فيه ، فإذا جاء أجلهم ، فلا تتقدم عنه ساعةً ولا تتأخر ، فلا تستعجلوا ما سيحل بكم .

ثم قال لهم : إذا وقع آمنتكم به ! ثم قيل : لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ، هل تجزون إلا ما كنتم تقرءون ؟

١٠٠ — (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا فِتْنَتَ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَانَةَ

كَمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٥٤

ولو أن لكل نفس ظلمت نفسها وغيرها ما في الأرض من خزائن ، لجملته فدية لها من عذاب الآخرة ، ولكن الكافرين يبهتون حين يرون العذاب مما لم يكن يحسبون ، ويخفون الندامة ، ويقضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون .

١٠١ — (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٨٥

لما قال موسى لقومه : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله حق الإيمان ، فثقوا بالله واعتمدوا عليه إن كنتم له مسلمين .

فقالوا : عليه توكلنا ، ربنا لا نجعلنا موضع عذاب لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

١٠٢ — (وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا

مِنَ الظَّالِمِينَ) ١٠٦

قل يا محمد لأهل مكة (كفار قريش) إن كنتم في شك من ديني ، فهذه خلاصته ، اعتقاداً وعملاً وهي :

أن لا أعبد الذين تعبدونهم من دون الله ، ولكنني أعبد الله الذي يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقيم وجهي للدين مائلاً عن العقائد الزائفة ، وأن لا أكون من المشركين ، وأن لا أدعو من دون الله ما لا ينفعني ولا يضرني ، فإن فعلت كنت من الظالمين .

سورة هود

١٠٣ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ١٨

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اخْتَلَقَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ ، فَادَّعى أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَوْحِ إِلَيْهِ ؟
أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَقُولُ الشُّهُودُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ .

١٠٤ — (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ٣١

مِنْ ضَمْنِ كَلَامِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَنْ قَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ رِزْقِ اللَّهِ أَغْدِقُ النِّعَمَ عَلَى مَنْ أَشَاءُ ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا إِنِّي مَلَكٌ ، وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيهِمْ أَعْيُنُكُمْ (أَيْ تَحْتَقِرُهُمْ أَعْيُنُكُمْ) لَن يُنْجِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ، إِنْ قُلْتُ ذَلِكَ أَكُنْ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ .

١٠٥ — (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَقُونَ) ٣٧

وَاصْنَعِ السَّفِينَةَ تَحْتَ رِعَايَتِنَا وَبُوحَى مِنَّا ، وَلَا تَشْفَعْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُحْكَمُونَ عَلَيْهِمُ بِالْفَرْقِ .

١٠٦ — (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤٤

وَبَعْدَ صَنْعِ السَّفِينَةِ وَرَكُوبِهَا قَالَ لِأَبْنَيْهِ : يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعْنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ .
فَقَالَ : يَا أَبَتِ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي ، يَجْعَلُنِي مِنْ طَافِيانِ الْمَاءِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ :
لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُهَالِكِينَ غَرَقَا .

وبعد ذلك قيل : يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء كوفي عن المطر ، ونضب الماء ، وتم هلاك الكافرين ، ورسّت السفينة على جبل الجودي (بالموصل) .

وقال الملائكة : بعداً للقوم الظالمين .

١٠٧ — (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ) ٦٧

وأخذت الذين ظلموا من قوم صالح الصيحة (وهي صوت هائل انبعث من السماء فقطع قلوبهم) فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكبهم ميتين .

١٠٨ — (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ

مَنْصُودٍ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِي مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ٨٢ ، ٨٣

فلما جاء عذابنا قلنا بهم مدينتهم ، فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجرة ، منتظمة متتابعة ومعلّمة من خزائن ربك ، وهي ليست من الظالمين ببعيد .

١٠٩ — (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ

الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ) ٩٤

ولما جاء عذابنا نجّينا شعيباً ، ومن آمن معه برحمة منا ، وأخذت الظالمين الصيحة ، فأصبحوا ميتين ، وهم باركون على رُكبهم .

١١٠ — (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ) ١٠١

وما ظلمناهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم باتباع الأضاليل ؛ فما نفعتهم آلهتهم بشيء لما جاءهم عذاب ربك ، وما زادوهم غير تحسير .

١١١ — (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ) ١٠٢

ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك إذا انتقم من القرى وهي ظالمة ، إن انتقامه أليم شديد .

١١٢ — (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) ١١٣

ولا تميلوا أقل ميل إلى الذين ظلموا فتمسكهم النار ، وما لكم من دون الله من نصراء ،
ثم لا تنصرون .

١١٣ — (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) ١١٦

واتبع الظالمون ما أنعموا فيه من الشهوات وكانوا مجرمين .

١١٤ — (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) ١١٧

وما كان ربك ليهلك أهل القرى ظلماً وهم مصلحون .

سورة يوسف

١١٥ — (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ٢٣

لما طلبت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه وغلقت الأبواب ، قال : معاذ الله ،
أى أعود بالله وألتجئ إليه ، إن ربي (أى سيدى) ، (يعنى زوجها) أحسن تعهدى ،
وأكرمنى فلا أخونه ، إن الله لا يفلح الظالمين الخائنين .

١١٦ — (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٧٥

لما جهز يوسف إخوته للسفر ، وجعل مشربته فى أمتعة أخيه (بنيامين) قال لهم :
ما جزاء من توجد فى أمتعته ! قالوا : جزاؤه أن يؤخذ فيه ، كذلك نجزي الظالمين .

١١٧ — (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا أَظَّالِمُونَ) ٧٩

قال : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا صواعنا عنده ، فإن فعلنا غير ذلك نكون
إذا من الظالمين .

سورة الرعد

١١٨ — (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) ٦

بعد أن قال : ويستعجلونك يا محمد بالعقوبة قبل العافية ، وقد مضت من قبلهم
العقوبات التى نزلت بأمثالهم من المكذبين .

وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإنه لشديد العقاب .

سورة إبراهيم

١١٩ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلرُّسُلِ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) ١٣

وقال الذين كفروا لرسولهم : إما أن تخرجوا من بلادنا ، أو تدخلوا في ديننا ، فأوحى الله إليهم لنهلكن الظالمين .

١٢٠ - (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢٢
قال الشيطان لما فرغ من أمر هؤلاء الكافرين : لا تلوُموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمغيثكم من عذاب الله ، وما أتم بمغيث منه ، فإني قد كفرت قبل أن أهبط إلى الأرض بالله الذي أشركتموني معه ، إن الظالمين لهم عذاب أليم .

١٢١ - (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) ٢٧

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت المؤيد بالحجة ، المسند بالدليل في الحياة الدنيا ، فلا يؤمنون بشئ إلا بهرمان ، ويثبتهم كذلك في الآخرة . ويضل الله الذين ظلموا أنفسهم بالافتصار على تقاليد آبائهم ، ويفعل الله ما يشاء .

١٢٢ - (وَأَنَّا كُفُّوا مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) ٣٤

بعد أن بين الله نعمه على مخلوقاته ، وتسخير الشمس والقمر والليل والنهار ، قال لهم : وقد منحكم من كل ما سألتموه ؛ وإن تعدوا نعمة الله عليكم فلا تحصوها ، إن الإنسان لكثير الظلم ، كثير الكفران والجحود بالنعم .

١٢٣ - (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) ٤٢

ولا تحسبن يا محمد أن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخر حسابهم ليوم تبته فيه الأبصار من شدة ما يصيب الناس فيه من الهول .

١٢٤ - (وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَئِكَ نَكُونُ أَتَقَاتِمُ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) ٤٤

وأندِر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الظالمون : ربنا أخرنا إلى ميعاد قريب نحب فيه دعوتك وتتبع الرسل ، فيقال لهم : أولم تقسموا بطراً ، وغروراً أنكم باقون في الدنيا لا يلحقكم الموت ؟

١٢٥ - وَسَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) ٤٥

والحال أنكم سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وظهر لكم ماذا فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال تنبيهاً لكم فلم تعتبروا .

سورة الحجر

١٢٦ - (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ . فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهَا لَكَلِيلٌ مُبِينٌ) ٧٨ ، ٧٩

لما كان أصحاب الأيكة (أى قوم شعيب) من الظالمين اتقنا منهم ، وإنيها (أى مدينة سدوم والأيكة) لبطريق واضح يراها الناس .

سورة النحل

١٢٧ - (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ٢٨

الذين تتوفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم ، فسلموا وأخبتوا حين شاهدوا العذاب وقالوا : ما كنا نعمل من سوء ، بل إن الله عليم بما كنتم تعملون ، فيجازيكم عليه مجازاة رادعة .

١٢٨ — (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٣٣

هل ينتظر الكافرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، أويدهم عذاب ربك
كذلك فعل الذين من قبلهم ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر
والإنهماك في المعاصي .

١٢٩ — (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ٤١

والذين هاجروا في مرضاة الله من بعد ما ظلمهم المشركون لننزلنهم في الدنيا مدينةً حسنةً
هي (يثرب) ولأجر الآخرة أكبر وأعظم لو كانوا يعلمون .

١٣٠ — (وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ٦١

ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهر الدنيا من دابة ، ولكنه يؤخرهم أعماراً
مقدرة لا يتقدمونها ولا يتأخرون عنها ساعة .

١٣١ — (وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) ٨٥

وإذا رأى الذين ظلموا عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ولا هم يمهلون .

١٣٢ — (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١١١

يوم تجيء كل نفس تجادل عن نفسها ، وتسعى في خلاصها ، وإذا ذلك توفى كل نفس
جزاء ما عملت وهم لا يظلمون .

١٣٣ — (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ١١٣

ولقد جاءهم رسول من جنسهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون .

١٣٤ — (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١١٨

وقد حرّمنا على اليهود ما ذكروه لك من قبل ، وما ظلمناهم نحن ، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم .

سورة الإسراء

١٣٥ — (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) ٣٣

ولا تقتلوا النفس إلا إذا استحقته ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه حقّاً في طلب القصاص من القاتل ، فلا يحملنه الحزن على قريبه أن يمثّل بقاتله ، ويقتل معه سواء إنه منصور على أىّ حال .

١٣٦ — (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) ٤٧

نحن أعلم بالسبب الذى يدعوهم للاستماع إليك ، وهو الاستهزاء بك وبالقرآن ، ونحن أعلم أيضاً إذ هم يتناجون ، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً قد ذهب عقله .

١٣٧ — (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) ٥٩

وما منعنا أن نرسل محمداً بالمعجزات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتيناه قوم ثمود الناقة آيةً بينةً فظلموا أنفسهم بسببها إذ عقروها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً .

١٣٨ — (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ، فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ٧١

يوم ندعو كل قوم بإمامهم الذى يأتون به من دين أوزعيم ، أو ندعو كل إنسان بكتاب أعماله ، فمن أوتي كتابه بيمينه ، فأولئك يقرءون كتابهم فرحاً بما فيه ، ولا يظلمون أقلّ شئ .

١٣٩ — (وَتُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) ٨٢

ونزل من القرآن ما هو شفاء لأدواء النفوس ، ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسراناً لكفرهم .

١٤٠ — (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) ٩٩

أولم يروا أن الله الذي لا حدَّ لقدرته ، الذي خلق السموات والأرض — بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ وجعل لهم أجلاً لا شك فيه ، هو الموت أو القيامة ، فأبى الظالمون إلا كفرًا .

سورة الكهف

١٤١ — هُوَ لَا يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ١٥

هو لا قومنا اتخذوا من دون الله آلهة ، فهلا يأتون عليهم ببرهان واضح ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟

١٤٢ — (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) ٣٩

وقل لهم يا محمد : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، لست أضطر أحداً لترك دينه ، إنا هيأنا للظالمين ناراً أحاط بهم (فسطاطها) ، إن يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كدردي الزيت في الكدورة والقذر ، يشوي الوجوه ، بئس الشراب وساءت جهنم متسكاً لهم .

١٤٣ — (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُ كُلَّهَا وَلَمْ تَظَلْمْ مِنْهُ شَيْئًا) ٣٣

كلا البستانين أعطى ثمرة ، ولم ينقص منه شيئاً .

١٤٤ — (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) ٣٥

ودخل بستانه ، وهو ظالم لنفسه ، بعجبه وكفره قائلاً : ما أظن أن تفتنى هذه الجنة أبداً ، وما أظن الساعة كائنة ؛ إلى آخر ما قال هذا الرجل المتعظم المتكبر .

١٤٥ — (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا) ٤٩

ووضع كتاب الأعمال ، فترى المجرمين خائفين مما فيه لسوء ما قدموه بين أيديهم ويقولون : يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر (لا يترك) صغيرة ولا كبيرة من أمورنا إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً .

١٤٦ — (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) ٥٠

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فأطاعوا الأمر إلا إبليس كان من الجن فخرج عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته موالى لكم من دونه ، وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلاً .
١٤٧ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ٥٧
ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ولم يتدبرها ، ونسى ما قدمت يده من الأعمال المنكرة ؟

١٤٨ — (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) ٥٩

وتلك القرى (عاد وثمود وغيرهم) أهلكناها لما ظلموا أنفسهم بالكفر ، وجعلنا لإهلاكهم وقتاً مقررًا .

١٤٩ — (قَالَ أَتَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا

نُكْرًا) ٨٧

قال ذو القرنين : أما من ظلم نفسه بالكفر والإصرار عليه فإننا سنعذبه ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً منكرًا ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله الثوبة الحسنى .

سورة مريم

١٥٠ - (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا ، لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ٣٨

فاختاف الأحزاب (الفرق) من بينهم فويل للكافرين من رؤية عذاب عظيم ،
فما أحد سمعهم ، وأبعد بصرهم يوم يأتوننا ، لكنهم اليوم صم عمى لا يهتدون ، أى
الظالمون اليوم فى ضلال مبين .

١٥١ - (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) ٦٠
إلا من تاب (من ذنوبه) وآمن وعمل صالحاً (من الطاعات) ، فأولئك يدخلون الجنة
(بسبب ذلك) ولا يظلمون (أى ينقصون) شيئاً .

١٥٢ - (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا) ٧٢
ثم ننجى المتقين وترك الظالمين فيها باركين على ركبهم .

سورة طه

١٥٣ - (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) ١١١

وذات الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب (وخسر) من حمل (ارتكب) ظلماً .

١٥٤ - (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) ١١٢

ومن يعمل من الأعمال الصالحة الطيبة ، وهو مؤمن بالله ورسوله ، فلا يخاف ظلماً
ولا هضماً (بجحاً) .

سورة الأنبياء

١٥٥ - (لَا هَيْبَةَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ

مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ) ٣

بعد أن ذكر الله اقتراب يوم القيامة ووقوف الناس للحساب قال : لا هية قلوبهم ،
وأخفى الذين ظلموا تحادتهم ليخفوا ما ينوونه من الدسائس ، وقالوا : هل محمد إلا بشر
مثلكم ؟ أفتمون فى السحر وأنتم تبصرونه ؟

١٥٦ - (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) ١١
وكم أهلكتنا (أبدنا ودمرنا) من قرية (بلدة) كانت ظالمة لنفسها أو لغيرها وأنشأنا
(أوجدنا وأحدثنا) بعدها قوماً آخرين .

١٥٧ - (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنْ أَيْنَا ظَالِمِينَ) ١٤
ولما قيل لهم : لا تهربوا وارجعوا إلى النعم التي أبطرتكم ، وإلى مسألتكم لعلمكم
تسألون عن أعمالكم أو تعذبون ؟ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين .
١٥٨ - (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٢٩

ومن يزعم منهم أنه إله جزيناه جهنم ، وكذلك نجزي الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم .
١٥٩ - (وَلَأَنْ مَسَّئَهُمْ تَفْجَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنْ أَيْنَا
ظَالِمِينَ) ٤٦

ولئن مسهم شيء دنى من عذاب الله ليقولن : يا ويلنا إنا كنا ظالمين .
١٦٠ - (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) ٤٧
ونضع الموازين العادلة ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من
خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين عليها .

١٦١ - (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ، إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ؟) ٥٩
لما دخل إبراهيم الهيكل وحطم الأصنام آلهتهم إلا أكبرها حجماً اعلمهم يرجعون
إليه بالسؤال عن فعل ذلك .

قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ؟ وهذا في الواقع ونفس الأمر ليس ظالماً من
إبراهيم بل هو في مصلحة الدين .

١٦٢ - (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) ٦٤
لما قالوا لإبراهيم : أنت صنعت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال : لا ؛ بل فعله كبيرهم
هذا ، وأشار إلى الصنم الأكبر الذي تركه سليماً ، فاسألوه إن كانوا ينطقون .

فراجعوا عقولهم وقال بعضهم لبعض : إنكم أنتم الظالمون لسؤاله هذا السؤال .
١٦٣ — (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنْ كُنْتُ مِنْ
الظَّالِمِينَ) ٨٧

وذا النون (صاحب الحوت ، وهو يونس بن متى) لما ترك قومه بدون إذن الله خجراً
من شدة عنادهم وتماديهم في كفرهم ، وظن أن لن نقدر عليه ، نادى في ظلمات الليل ،
أو في ظلمات بطن الحوت (إذ كان التقيمه حوت عقوبةً من الله له) : أن لا إله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين .

١٦٤ — (وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يَا وَيْلَتَا
قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ! بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) ٩٧
واقترب يوم القيامة ، فإذا أبصار الذين كفروا ناظرةً لا تطرف من الحيرة ويقولون :
يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا ، بل كنا ظالمين .

سورة الحج

١٦٥ — (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ١٠
بعد أن قال الله : إن من الناس من يباحث في الله بغير علم يعتمد عليه ، ولا هدى
يستند إليه ، ولا كتاب منير يستمد منه ، متكبراً عن قبول الحق ، ليضل الناس عن سبيل
الله ، فهذا له في الدنيا خزي بظهور بطلان مذهبه ، ويذيقه الله يوم القيامة عذاب النار .
فيقال له : ذلك بسبب ما قدمت يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد .

١٦٦ — (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) ٢٥
بعد أن قال الله تعالى : إن الكافرين الذين يصدون الناس عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام ، قال :

ومن يرد أن يتبدع في المسجد ما لم يرده الله بميل عن القصد ، وهو ظالم لنفسه ، نذقه
من عذاب أليم .

١٦٧ — (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَالِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) ٣٩

رخص الله بالقتال للذين يقاتلهم المشركون لأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير .

١٦٨ — (فَكَابُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا

وَبُئْرِ مُعَظَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) ٤٥

وكم من قرية أهلكنها وهي ظالمة ، فهي ساقطة حيطانها على سقوفها ، وكم من بئر ملأى بالماء معطلة لهلاك أهلها ؟ وكم من قصر مشيد خال من سكانه ؟ .

١٦٩ — (وَكَابُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيتُ كُلُّهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ) ٤٨

وكم من قرية أهلها وهي ظالمة ، لترجع إلى الصواب والحق ؟ ثم أخذتها بعد اليأس من إصلاحها ، وإلى المصير .

١٧٠ — (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) ٥٣

بعد أن قال الله : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ دسّ الشيطان في قراءته ما ليس بوحى ، فيبطل الله ما يدسه الشيطان ، ثم يثبت آياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يدسه الشيطان امتحاناً للذين في قلوبهم مرض : الشك أو النفاق ، أو القاسية قلوبهم ، قال : (وإن الظالمين) من هذين الفريقين (لفي شقاق بعيد) عن الحق .

١٧١ — (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ،

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ٧١

ويعبدون من دون الله ما لم يؤتهم عليه دليلاً ، ويعبدون ما ليس لهم به علم ، بل ظنوناً وأوهاماً ، فما للظالمين من نصير يدفع عنهم العذاب .

سورة المؤمنون

١٧٢ — (وَلَا تَحْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ) ٢٧

ولا تشفع للذين ظلموا ، إنهم محكوم عليهم بالفرق هالكون .

١٧٣ — (فَأَخَذْنَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤١

فأخذتهم الصيحة متلبسةً بالحق ، بعيدة عن الظلم ، فجعلناهم كورق الشجر البالى ، فبعداً للظالمين .

١٧٤ — (وَلَا نَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٦٢

ولا نكلف نفساً إلا على قدر طاقتها ، وعندنا كتاب أعمالهم يشهد عليهم بالحق ، وهم لا يظلمون .

١٧٥ — (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٩٤

قل : رب إن كان لابد أن نشهد ما تعدهم إياه من العذاب ، فلا تجعلنى قريباً لهم فيه ، أى لا تجعلنى فى القوم الظالمين .

١٧٦ — (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) ١٠٧

ربنا أخرجنا من النار ، فإن عدنا لما كنا عليه ، فإننا ظالمون .

سورة النور

١٧٧ — (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُوا ؟ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْجِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

وَرَسُولُهُ ؟ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٥٠

أفى قلوبهم مرض النفاق ؟ أم شكوا فى نبوته ؟ أم يخافون أن يحجور الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون لأنفسهم .

سورة الفرقان

١٧٨ — (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ

فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) ٤

وقال الكفار : إن هذا القرآن اختلاق ، افتراه محمد وأعانه عليه اليهود أو غيرهم
بقراءتهم عليه ماسطره الأقدمون صباحاً ومساءً ، وهو ينقلها بلسانه ويكسبها الطلاوة ببيانه
فما أجهلهم ؟ لقد ارتكبوا بقولهم هذا ظلماً وزوراً .

١٧٩ — (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ
إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) ٨

وقالوا : هلا أنزل على محمد ملك فيعينه على مهمته ؟ أو يعطى له كنز ينفق منه عن
سعة ؟ أو تكون له جنة يأكل منها بلا كد ولا نصب ؟

وقال الظالمون : ماتبعون إلا رجلاً اختل عقله بسبب سحر أصابه .

١٨٠ — (وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) ١٩

ومن يظلم منكم بعد هذا البيان المذكور في الآية السابقة (أى بعد أن
يجمعهم الله ، وما يعبدون من الآلهة ، ويقولون لهم : هاهم آلهتكم قد كذبوكم بما تقولون
فما تستطيعون دفعاً للعذاب عن أنفسكم ولا نصراً لها) — نذقه عذاباً كبيراً .

١٨١ — (وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبِيلًا) ٢٧

يوم يعصى الظالم فيه على يديه ندماً وتحسراً ويقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول
طريقاً لنجأتى .

١٨٢ — (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ،

وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) ٣٧

وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ، وجعلناهم للناس آية دالة على بطش الله
في أخذ الكافرين ، وأعدنا للظالمين عذاباً أليماً .

سورة الشعراء

١٨٣ — (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠

وَإِذْ دَعَا رَبُّكَ مُوسَى وَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (قَوْمِ فِرْعَوْنَ) أَلَا يَخَافُ هَؤُلَاءِ بِطُغْنَانَا ؟ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ؟ .

١٨٤ — (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى ، وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٢٠٩

وَإِنَّا لَمْ نَهْلِكْ قَرْيَةً إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَبْعَثَ فِيهَا مُنْذِرِينَ يَذْكُرُونَ أَهْلَهَا عَاقِبَةُ تَعَادِيهِمْ فِي النَّارِ ، وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ .

١٨٥ — (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ٢٢٧

بَعْدَ أَنْ وَصَفَ اللَّهُ حَالَةَ الشُّعْرَاءِ وَقَالَ عَنْهُمْ : إِنَّهُمْ يَهْيَمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ مِنَ الْقَوْلِ بَيْنَ مَدْحٍ وَهَجَاءٍ وَغَيْرِهِمَا ، طَلِبًا الْمَنَافِعَ الشَّخْصِيَّةَ ، وَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . اسْتَشْنَى مِنْهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الظَّالِمِينَ فَقَالَ عَنْهُمْ :

سَيَعْلَمُونَ أَيَّ انْقِلَابٍ يَنْقَلِبُونَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَهُوَ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لِلظَّالِمِينَ .

سورة النمل

١٨٦ — (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ، فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) ١١

لَمَّا أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ وَرَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ سَرِيعَةٌ الْحَرَكَاتِ وَلَّى مَذْعُورًا وَلَمْ يَرْجِعْ ، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ : لَا تَخَفْ ؛ إِنَّهُ لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ .

(إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَفَرَطَ مِنْهُ صَغِيرَةً ، ثُمَّ أَغْبَاهَا بِعَمَلٍ حَسَنٍ ، فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

١٨٧ — (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ١٤

لما جاءت فرعون وقومه الآيات الواضحات كذبوا بها بعد أن تيقنوا صحتها ، ظلمًا لأنفسهم وتعاليا واستكبارا ، فانظر كيف كانت عاقبتهم ؟

١٨٨ — (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٤٤

لما دخلت بلقيس عند سليمان في القصر ورأت أرضه حسبته ماء وكشفت عن ساقينها كي لا تبطل ثيابها فقال لها : إنه صرح مملس من زجاج .

فقالت : يارب إني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .
١٨٩ — (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ، إِنِّ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ٥٢

فتلك بيوتهم متهدمة بما ظلموا ، وفي ذلك عبرة لقوم يعلمون فيتعظون .
(انظر سبب نزول هذه الآية في المصحف المفسر) .

١٩٠ — (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) ٨٥
يوم يجمع الله من كل أمة طائفة ويسألهم : أكذبتكم آياتي ولم تدركوا معانيها ؟ أم ماذا كنتم تعملون ؟
فلم ينطقوا بكلمة اعتذار ، ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم .

سورة القصص

١٩١ — (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ١٦

لما دخل موسى عليه السلام المدينة وأهلها غافلون عنه وجد إسرائيليا وقبطيا يقتتلان فاستغاث به الأول ، فضرب الثاني فمات فقال : هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل

ظاهر العداوة ، ثم قال : رب إني ظلمت نفسي بعملى هذا ، فاغفرلى ، فغفر له إنه غفور رحيم .

١٩٢ — (نَفَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٢١

وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً وقال : ياموسى ؛ إن القوم يتشاورون فى أمرك ليقتلوك ، فاخرج من مصر ، إني لك من الناصحين .

فخرج منها خائفاً يترقب أن يلحقه لاق وقال : رب نجنى من القوم الظالمين .

١٩٣ — (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٢٥

لما دعت إحدى المراتين موسى وقالت له : إن أبى يدعوك ليعطيك أجر ماسقيت لنا ، فلما جاءه وأخبره بخبره قال له : لا تخف ؛ قد نجوت من القوم الظالمين .

١٩٤ — (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ٣٧

لما ذهب موسى إلى فرعون وقومه وسمع منهم ما سمع قال لهم : ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له العاقبة الحسنة بعد هذه الحياة الدنيا ، إنه لا يفلح الظالمون .

١٩٥ — (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ) ٤٠

لما استكبر فرعون وجنوده فى الأرض بغير الحق ، إذا دعى الألوهية ، فأخذناه وجنوده فالتيناهم فى البحر حين تعقبوا موسى وبنى إسرائيل لمنعهم من الخروج من مصر ، فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين ؟ .

١٩٦ — (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥٠

قل يا محمد لبنى إسرائيل : فاتوا بكتاب من عند الله أهدى من التوراة والقرآن ، وأدلّ منهما على طريق السعادة ، لأتبعه إن كنتم صادقين ، فإن لم يجيبوك إلى ما تطلب فاعلم أنما يتبعون ميولهم الضالة ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ إن الله لا يهدى القوم الظالمين .

١٩٧ — (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) ٥٩

وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في كبرها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا لنهلك القرى إلا وأهلها قد استحقوا الهلاك بظلمهم .

سورة العنكبوت

١٩٨ — (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ١٤

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، يدعوهم إلى الحق ، فلم يرفعوا به رأسا ، فأرسل الله عليهم الطوفان فأغرقهم ، وهم ظالمون لأنفسهم .

١٩٩ — (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) ٣١

ولما جاءت رسلنا من الملائكة إبراهيم يبشرونه بأسحق ، ومن بعد إسحق يعقوب قالوا له : إنا أرسلنا نهلك أهل هذه القرية (يعنون سدوم) لأنهم كانوا ظالمين ، فقال لهم : إن فيها لوطا .

٢٠٠ — (فَكَلَّا أَهَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَفْتَنَهُم مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ، وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٤٠

فقد أخذنا كلاً من هؤلاء المتمردين بذنبه ، ففتنهم من أمطرنا عليه حجارة من السماء ، ومنهم من أخذته الصرخة الهائلة ، ومنهم من خسف به الأرض ، ومنهم من أغرق ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكنهم كانوا يظلمون أنفسهم .

٢٠١ — (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ٤٦

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بأحسن جواب لمقابلة خشوتهم بالآتين ، وشغبهم بالنصح إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء ، وقولوا لهم : آمنا بالذي أنزل إلينا ، وبالذي أنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون .

٢٠٢ — (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي ضُذُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) ٤٩

يقول الله تعالى : ما كنت يا محمد تقرأ من قبل القرآن كتاباً ، ولا تكتبه بيدك ، لأنك أمي ، فلو كنت قارئاً أو كاتباً لارتاب المبتلون ، وقالوا : إنك تأتينا بما تنتحله من الكتب السابقة ، كلا بل هو (أى القرآن) آيات واضحة المعاني يحفظها العلماء في صدورهم عنايةً بها ، وما يجحد بآياتنا (أى ينكرها) إلا الظالمون .

٢٠٣ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ؟) ٦٨

ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، إذ زعم أن له شريكاً ، أو كذب بالحق لما جاءه (يعنى الرسول أو الكتاب) أليس في جهنم مكان ينزل فيه الكافرون ؟

سورة الروم

٢٠٤ — (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٩

بعد أن بين الله في الآيات السابقة أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، لا الباطل ، وقال للكافرين :

ألم يسيحوا في الأرض ليتحققوا بأنفسهم كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم ؟ وبين لهم حالتهم ، وقال : أتتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، فيدمرهم بغير جريمة ، ولكم كانوا يظلمون أنفسهم بكفرهم .

٢٠٥ — (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ؟ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ٢٩

يقول الله تعالى : بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم أضاليلهم النفسية غير مستندين فيها إلى علم ، فمن ذا الذى يهdy من أضله الله ؟ وما لهم من ناصرين .

٢٠٦ — (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ٥٧

يوم القيامة ؛ أى تقوم الساعة ، يحلف المجرمون إنهم مامكثوا فى الدنيا غير ساعة ، والواقع أنهم لبثوا فيها عمراً مديداً ، كذلك كانوا يُصرفون عن وجه الحق فى الدنيا فلا يرون الشيء على حقيقته .

أما الذين مُنحوا العلم والإيمان فيقولون لهم : لقد مكثتم كما هو مشبوت فى كتاب الله إلى يوم القيامة ، فإن كنتم تنكرونه فها هو يوم القيامة ، ولكنكم كنتم لاتعلمون أن وعد الله حق فكذبتم الرسل .

فيومئذ لا ينفَعُ الظالمين معذرتهم ، ولا هم يسترضون بدعوتهم إلى التوبة والطاعة لينجوا من العذاب .

سورة لقمان

٢٠٧ — (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ١١

بعد أن بين الله فى الآية السابقة أن خلق السموات معلقةً فى الفضاء بغير عمد ، لا يسندها شئٌ كما ترونها ، وألقى فى الأرض جبلاً رواسخ ، خشية أن تميد بكم ، أى تضطرب بكم ، ونشر فيها من كل حيوان ، وأنزل من السماء ماء ، فأنبث به فيها من كل صنف كريم من النبات . قال للكفار : هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين تعبدونهم من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين .

٢٠٨ — (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ١٣

وإذ كر يا محمد : إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله فإن تسوية من لانهمة إلا منه ، بمن لانهمة له أصلاً ظلم عظيم .

سورة السجدة

٢٠٩ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) ٢٢

ومن أظلم ممن ذكر بآيات الله ثم أعرض عنها لاهياً ، أو مستكبراً ؟ إنا من المجرمين لمنتقمون .

سورة الأحزاب

٢١٠ — (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ٧٢

إنا عرضنا الطاعة والقيام بأعباء تكاليفنا على السموات والأرض والجبال فامتنعن من حملها ، وخفن من تبعاتها ، وحملها الإنسان بما منحه الله من القوى الأدبية للوفاء بها ، إنه كثير الظلم والجهل ، إذا لم يف بحقوقها ، ولم يقم بواجباتها .

سورة سبأ

٢١١ — (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَنَزَقْنَاهُمْ كُلَّ نُمُزْقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) ١٩

يقول الله تعالى في الآيات السابقة : إن بني سبأ (وهم أولاد يشجب من قبائل اليمن) كانت لهم جنتان ، أي بستانين تؤتيهم رزقاً حسناً ، فأعرضوا عن شكر الله ، فأرسل عليهم سيلاً شديداً ، وبذل الجنتين بغيرها ، لها ثمر بشع ، وشجر لا ثمر فيه ، فطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم من مفاوز وواديان ، ليظهروا بأبهة الثروة ، ويتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل ، فبطروا هذه النعمة ، ففرقناهم كل فريق ، وجعلناهم أحاديث للناس ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور .

٢١٢ — (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ،

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَتَقُونَنَّ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنزَمُنَا لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)

وقال الذين كفروا : لن تؤمن بهذا القرآن ، ولا بالكتب التي بين يديه ، أى السابقة له ، ولو ترى حين يقف الظالمون أمام ربهم يتحاورون ، فيراجع بعضهم بعضاً ، كل منهم يلقي التبعة على الآخر ؛ فيقول الذين استضعفوا في الدنيا للذين أضلوهم : لولا أنكم أوقعتونا في الكفر لكانا مؤمنين .

٣١٣ - (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) ٤٢

فاليوم (أى يوم القيامة) لا يملك بعضكم لبعض نفع ، ولا دفع ضرر ، ونقول للذين ظلموا : ذوقوا عذاب النار التي كنتم لا تصدقون بوجودها .

سورة فاطر

٢١٤ - (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٣٢

ثم أورثنا الكتب السماوية الذين اصطفيناهم من عبادنا من العلماء والحكماء ، فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ، ومنهم معتدل يعمل به على قدر إمكانه ، ومنهم سابق إلى الخيرات يجمع بين العلم والعمل بإذن الله ، وذلك السبق هو الفضل الكبير من الله .

٢١٥ - (وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ٣٧

وجاءكم النذير يخوفكم من عاقبة تماديكم في الباطل ، فذوقوا العذاب ، فما للظالمين من نصير يدفعه عنهم .

٢١٦ - (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا) ٤٠

بعد أن يسأل الله الكافرين عن شركائهم ، وعما خلقوا من الأرض ، وعما إذا كان أتاهم كتاب يتطرق بأن الله اتخذ شركاء - يقول لهم : بل ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً في شفاعته هؤلاء الشركاء إلا غروراً .

سورة يس

٢١٧ — (فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ٥٤
فاليوم (أى يوم القيامة) لا تظلم نفس شيئاً ، ولا تجزون إلا ثواب عملكم .

سورة الصافات

٢١٨ — (أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ) ٢٢ ٢٣

يوم القيامة ، (وهو يوم الحكم بين الخلائق والفصل فى أمرهم) ، يقول الله للملائكة :
أجمعوا الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم وما كانوا يعبدون من الآلهة ، فهدوهم إلى طريق
الجحيم (طريق جهنم) وقفوهم أمامنا إنهم مسئولون عن أعمالهم .

٢١٩ — (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) ٦٣

فى يوم القيامة يكون للمؤمنين الفوز العظيم فى الجنة ، ويقول الله للذى كفر بالبعث :
أهذا أفضل نعمة من الله لعبده ، أم شجرة الزقوم التى جعلناها عذاباً للظالمين ؟ وهى شجرة
تنبت فى قاع جهنم ثمرها كأنه رؤوس الشياطين .

٢٢٠ — (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَكَلَىٰ إِسْحَاقَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) ١١٣

بعد أن بشر الله إبراهيم بإسحق نبياً من الصالحين قال : وباركنا عليهما (أى على
إبراهيم وإسحق) ومن ذريتهما من هو محسن فى أعماله كريم ، وظالم لنفسه ذميم .

سورة ص

٢٢١ — (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ
لَيَبْتَغِينَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) ٢٤

لما أمر الله الملائكة بالدخول على (داود) وفرع منهم قالوا له : لانحف نحن خصيان ، بنى بعضنا على بعض ، وقص عليه أحدهما أمر النعاج ، وطلب منه أن يحكم بينهما بالحق ، قال له : لقد ظلمك أخوك بطلب ضمّ نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الأصحاب والخلطاء ليبنى بعضهم على بعض ، إلا المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وقليل وجودهم .

سورة الزمر

٢٢٢ — (أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) ٢٤

يقول الله تعالى : أفمن يتقى بوجهه عذاب السوء في الآخرة ، لأن يده تكون مغلولة إلى عنقه ؛ كمن هو آمن منه ؟ وقيل لهم : ذوقوا ما كنتم تعملون .

٢٢٣ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) ٣٢

فمن أظلم من رجل كذب على الله وكذب بالحق إذ جاءه أليس في جهنم منزل للكافرين (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكنوا يحتسبون) ٤٧

في يوم القيامة لو ملك الذين ظلموا أنفسهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لهان عليهم أن يبذلوه لقاء أنفسهم به من شدة العذاب ، وظهر لهم من الله مالم يكن يخطر على بالهم من وبال ما كانوا يقتربون .

٢٢٥ — (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٦٩

وأشرقت الأرض بنور ربها ، أى بعدل ربها (يوم ينفخ في الصور) ووضع الكتاب (كتاب الحساب) وجيء بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليها من الملائكة والناس ، وقضى الله بينهم بالحق وهم لا يظلمون .

سورة المؤمن

٢٢٦ — (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ حَجِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ) ١٨

وأنذرهم يوم الآزفة (يوم القيامة) حيث ترتفع القلوب من أماكنها حتى تلحق بالحناجر من شدة الهول ممسكين على القم ، ما لهم من قريب شفيق يعطف عليهم ، ولا شفيع يشفع لهم فتمر شفاعته .

٢٢٧ — (مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ

ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) ٣١

لما قال فرعون لقومه : ما أشير عليكم إلا بما أستصوبه ، وما أرشدكم إلا إلى سبيل الصواب ، قال الذي آمن : يا قوم إني أخاف عليكم إن تعرضتم له مثل ما أصاب الأمم الماضية مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد .

٢٢٨ — (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) ٥٢

يوم القيامة هو اليوم الذي لا ينفع الظالمين اعتذارهم ، ولهم لعنة الله وجهنم يدخلونها جزاء كفرهم .

سورة فصلت

٢٢٩ — (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٤٦

من عمل صالحاً فأنما نفعه لنفسه ، ومن أساء فإساءته على نفسه ، وما ربك بظلام للعبيد

سورة الشورى

٢٣٠ — (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَالْكِتَابُ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ

وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ٨

ولو شاء الله لجعل هذه الخلائق أمة واحدة ، ولكنه قضى لحكمة اختص بها هو

بعلها أن يدخل بعضهم في رحمته ، ويترك الظالمين وشأنهم لاولى لهم ولا نصير .

٢٣١ — (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ، وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢١

يقول الله تعالى : ألهم شركاء شرعوا لهم ديناً لم يعلم به الله ، ولولا كلمة القضاء السابق بناجيل العذاب لقضينا بينهم بإهلاك المبطلين ، وأن الظالمين لهم عذاب أليم .

٢٣٢ — (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٢٢

ترى الظالمين في الآخرة خائفين مما عملوه ، ووبالهم واقع بهم ؛ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في حدائق الجنات يتمتعون ، وذلك هو الفضل الكبير .

٢٣٣ — (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٤٠

وجزاء الفعلة السيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح ما بينه وبين عدوه فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين .

٢٣٤ — (وَلَكِنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ٤١

ومن انتصر لنفسه من بعد ما ظلم ، فأولئك لا سبيل إلى معاقبتهم أو معاتبتهم .

٢٣٥ — (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٤٢

إنما العقاب أو العقاب على الذين يظلمون الناس ويفسدون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم .

٢٣٦ — (وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَسَ لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ، وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) ٤٤

ومن يضل الله فما له من ولي يهديه من دونه ، وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون : هل إلى رجعة في الدنيا من سبيل ؟

٢٣٧ — (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفٍ ، وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) ٤٥

وتراهم يعرضون عليها (أى على النار) وهم خاشعون من الذل ، ينظرون إلى النار اختلاساً ذعراً منها .

ويقول الذين آمنوا حينذاك : إن المضيئين على الحقيقة ، هم الذين ضيعوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا إن الظالمين أنفسهم في عذاب دائم .

سورة الزخرف

٢٣٨ — (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) ٢٩

بعد أن قال : ومن يتعام عن ذكر الرحمن تقدر أوتتح له شيطاناً فهو يظل قريناً له ، يوسوس له ، ويغويه على إتيان المنكرات ، وإن هؤلاء الشياطين لينعونهم عن طريق الدين والخير ، وهم يحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا أحدهم قال المتعامى عن ذكر الله للشيطان : ياليت كان بيني وبينك بُعد المشرقين ، فبئس القرين أنت ؟

قال الله تعالى بعد ذلك : ولن ينفعكم اليوم وقد صح أنكم ظلمتم أنفسكم ، وأنكم الآن في العذاب مشتركون .

٢٣٩ — (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) ٦٥

لما جاء عيسى بنى إسرائيل بالآيات الواضحات قال لهم : قد جئتمكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه من أمور الدين ، نخافوا الله وأطيعوني ، إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، وهذا طريق قويم لا يضل السالك فيه .

فاختلفت الفرق المتحزبة من بينهم ، أى من بين النصارى أو اليهود والنصارى ،
فالويل والهلاك للذين ظلموا من عذاب يوم أليم .

٢٤٠ — (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) ٧٦

يقول الله تعالى : إن الجرمين فى عذاب جهنم خالدون ، لا يخفف عنهم ، وهم فيه
أيسون ساكتون ، وما ظلمناهم بإدخالهم النار ، ولكن كانوا هم الظالمين .

سورة الجاثية

٢٤١ — (إِنَّهُمْ أَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضِ اللَّهِ وَلِئِى الْمُتَّقِينَ) ١٩

يقول الله تعالى : إنا جعلناك يا محمد على طريقة من أمر الدين فاتبعها ، ولا تتبع أهواء
الجاهلين ، إن هؤلاء الجاهلين ان يدفعوا عنك من مؤاخذه الله شيئاً ، وأن الظالمين يتولى
بعضهم بعضاً ، والله يتولى المتقين فيأخذ بيدهم ولا يدعهم يهلكون .

٢٤٢ — (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٢

وخلق الله الوجود ملتبساً بالحق ، ليدل به على قدرته ، ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون .

سورة الأحقاف

٢٤٣ — (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠

قل لهم يا محمد : أخبرونى إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتكم به ، وقد شهد
شاهد من بنى إسرائيل هو (عبد الله بن سلام) على كونه من عند الله ، فأمن هو
واستكبرتم ، ألا تكونوا ظالمين ؟ . وأن الله لا يهدى القوم الظالمين

٢٤٤ — (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا
عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) ١٢

ومن قبل القرآن كتاب موسى (التوراة) إماماً للناس ورحمة بهم ، وهذا كتاب
مصدق له بلسان عربي ، لينذر الذين ظلموا وبشري للمحسنين .

٢٤٥ — (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ، وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) ١٩
ولكل (من الجن والإنس) مراتب مما عملوا ، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم ، وهم
لا يظلمون .

سورة الحجرات

٢٤٦ — (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأُسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ
يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ١١

يقول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يستهزئ قوم بقوم عسى أن يكونوا عند الله
خيراً منهم ، ولا يستهزئ نساء بنساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا يعطن بعضكم على
بعض ، ولا تتعابروا بالألقاب السوء ، بئس الاسم أن تسموا فاسقين بعد أن تكونوا مؤمنين
ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

سورة ق

٢٤٧ — (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٢٩

يقول الله تعالى : لا تتخاضعوا لذي ، وقد أسلفت لكم التهديد ، ما يتبدل القول عندي ،
وما أنا بظلام للعبيد .

سورة الذاريات

٢٤٨ — (فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ) ٥٩

فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ نَصِيبًا مِّنَ الْعَذَابِ مِثْلَ نَصِيبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ،
فَإِنْ حَكَمْتَنِي تَقْتَضِي أَنْ أُؤَخَّرَهُ إِلَى يَوْمٍ مَّعْلُومٍ .

سورة الطور

٢٤٩ — (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٤٧

وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لِعَذَابًا أَقْرَبَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ فَشْلُهُمْ وَتَغَابِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

سورة النجم

٢٥٠ — (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى) ٥٢

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا وَثَمُودَ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ
النَّاسِ وَأَطْفَى .

سورة الحشر

٢٥١ — (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) ١٧

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ فِي إِغْرَاءِ الْيَهُودِ عَلَى الْقِتَالِ كِشْلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ
لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ تَبَرَّأَ مِنْهُ قَاتِلًا : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا
أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ .

سورة الممتحنة

٢٥٢ — (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩

يُنْهَاهُمْ اللَّهُ عَنِ مَوَدَّةِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، وَأَعَانُوا غَيْرَهُمْ
عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَمُدُّوهُمْ أَوْلِيَاءَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

سورة الصف

٢٥٣ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ؟
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٧
ومن أظلم من اختلق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ؟ والله لا يهدي
القوم الظالمين .

سورة الجمعة

٢٥٤ - (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥
مثل الذين كلفوا بالعمل بالتوراة ، والقيام على صراطها ، ولم يرفعوا بذلك رأساً ، ولم
يقوموا بما عهد إليهم من ذلك ، كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً ينقلها من مكان إلى
آخر ، وهو لا يدري ما فيها من كنوز المعارف ، فبئس الذين يكذبون بآيات الله ، والله
لا يهدي القوم الظالمين .

٢٥٥ - (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٧
قل يا محمد : يأبى اليهود ؛ إن ادعيتم أنكم أولى بالله من دون الناس وهو أولى بكم
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين .
أنهم لا يتمنونه أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من الآثام ، والله عليم بالظالمين .

سورة الطلاق

٢٥٦ - (وَلِلَّهِ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
اللَّهُ يُخَذِّتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) ١

بعد أن بين الله الأحكام الشرعية في الطلاق قال : تلك حدود الله فمن يتعدّها فقد

ظلم نفسه ، إنك لا تدري أيها المطلق ، لعل الله يخلق لك حالاً جديدةً ، فترغب في استرداد مطلقتك .

سورة التحريم

٢٥٧ — (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ١١
مثل الله حال المؤمنين في أن انصالحهم بالكافرين لا يضرهم بحال آسية امرأة فرعون
إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين

سورة القلم

٢٥٨ — (قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٢٩

كان لرجل بستان (قرب صنعاء باليمن) ينادى الفقراء وقت قطع البلح منه ، ويترك لهم ما أخطأه النخل أو ألقته الريح فيجتمع لهم شيء كثير .
فلما مات لم يرد أبناؤه أن يقتدوا به ، فحلفوا إنهم ليقطعون ثمرات النخل وهم داخلون البستان في الصباح ، ولا يقولون : إن شاء الله ، فطاف عليها طائف فأهلك ثمرها ، وجعلها كالنخل المزرع المزرع ثمره عقاباً لهم .
فنادى بعضهم بعضاً وهم داخلون في الصباح : اخرجوا وقت الغداة ، أي أول ساعات النهار إلى زرعكم إن كنتم تريدون قطع ثمر نخلكم ، وهم يخفون أصواتهم حتى لا يعلم بهم أحد من المساكين .
وانطلقوا في الغداة وهم قادرون على نكد لاغير ، فلما رأوا الجنة (البستان) بهذه الحال قالوا : إنا لضالون (أي تائهون عن طريقها) بل نحن محرومون (أي بل حرمانا خيرها بجنائنا) .

وقال أوسطهم رايّاً أوسناً (ألم أقل لكم لولا تسبحون) . ألم أقل لكم حين عزمت على حرمان الفقراء : هلا تسبحون الله ، أي تتذكرونه وتتوبون إليه .
قالوا : سبحان ربنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا بإيثار الشح على الإيفاق .

سورة نوح

٢٥٩ — (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) ٢٤

وقد أضلت هذه الأصنام كثيراً من الناس فلا تزد الظالمين إلا ضلالاً .

٢٦٠ — (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) ٢٨

رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ،

ولا تزد الظالمين إلا هلاكاً .

سورة الدهر

٢٦١ — (يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ٣١

يدخل الله من يشاء من عباده في بحبوحته (رحمته) وقد هيا للظالمين عذاباً شديداً .

أحاديث في النهي عن الظلم

- ١ - عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا » . (رواه مسلم والترمذي)
- ٢ - وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشَّحَّ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَلَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » . (رواه مسلم وغيره)
- ٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخاري ومسلم والترمذي)
- ٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ هُوَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَحَشِّشَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ فَإِنَّ الشَّحَّ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » . (رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم)
- ٥ - وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَظْلِمُوا فَتَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ ، وَتَسْتَنْصِرُوا فَتَنْصَرُوا فَلَا تُنصَرُوا » . (رواه الطبراني)
- ٦ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُخَذَّلُهُ » . (رواه أحمد بإسناد حسن)
- ٧ - وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِعْهُ » ثم قرأ : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ

إِذَا أَخَذَ الثُّرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» . (رواه البخارى ومسلم والترمذى)

٨ - وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ

شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ اللَّهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » . (رواه البخارى ومسلم)

٩ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَتْ

عِنْدَهُ ظُلْمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَكُونَ

دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ

لَهُ حَسَنَاتٌ ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فُحْمَلُ عَلَيْهِ » .

(رواه البخارى والترمذى وسياقى شرحه)

١٠ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، التَّقْوَى هَاهُنَا ،

التَّقْوَى هَاهُنَا (ويشير إلى صدره) بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ،

كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ » . (رواه مسلم)

أحاديث فى القاضى الظالم والإمام الجائر

١ - عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ إِمَامٍ جَائِرٍ » . (رواه الحاكم)

٢ - وعن ابن أبي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ اللَّهَ مَعَ الْقَاضِي مَالَمَ يَجْرُ ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ » .

(رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم) إلا أنه قال : « فَإِذَا جَارَ تَبَرَّأَ

اللَّهُ مِنْهُ » .

٣ - وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « يُؤْتَى بِالْقَاضِي الظَّالِمِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَإِنْ أَمَرَ بِهِ وَقَعَ فَهُوَ فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

(رواه ابن ماجه والبرار)

٤ — وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ وَلِيَ أُمَّةً مِنْ أُمَّتِي قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ ، كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ
فِي النَّارِ » . (رواه الطبراني)

٥ — وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشِيرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَفْلُولًا لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ » .
(رواه أحمد بإسناد جيد)

٦ — وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ أَعْمَالٍ ثَلَاثَةٍ ، قَالُوا : مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : زَلَّةُ
عَالِمٍ ، وَحُكْمُ جَائِرٍ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ » . (رواه البزار والطبراني)
ومن الأدعية المأثورة : « رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا فَاعْفُرْ لِي ، فَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ ؟ »

ذكر ما جاء في ذم الظلم والنهي عنه والتحذير منه

جاء في الخبر : « يَنْشَأُ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ ظُلْمُ الْعِبَادِ » .

وقيل : الظلم مرتعه وخيم .

وقيل : ليس شيء أقرب من تغيير نعمة ، وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم .

وقيل في قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) . وعيد للظالم

وتعزية للمظلوم .

وقيل : على الظالم أن يكون وَجِلًا ، وعلى المظلوم أن يكون جَذَلًا (فرحًا) .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس ، فاذكر
قدرة الله عليك .

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال : اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان . قال :
فما يوم الأذان ؟ قال : اليوم الذي قال الله تعالى فيه : (فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ) فبكى سليمان وأزال ظلامته .

وقيل : اُحذروا دعوة المظلوم فإنها لينة الجواب ، سريعة الحساب .
وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الرجل في الجاهلية يُظلم فيدعو على من ظلمه فيجيب عاجلاً ، ولا ترى ذلك في الإسلام .
فقال عمر : هذا كان حاجزاً بينهم وبين الظلم ، وإن موعدكم الساعة والساعة أدهى وأسرّ .
وقيل : إنما يندمل من المظلوم جراحه ، إذا انكسر من الظالم جناحه .
وقال المأمون لبعض ولاته : لا تنظّم لى فيسلطى الله عليك . وهذا ينطبق عليه المثل : من أعان ظالماً سلطه الله عليه .

وقال ابن عباس : ليس للظالم عهد إن عاهدته ، فإن الله تعالى يقول : (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) .

التعوذ من الظلم

كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته يقول : « بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهِمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرْلَ أَوْ أُزْلَ أَوْ أُضِلَّ أَوْ أَضَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » .

عذر المظلوم إذا جهر بالسوء

قال بعضهم لسلطان : إني وإن خشنت في المقال فقد عذر الله المظلوم إذا جهر بالسوء طلباً للنصفة من ظالمه حيث قال : (لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ)

عادة الناس ظلم من استضعفوه

قيل : الظلم كمين في النفس تظهره القوة ، ويخفيه الضعف .
قال المتنبي : والظلم في خلق الرجال فإن تجد ذا عفة فلملة لا يظلم
وقيل : والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فلملة لا يظلم
ظالم ومتظلم

قال الشعبي : حضرت مجلس شريح ، فجاءته امرأة تخاصم زوجها بأكية ، فقلت : ما أظنها إلا مظلومة .

فقال : إن إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاء فيكون وهم ظالمون .

أمثلة في الظلم

- قيل : فلان أظلم من حية ، لأنها تحفر الجحر ، بل تسلب جحر غيرها فتدخل .
وقيل : أظلم من ذئب .
وقيل : أعدى من الدهر ومن التمساح . وقيل : القتنه غرس الظلم .
وقيل : ما أظلم الإنسان للإنسان !.

أحاديث اتقاء دعوة المظلوم

- ١ — عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال : « اتقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » .
(رواه البخارى ومسلم وسيأتى شرحه)
- ٢ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ،
يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .
(رواه أحمد)
- ٣ — وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ » .
(رواه الحاكم)

في نصر الظالم والمظلوم

- ١ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ،
فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ فَقَالَ : تَأْخُذُونَ فَوْقَ يَدَيْهِ » .
(رواه البخارى ومسلم والترمذى ، وسيأتى شرحه)

في النهي عن إغاة الظالم

١ - روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِيَاطِلٍ لِيُدْحِضَ بِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِيءٌ مِنْ ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ »
(رواه الطبراني)

٢ - وروى عن أوس بن شرحبيل أحد بنى أشجع ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ » (رواه الطبراني)

في اغتصاب الأراضي

عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ اللَّهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » .
(رواه البخاري ومسلم)

الشرح

الظلم حرام قليله وكثيره ، وسرقة الأرض وغصبها باب من أبواب الظلم ، شبراً كان المأخوذ أو ذراعاً ، قصبة كان أونداناً ، ملكاً للأفراد أو من المنافع العامة ، لما رواه أبو يعلى بإسناد عن الحكم بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ أَخَذَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شِبْرًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحِمْلِهِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » .
فالذين يأكلون من الطرق الخاصة أو العامة في المباني أو المزارع ، أو يأخذون من جسور السكك الحديدية ، أو من شواطئ الأنهار والترع كل أولئك ظلمة غصبة .
وكذلك الذين يُغيرون معالم الضياع ، أو أراضي البناء ، ويزحزون حدودها عن أماكنها ، ليضموها إلى ملكهم من أملاك غيرهم .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ظلم مقدار شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين ، أى ألزم إنهم ذلك ، ولم يكن له مفر من عقابه ؛ فليس معنى التطويق أن يجعل

ذلك طوقاً له يوم القيامة يحيط بعنقه ، وأن يكلف نقل تراب ذلك الشبر من سبع أرضين تعذيباً له ؛ وإنما الغرض لزوم الإثم له لزوم الطوق ، وأخذ العذاب الشديد بخناقه ، وليس العقاب على سطح ما أخذه ليزرع فيه ، أو يبنى عليه فقط ، بل العقاب على ما اغتصبه بالغاً في جوف الأرض وطبقاتها أقصاها ؛ وهذا يفيد أن السفلى تابع للسطح كأن العلويات له ، ولذلك استنبط الفقهاء من هذا الحديث : أن من ملك ظاهر الأرض ملك باطنها بما فيه من حجارة ثابتة ، وأبنية ومعادن ، وعيون ومنايع ، وغير ذلك .

وله أن ينزل بالحفر ما شاء ما لم يضر بحيرانه ، فإنه لا ضرر في هذا الدين ولا ضرار ؛ وله أن يمنع من يريد حفر بئر أو سرداب تحت أرضه يسلكه ، أو يسير فيه عربات أو قطارات ، وكذلك له منع الأنابيب وأسلاك البرق والكهرباء أن تمتد تحت ملكه .

والمراد بالأرضين هنا طبقات الأرض السبع التي نبه إليها القرآن قال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) . وليعلم القارى أن الاعتداء على الحدود كثيراً ما سبب مشا كل خطرة ، وقضايا عديدة ، بل كثيراً ما أريق في دماء ، وأنفقت في سبيله خزائن الأموال ؛ فلو أن الناس عملوا بهذا الحديث ، ووقف كل عند حده ، ما وقعنا في هذه البلايا ، بل لأرحنا الحكومة ، وخففنا عن مصلحة المساحة ، ولم نثقل عبء المالية بما تنفقه من مئات الآلاف في سبيل إقامة الأعلام الحديدية ، بل كنا نقتصد ذلك من هذا الباب لينفق في أبواب أخرى ، كتمهيد الطرق ، وشق الترع ، وإقامة السدود والقناطر ، وردم البرك ، وغير ذلك مما يساعد على تنمية الثروة ، ويخفف عن الفلاح عبأه .

وبعد : فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وفي الدنيا نزاع وعداوة ، ومتلفة وخسارة ، والطمع غبّة الندم ، فلا تدنس نفسك الطاهرة برجسه ، ولا تفسد أرضك بشبهه ، فتنابها الأمراض الزراعية ، ويرسل الله عليها من جنوده الخفية ، فإذا بالثمر قليل ذاهب بالبركة ، وقليل في عفة ، خير من كثير في نهمة .

(الأدب النبوي الحديث ٢٧)

حديث في التحلل من المظالم في الدنيا

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ
أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ » . (رواه البخارى)

الشرح

ما أجمل العدل ، وإيتاء كل ذى حق حقه ! وما أحسن الوثام يجمع شمل المسلمين ،
ويقوى رابطتهم ، ويشد أواصر وحدتهم ! .

وما أجدرهم أن يصدروا فى أعمالهم عن حب يتبادلونه ، وإخلاص يفيض عليهم هناءة
وسعادة ! وما أشقاهم إذا لبسوا ثياب النمر ، واضطبعوا بالآحن والبغضاء ، واستشعروا
الغل والضغن ، كل يبغى الشر لأخيه ، ويود لو اتهم ما فى يده ، وأودى بطارفه وتالده ،
واستأثردون الآخر بالخير ، ومرافق الحياة .

ماذا يرجو الظالم من ظلمه ؟ وماذا يرتجى لماقبتة ؟ وما الذى أعده يوم يقتص منه ،
ويؤخذ للعظوم بحقه ؟ أن غره إقبال الأيام ، وابتسام الدهر له ، فليحذر تقلباته فإنها
شديدة قاسية ، ولئن اغتر بقوة جسمه ، وامتداد سلطانه ، فسيذوق لطفيانه وتجيده مرارة
الصاب والعلقم (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . يومَ بعضُ الظالمِ
على يديه ويقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً) ؟ .

هنالك تنجاب عن العيون الغشاوة ، ويتفرق عن العاصى الأصحاب والأنصار ،
ولا يبقى إلا ما أسلف من خير أو شر ، ويؤخذ بيد العاصى فينصب على رؤوس الناس ،
وينادى مناد : هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت ، فيأتون فيقول الرب :

آت هؤلاء حقوقهم ، فيقول : يارب فنيب الدنيا فمن أين أوتيتهم ؟

فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة ، فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته . وقد روى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أَتَذَرُونَ مَنْ أُنْفِسُ ؟ قَالُوا : الْمُنْفِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ أُنْفِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » . (رواه الإمام مسلم)

الأدب النبوي — الحديث ١٢٠

حديث في دعوة المظلوم

عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال : « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » . (رواه البخارى ومسلم)

الشرح

هذا الحديث قطعة من وصية وصّى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (معاذ بن جبل) حين بعثه إلى اليمن سنة عشر قاضياً عليها أو والياً قال له :

« إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَاهِيَةَ أَمْوَالِهِمْ (نفائسها) واتق دعوة المظلوم . الخ » .

دعوة المظلوم على ظالمه دعوة حقة ، وإنها لا تنصّر من ظالمه (وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ؛ وهى دعوة حارة سخنت من نار الغضب ، صادرة من أعماق النفس ، فكانت فى السماء متصعدة ، شأن الهواء إذا سخن ، بعيدة المدى ، شأن القنبلة إذا أطلقت من مدفع بعيد النور ، فما تزال تشق أجواز الفضاء لا يحجبها حاجب ،

ولا يردّها صاد ، حتى تصل إلى السماء فتخترق طبقاتها ، وتنفذ من بنائها ، فيتقبّأها ربها برداً وسلاماً لمن دعا ، وناراً وجحيماً لمن ظلمه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم استنبط هذا المعنى من قوله تعالى : (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً) .

فالدعوة مشروعة بقوله : إلا من ظلم ، ومقبولة مسموعة بتعقيب الاستثناء بقوله : وكان الله سميعاً عليماً .

وقد جاء في حديث رواه أحمد بسند حسن : قبول دعوة المظلوم وإن كان فاجراً ، وأن فجوره على نفسه لا يوقف دون دعوته .

وجاء في الحديث الصحيح : « أَنَّ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ ، إِمَّا أَنْ يُجَابَ الدَّاعِيَ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَإِمَّا أَنْ يُدْخَرَ لَهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلُهُ » .

فلا تعجب إذا لم تجب إلى عين ما طلبت وقد ظلمت ، فإن الله عليم حكيم ، قد تقتضى حكمته عدم الإجابة إلى ما سألت ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم واليه وعامله وبعيثة وقاضيه من دعوة المظلوم ، وأمره أن يتخذ من دونها وقاية ، وما اتقاؤها إلا بتجنب أسبابها .

فلا يظلم أحداً ممن تحت ولايته في نفسه بإيذاء ، أو في ماله بانتقاص كأن يأخذ في الزكاة كرائم أمواله ، ونجائب حيوانه دون الوسط من ذلك ، فيوغر صدره ، ويسلّ لسانه ، ويبعث بدعوة المظلوم من قلبه ، ولا يحاجي في عمله الأغنياء ، ويعرض عن الفقراء ، ولا يعفر عن ظالم لمكانة أو وجاهة ، ولا يقبل رشوة أو شفاعة في باطل .

وإن كان قاضياً تجنب المحاباة ، ووزع بالمساواة ، وأخذ للضعيف من القوى ، وتحرى الحق في قضائه ، والعدل في أحكامه ، إلى غير ذلك من آداب الولاية والقضاة ، فليكن قاضى الجنة ، والإمام العادل الذى يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

فيأبى القضاة والولاة ، ويأبىها الحكام والرعاة ، خوّلكم الله رعيته ، وجعل تحت أيديكم

حقوقاً وأمانات ، فاتقوا الله فيها ، وأدوا الأمانات لأهلها ، ولا تنقصوا أحداً حقه ، ولا تبخسوا عاملاً عمله ، ولا تسلبوا مجداً أمله .

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

واعلموا أن من ظلمتم أوخذتم ، فالله ناصره ومعينه ، وولييه وكفيله ، وإنه ليقبل دعوته ، ومستمع شكايته ، ومنتمم ممن ظلمه ، وآخذ له منه حقه ، فاتقوا الديان ، واحذروا النكال (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) .

(الأدب النبوى — الحديث ٢٦)

حديث فى نصر الظالم والمظلوم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قالوا : يا رسول الله ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ » .
(رواه البخارى ومسلم والترمذى)

الشرح

لقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بنصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ؛ فالْمَظْلُوم فى حقه أوماله نمنع عنه الظلم ، ونرفع عنه الحيف بكل مانستطيع من الوسائل ، فإن كان الكلام مجدياً فى إرعاء الظالم عن ظلمه آثرناه ، وإن كان القضاء هو السبيل لاسترداد الحق المسلوب ساعدناه بالمال رسماً للقضايا ، وأجرأ للمحامين ، ومكافأة للخبراء . وإن كان لا يرتدع عن بغيه إلا بشكايته على صفحات الجرائد ، أرهفنا له القلم ، وسودنا له الصحف .

وإن كان غشوماً لا تردعه إلا القوة سلكتنا سبيلها ، والمضطر يركب الصعاب ، والقصد أن تكون يدنا إلى يد المظلوم حتى يأخذ حقه ، ويبرد غضبه ، وتطمئن نفسه .

أما نصر الظالم فربما خلته مساعدته على ظلمه ، أو مجاراته في عدوانه ، كما كان العرب يصنعون في عهد الجاهلية .

إذا أنا لم أنصر أخى وهو ظالم على القوم لم أنصر أخى حين يظلم
وكما يصنع أولو العصبية والجهالة ، والمتهاكون في الحزبية ، ينصرون شيعتهم بالحق
وبالباطل ، وليس نصر الظالم ذلك ، بل تمنعه من الظلم ، فإن أراد استلاب مال أخذت
بيديه ، وإن أراد اغتصاب حق حلت بينه وبينه ، وإن أراد البطش ببرىء ضربت على
يده إن كانت يدك أقوى منها .

وتراعى الحكمة في النعم لئلا ينقلب ظالماً لك ، وقد يكون شديد النكاية وأنت
ضعيف الزمالة ؛ فإن كانت النصيحة رادعة سلكت سبيلها ، فإن لم تكن مجدية فاستعن عليه
بمن هو أعلى منه ممن يخشى بأسه ، أو يرهب سلطانه ، أو يرجو مصلحته عنده ، فإن لم
يكن في ذلك رادع ، فاستعمل معه القوة ما قدرت عليه ، حتى يعود إلى حظيرة الحق ،
ويستقيم على النهج .

وإنما سمي الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك نصراً وإعانة مع أنه معاكسة وعداوة ،
لأن ظلمه إضرار بنفسه في حياته الحاضرة ، يعرضها للعقوبات القضائية ، ويشين سمعتها
بين البرية ، ويدنسها بالعيش من الحرام واستمراء الحقوق ، ويعرضها لعقوبة الله في الحياة
الآخرة ، بل في الحياة الدنيا .

(وَلَنَذِيْقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

فمن أراد قتل نفس عدواناً وظلماً إذا أرخيت له العنان حتى ارتكب هذا الجرم
الكبير عرض نفسه للقصاص ، واستلاب الحياة ، فأعقب ذكرى سيئة ، وتاريخاً أسود ،
ورملاً زوجة ، ويتم ولده ، وأساء إلى أسرته ، وكان مثلاً سيئاً في الباقيين .

فإذا منعه من جرمه ، وضربت بسيفك على يده ، حفظت له الحياة ، وأبقيت على
ذكراه ، وأنجيت أهله وولده ، وحفظت الشرف على أسرته ، فكان ذلك نصراً مؤزرًا ،
بل كنت له الصديق في ثوب العدو ، والحريص على خيره في لباس الراغب في شره .

فيايها المسلم لا تجعل للظلم بين المسلمين وجوداً ، ولا ترفيهم ظلماً أو مظلوماً ، بل اعمل على تمتع كل امرئ بحقوقه وطمانينته على شئونه ، وآثر الحق والخير ، وإن أغضبت الجهول به ؛ فإنه لك بعد نعم الشكور .

« والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

(الأدب النبوي — الحديث ٢٤)

الموضوعات

١ — ذكر ما قيل في الظلم أو الجور أو البغى

الظلم أو الجور أو البغى ، هو الخروج عن العدل في جميع الأمور ، كأخذ الأموال بغير حق ، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق والواجبات ، وتعدى حدود الله .

وهو أشد وطأة من الوباء ، وأكثر هولاً من الحريق ، وأعظم تخريباً من السيل ، وهو أذل للنفوس من ذل السؤال ؛ فهو أقوى أسباب انحلال الأمم وخذلانها ؛ فإذا فشا في قوم ضعفت نفوسهم ، ومرضت قلوبهم ، واتخذوا الباطل ديدنهم ، ومحاربة الحق شعارهم ، فمنعوا الزكاة المفروضة ، وبخلوا بالمساواة السنوية ، وبخسوا المكيال والميزان ، وحاربوا الملك الديان ، بأكلام الريا ، وقبضوا أيديهم عن المكارم ، وعمت فيهم الأيمان الكاذبة ، والحيل في البيع ، والخداع والتزوير والنسق في المعاملة ، والمكر والحيلة في القضاء والاقتضاء .

فمن كان متصفاً بهذه الصفات الدنيئة ، فبطن الأرض خير له من ظهرها .
وقد حرمه الله في جميع الشرائع والأديان لأنه مفسد للمجتمع الإنساني ، مقوّض لنظام العمران ، مبطل للمدنية والحضارة .

وإليك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الصالحاء والعلماء والأدباء في تقبيح الظلم والابتعاد عنه .

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية سبق ذكرها مع بيان تفسيرها وشرحها .

أقوال الصالحاء والعلماء والأدباء

١ — كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس ،
فاذكر قدرة الله عليك .

٢ — قال بعض الصالحاء : إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك .

٣ — وقال آخر : من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه . ومن طال تعديه ،
كثرت أعاديته .

٤ — قال الإمام علي كرم الله وجهه في شعره المشهور :

أما والله إن الظلم شوم	ولا زال المسمى هو الظلوم
إلى الديان يوم الدين تمضي	وعند الله تجتمع الخسوم
سنعلم في الحساب إذا التقينا	غداً عند المليك من الملوم
سنقطع اللذازة عن أناس	من الدنيا وتنقطع الهموم

٥ — وقال أحد الشعراء الأدباء :

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلم	وأنكر بكل ما يستطاع
يوم يأتي الحساب ما للظلم	(من حيم ولا شفيع يطاع)

٦ — وقال آخر :

وما من يد إلا ويد الله فوقها	وما ظالم إلا سيدي بأظلم

٧ — وقال غيره :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً	فالظلم آخره يفضي إلى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

٨ — وكتب أبو العتاهية إلى هارون الرشيد على حائط السجن :

أما والله إن الظلم لو لم	وما زال الظلوم هو المظلوم

إلى ديان يوم الدين تمضى وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا غداً عند المليك من الظلوم
فلما بلغ الرشيد بكى بكاء شديداً ، ودعا أبا العتاهية فاستحله ، ووهبه ألف دينار ،
وأطلقه من السجن .

٩- وقال بعضهم: الظلم كمين في النفس ، تظهره القوة ، ويخفيه الضعف .

وجاء في الأمثال :

الظلم مرتعه وخيم ، أى عاقبته مذمومة وسيئة
ظلم الأقارب أشد مضضاً من وقع السيف .
البغى آخر مدة القوم ؟ أى الظلم إذا امتد مداه أذن بانقراض مدة القوم الظالمين .
كلام لين ، وظلم بين : يضرب لمن يكون قوله طيباً ، وفعله خبيثاً مذموماً .
مسير بيت الظالم خراب : يضرب في بيان عاقبة الظلم .
مال الناس كناس : يضرب لمن يسلب أموال الناس ظلماً بغير حق .
من أعان ظالماً ساءله الله عليه : يضرب لانهى عن معاونة الظالم .
دولة الظلم لا تدوم . الظلم ساعة والعدل إلى قيام الساعة .

والظلم من شيم النفوس فإن تجدد ذاعفة فلغلة لا يظلم
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
وقال أحد الشعراء في ذم (الباغى^(١) الظالم) .

يأبىها الباغى وظالم غيره ما أنت إلا كالسبى لنفسه
فعداً سياتى الظالمون جزاءهم وينال كل ما جناه برمسه

زعم الذى ظلم العباد بأنه هو عادل تباً له فى زعمه
الظلم دولته تدوم لساعة والمرء مجزى ببعقى ظلمه

(١) على الباغى تدور الدوائر .

ياظالمًا كُفَّ المظالم قد كفى ولتتق المظلوم في دعواته
ضجت ملائكة السماء لربها لأنين مظلوم وطول شكاته
فليصبر المظلوم عما ناله فالله ينصره برغم ظلومه
والظالمون وإن تنهى أمرهم فالحق مصليهم بنار جهنمه

كوم النور (يوسف عبد الخالق سلامه)

مجلة الاسلام العدد ٣١ من السنة الرابعة

٢ - الظلم مؤذن بخراب العمران

اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها ، لما يروونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها ، انقبضت أيديهم عن السعى في ذلك ، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى في الاكتساب .

فإذا كان الاعتداء عامًا في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك ، لذهابه بالآمال جملةً بدخوله من جميع أبوابها .

وإن كان الاعتداء يسيرًا كان الانقباض عن الكسب على نسبته . والعمران ووفوره ونفاق (رواج) أسواقه إنما هو بالأعمال ، وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين ؛ فإذا قعد الناس عن المعاش ، وانقبضت أيديهم عن المكاسب ، كسدت أسواق العمران ، وانتقضت الأحوال ، وابتدع الناس (تفرقوا وفروا) في الآفاق من غير تلك الإيالة (الأودية) في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها ، نفخ ساكن القطر ، وخلت دياره ، أواخرت أمصاره ، وأختل باختلاله ، حال الدولة والسلطان ، لما أنها صورة للعمران ، تفسد بفساد مادتها ضرورة .

وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن (الموبدان) صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام ، وما عرض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان (اليوم) حين سمع الملك أصواتها ، وسأله عن فهم كلامها ؟ فقال له :

إن (يوماً ذكراً) يروم الاقتران (بيومة أنثى) ، وإنها شرطت عليه عشرين قرية في الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال لها :

إن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية ، وهذا أسهل مرام ، فتنبه الملك من غفاته وخلص (بالموبدان) ، وسأله عن مراده فقال له :

أيها الملك ، إن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية ، والقيام لله بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل إلى العمارة إلا بالعدل ، والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب ، وجعل له قياً وهو الملك ، وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع ، فانتزعتها من أربابها وعمّارها ، وهم أرباب الخراج ، ومن تؤخذ منهم الأموال ، وأقطمتها الحاشية والخدم وأهل البطالة ، فتركوا العمارة ، والنظر في العواقب ، وما يصالح الضياع ، وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ، ووقع الحيف على من بغى من أرباب الخراج ، وعمّار الضياع ، فاجلوا عن ضياعهم ، وخلوا ديارهم ، وآووا إلى ماتعم من الضياع فسكنوها فقلت العمارة ، وخربت الضياع ، وقلت الأموال ، وهلك الجنود والرعية ، وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها .

فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه ، وانتزعت الضياع من أيدي الخاصة ، وردت على أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا في العمارة ، وقوى من ضعف منهم ، فعمرت الأرض ، وأخصبت البلاد ، وكثرت الأموال عند جباة الخراج ، وقويت الجنود ، وقطعت مواد الأعداء ، وشجنت الثغور ، وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه ، فحسن أيامه ، وانتظم ملكه .

فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران ، وأن عائدة الخراب في العمران على الدولة الفساد والانتقاض .

ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدول التي هي بها ، ولم يقع فيها خراب .

واعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المعصر ، فلما

كان المصر كبيراً ، وعمرانه كثيراً ، وأحواله متسعة بما لا ينحصر ، كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً .

لأن النقص إنما يقع بالتدريج ، فإذا خفي بكثرة الأحوال ، واتساع الأعمال في المصر ، لم يظهر أثره إلا بعد حين . وقد تذهب الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المصر وتجيء الدولة الأخرى فترفعه بجدها ، وتجبر النقص الذي كان خفياً فيه فلا يكاد يشعر به إلا أن ذلك في الأقل النادر .

والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران من الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمناه ، ووباله عائد على الدولة .

ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور ، بل الظلم أعم من ذلك ، وكل من أخذ ملك أحد ، أو غصبه في عمله ، أو طالبه بغير حق ، أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه .

لخباة الأموال بغير حقها ظلمة ، والمعتدون عليها ظلمة ، والمنتهبون لها ظلمة ، والممانعون لحقوق الناس ظلمة ، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة ، ووبال ذلك كله على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهاب الآمال من أهله .

واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم ، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه ، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري ، وهي الحكمة العامة المرعية للشارع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة : من حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدّى إليه من تخريب العمران ، كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهماً ، وأدلتة من القرآن والسنة كثيرة أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصص^(١) .

ولو كان كل واحد قادراً عليه لوضع بإزائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بإزاء غيره من المفسدات للنوع التي يقدر كل واحد على اقترافه من الزنا والقتل والسكر .

(١) انظر الآيات القرآنية التي وردت في الظلم وأسبابه وذمه وتحريمه وعقوبته في الدنيا والآخرة .

ألا إن الظلم لا يُقدّم عليه إلا من يقدر عليه ، لأنه إنما يقع من أهل القدرة والسلطان
فبوانع في ذمه ، وتكرير الوعيد فيه ، عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه من نفسه ،
(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) .

ومن أشد الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال ، وتسخير الرعايا بغير
حق ؛ وذلك أن الأعمال من قبيل المتمولات ، لأن الرزق والكسب إنما هو رقيم
أعمال أهل العمران ؛ فإذا نسيهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم ، بل
لامكاسب لهم سواها .

فإن الرعية المعتملين في العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من أعمالهم ذلك ، فإذا كلفوا
العمل في غير شأنهم ، واتخذوا سخريا (سخرة) في معاشهم بكل كسبهم ، واغتصبوا قيمة
عملهم ذلك ، وهو متمولهم ، دخل عليهم الضرر ، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم ،
بل هو معاشهم بالجملة .

وإن تكرر ذلك عليهم أفسد آمالهم في العمارة ، وقعدوا عن السعى فيهم جملة ، فأدى
ذلك إلى انتقاض العمران وتخريبه ، والله سبحانه وتعالى أعلم ومنه التوفيق .

(مراجع البيان من ١٤٩ - ١٥٢)

٣ - إن الله يمهّل الظالم ويمدده

من حكم الله السامية ، التي تدق أحيانا حتى ليقف العقل البشري منها موقف الحيرة
والتشكك ، أنه سبحانه وتعالى لا يأخذ المجرم أو الظالم بمجرد وقوعه في الإثم ، بل يمهّله
ويعدده له كي يتدبر عواقب إثمه وما يحجره على المجتمع من ويلات ونكبات (قُلْ مَنْ كَانَ
فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) فإذا تاب وأناب ، وعاد إلى جادة الحق والصواب ،
لطف الله به في العقاب ؛ أما إذا استمرّ الجريمة ، ومضى في طريقها قدماً لا يلوى على شيء ،
أخذ الله أخذ عزيز مقتدر ، فأصبح عبرة لمن يعتبر .

وإن كثيرين من الناس لتقسو قلوبهم ، فتصبح كاللحجارة أو أشد قسوة ، وتتضاءل
ضماؤهم حتى لتصبح إلى الموت أقرب منها إلى الحياة ، فلا يحسن هؤلاء أن الله غافل عما
يعملون ، إنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا ينزل العقوبة إلا بقدر ،
وفي وقتها المناسب .

وفي كل يوم يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، فهل من مدكر ؟ وهل من مزدجر ؟

إنه لمن اليسير جداً أن نصل بين اليوم والأمس ، لنرى كيف ينحط الإنسان من عالٍ إلى الدرك الأسفل إذا لم يتخذ له من غيره رادعاً ، ومن ضميره وازعاً .
الأساس في ١٩/٩/١٩٤٧

٤ — خطبة في النهي عن الظلم

في دماء الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم

الحمد لله الذي أعدَّ لمن أطاعه نعيماً مقيماً ، وأعدَّ لمن عصاه ناراً تلظى وعذاباً أليماً .
(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، نهى عن الظلم ولعن الظالمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله جاءنا بالدين الحق المبين ؛ اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .
أيها المسلم : إن خالقت العظيم ، القاهر فوق عباده ، حرّم الظلم على نفسه ، وجعله محرماً على خلقه ، كما ورد في الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى :

« يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا »
وقد لعن الله الظالمين في كثير من كتابه الكريم ، وأوعدهم سوء المصير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) وقال : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا) .

والظلم : هو الاعتداء على دماء الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وحرمانهم من حقوقهم .
فلا يحل لمسلم أن يتعمد قتل أخيه ظمناً وعدواناً ، ومن فعل ذلك فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعدَّ له عذاباً عظيماً .

ويأويل من غضب عليه الملك الجبار ولعنه ! فإنه لا ريب يكون من الخاسرين المهالكين . ولا يحل لمسلم أن يؤذي أخاه بالضرب والصفع وغير ذلك ، ومن فعل ذلك فإنه يجعل لغيره حقوقاً في عنقه يتقاضاها من حسناته في الآخرة إن لم يعف عنه في الدنيا .

ولا يحل لمسلم أن يهتك عرض أخيه بأن يعتدى على عفاف أهله ، أو يرميه بفاحشة وهو برىء منها ، أو يشهد عليه زوراً ، ومن يفعل ذلك فإنه يجنى جنابةً عظيمةً ، ويقترب إنما مبيناً ، وجزاءه الخزي في الدنيا ، والعذاب الشديد يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولا يحل لمسلم أن يعتدى على أموال الناس فيأكلها بالباطل ، ويستولى عليها بالحيلة والزور ، أو بالبطش والاعتداء ؛ ومن يفعل ذلك فإنه يصلى ناراً حاميةً في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، يوم ترد فيه المظالم ، فيقول الله الحكم العدل للظالم : أو ما عليك من حقوق سلبتها ، وأموال أكلتها ظلماً وعدواناً ، وزوراً وبهتاناً ؟ فلا يجد هناك ما لا يسد به عن نفسه ، ولا يجد صاحباً ولا حميلاً يسد عنه ، فيؤخذ من حسناته أو يضاعف له في سيئاته ، ثم يكب على وجهه في النار ، وذلك جزاء الظالمين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَعَرَضُهُ وَمَالُهُ ، فَمَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَظَلَمَ النَّاسَ ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . (من حديث رواه مسلم)

أيها الظالم لا تغتر بقوتك وجاهك وسلطانك ، فتظلم الضعفاء ، فإن ربك لبالمرصاد ، وهو سبحانه يسمع دعاء المظلومين ، ويستجيب لهم ، ويفضض على الظالمين وينتقم منهم ، وإن بطشه أشد ، وإن عذابه لواقع ، ماله من دافع ، فلا يغني عنك يامسكين جاهك وسلطانك من الله شيئاً ، واعتبر بمن كان قبلك من الذين كانوا أكثر منك قوةً ، وأشد بطشاً ، فقد أهلكهم الله بظلمهم ، وما كان لهم من دون الله ولي ولا نصير .

أيها الظالم : انظر إلى آثار الظلم السيئة بين الأمم والأفراد ؛ فكم دمر الظلم دوراً مشيدةً عامرةً ، وكم ذهب بأنعم عظيمة فاخرة ، وكم أضاع مجدداً كبيراً ، وكم أهلك أمماً ذات بأس شديد وسلطان ، ولم يبق لهم إلا ذكرى مقرونة بالسخط واللعن من الله والملائكة والناس أجمعين .

فمالك لا تزعجك الزواجر ، ومالك لا تؤثر في نفسك عظات الزمان ، ومالك لا تخاف سوء العاقبة والمصير؟ .

فانتق الله في نفسك ، وأد للناس ما عليك من الحقوق ، قبل أن تندم حين لا ينفع الندم ، وإياك والظلم ، فإن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون .

الحديث — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْقَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

(رواه أحمد والترمذى وغيرهما)

من مجموعة الخطب المنبرية لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيري

خطبة أخرى في الظلم وسوء عاقبته

الحمد لله الذى بين لنا أن العدل خير ما تناس به البلاد ، وتصلح به أحوال العباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله هو يجرى الظالمين بظلمهم ، ويكافئ المجدين على جدهم ، وينيلهم ثمرة جهادهم ، إن بذلوا أنفسهم وأموالهم فى خدمة الحق ، والدفاع عن حقوق الناس .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، حكم بالعدل والحق ، والأناة والرفق ؛ فما أجل حكمه وما أعدل ، وما أبعد عن الجور والجبروت !

وما أفضل أصحابه الذين ساروا فى طريقه ، وسلكوا بسلوكه ، حتى دانت لهم الأمم فى مشارق الأرض ومغاربها بفضل العدل واتباع الحق .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فإن للحق هيمنة على النفوس ، وللين سلطاناً على القلوب ، وإن من أحسنت إليه أطاعك وأحبك ، ومن أسأت إليه مقتك وكرهك ، ولو كان أقرب الناس إليك ، وأعظمهم منزلة لديك ؛ فكيف إذا لم يكن من بنى جنسك ، أو كان من وطن غير وطنك ، أو كان دونك فى المعرفة والعلم ، أو الخلق والفهم ، لاشك أن المقت يكون له شديداً والسخط عليه يكون عظيماً .

يرحمك الله يا عمر ! أيقظت العدل ليحكم بين الناس ، فنمت آمناً مطمئناً ، غير محتاج

إلى مرهفات السيوف ، ولا إلى كثرة الجنود ؛ فوفرت على المسلمين النفوس المديدة ، وعلى خزيتهم الأموال الكثيرة .

أما أنت يا حجاج فأثرت الظلم على العدل ، والباطل على الحق ، واغتصبت حقوق الضعفاء ، وأرقت دماء الأبرياء ، وملأت السجون بالمظلومين ، والكثير من البررة المتقين ، ولجعت الناس في شبابهم ؛ كما أخذت كثيراً من أموالهم ، وسلبتهم أعز الأشياء عليهم : حريتهم فيما يقولون أو يكتبون ، ويخطبون أو يؤلفون .

فرقت أموال المسلمين في قبيلتك وأعوانك ، وأبعدت عن الوظائف من لم يكن من أقربائك وأصحابك ، ولم يسل من شرك إلا القليل ، فأصبحت كل نفس تضر لك بين جنبها عداوة ، وتننى لك أعظم مصيبة ونكابة ، فأكثرت من الحرس والأجناد ، وأرسلت الجواسيس في كل مجتمع وناد ، وبذلت كثيراً من الأموال للخونة اللثام ، ليجشوا عن الأشراف الأطهار ، الذين لا يرضون إلا الحق ، ويأبون إلا الإنصاف والعدل ، حتى إذا تمكنت منهم طوحت رؤوسهم ، وأزهقت أرواحهم ، أوزججت بهم في سجن مظلم (زنزانة ضيقة) ، لا يبصرون فيها شعاع الشمس ، ولا يتنسمون فيها رائحة الحرية .

كل ذلك كان منك يا حجاجنا ، يا أعنى العتاة ، وأطغى الطغاة ، فهل أغنت عنك سيوفك وجيوشك وأعوانك وجواسيسك ، ومكرك وحيك ؟ هل أغنت عنك تلك الدماء البريئة ، والأرواح الشهيذة .

كلّاً لم يغن عنك من الله شيئاً ، بل أخذك الله أخذ عزيز مقتدر ، وسلب عنك ذلك الملك ، وحرّمك من ذلك العرش ، وانتقم للمظلومين المستضعفين .

فيا ظالماً أقلع عن ظلمك ، واعلم أن الله لك بالمرصاد (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) .

روى مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشَّعَّ فَإِنَّ الشَّعَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » .
(من كتاب إصلاح الوعظ الديني ص ١٥٥ باختصار)

خطبة أخرى في الظلم

الحمد لله الذى حرّم الظلم على نفسه حتى لا يظلم إنساناً إنسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذى لم يبيع بلا حق دمّاً ولا عرضاً ولا مالاً لكائن من كان ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، الذى علمنا الإنصاف فى كل شأن ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن كمد لهم يعدلون .

أما بعد — فيا عبد الله ، لقد وصل الناس اليوم فى ظلم بعضهم إلى حد تقصر عن شرح بعضه العبارات ، حتى لو حكى لمن لم يره بادر إلى الجزم بأنه من المفتريات ، حتى يجمع إلى غضب الخلق ، غضب مولانا فاطر السموات ، ذلك أنهم لا يتهيبون ظلماً إلا إذا رأوا بجانبه عصا القانون ، فإذا أمن أحدهم بطش ذلك القانون بطش هو بطشة الجبارين ؛ فإذا اشتت نفسه شتم امرئ شتمه مهما كان نقيّ العرض والدين ، وإذا اشتت ضربه مال عليه ميلةً لارحة معها بالشمال واليمين ، وإذا همّت بأكل ماله نفذ ذلك بغاية الجراءة وبطرق شتى مسلّكها يهون ، وإن سوّات له أن يطعن فى حسب امرئ أو نسبه طعن طعنًا تقشعر منه الأبدان ، وإذا زينت له أن يقتله متعمداً أراق دمه فى الحال غير ندمان .

وهكذا لا يقوم بنفسه لون من الظلم إلا سارع إلى فعله مسارعة الشجعان ، كأنه لا يؤمن بالموت ولا بالبعث ، ولا بأن الجزاء على الأعمال سيكون .

كل الناس اليوم هكذا ، إلا من عصمه الله من العباد الصادقين ، ولذلك ترى نيران الظلم تشتعل فى أنحاء الدنيا بحالة تزعج الناظرين .

لتعلم أيها المؤمن أن حياتك هذه لا بد أن تنتهى ولو عشت آلاف السنين ، ولا بد أن تحيا حياة أخرى فيها يخذل الظالمون ، وينتصر عليهم المظلومون ، حياة يحيا فيها بالظلم فتؤخذ حقوق المظلّمين مما له من حسنات ، فإن لم تف حسناته أخذ من سيئات المظلومين بقدر حقوقهم ، وطرحت عليه تلك السيئات ، وليس بعد ذلك إلا النار التى لا يتحملها هر بل ولا الأرض والسموات ، يرى فيها من ضروب الآلام ، وصنوف العذاب ما لا يتصوره المتصورون ، فليتماد على ظلمه من رضى لنفسه أن يكون فى ظلمات يوم القيامة أينما سار .

ومن سرّه أن تفرق حسناته ، وتضاف إليه أوزار فوق ماله من أوزار ، فليتماد وهو يعلم أن النار مأواه وفوق النار غضب الجبار ؛ ومن أشفق على نفسه من ذلك فليحذر ظلم العباد كما يحذره الفضلاء المنصفون .

(حديث) : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخارى ومسلم)
(حديث آخر)

« أَتَذَرُونَ مِنَ الْمُنْفِلِسِ ؟ قَالُوا : الْمُنْفِلِسُ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ فِينَا وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُنْفِلِسَ مِنَ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيَمُوتُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » . (رواه مسلم والترمذى)
(من ديوان منتهى آمال الخطباء)

هـ - إخفاء الجريمة والتستر على المجرم ظلم

إن إخفاء الجريمة والتستر على المجرمين من أكبر أنواع الإجرام ، وأشنع ضروب الآثام ، لما يترتب عليها من إفلات المجرمين من العقاص والتشجيع على انتشار الفساد في البلاد ، وإخلال الأمن العام ، وفقد الطمأنينة على الأنفس والأموال ؛ وبذلك تعم القوضى ، ويضطرب حبل العمل ، ويتسرب إلى النفوس اليأس ، ولا يبقى لأحد أمل في نتائج مجهوداته ، ومقترف هذه الجريمة يعاون المجرم على ارتكاب الآثام ، وكان الأجدر به أن يحول بينه وبين اقتراف جريمته عملاً بقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

كذلك مقترف هذه الجريمة غاش لأولى الأمر الذين يجب الإخلاص لهم ، ومعاونتهم على أداء واجبهم على أكل وجه بالضرب على أيدي المفسدين ، كما أنه غاش للأمة بإخفاء الجرائم والتستر على من يعبثون في حقوقها فساداً ؛ ولما كان الإخلاص لأولى الأمر ، ولسائر المسلمين عظيم الأثر في حياة الأمة جعله الله الدين كله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قُلْنَا لِمَنْ ؟ قال : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

والنصيحة : الإخلاص والصدق والعمل والمشورة . والتستر على المجرمين يقيم البرهان على أنه خلو من هذه الصفات الجميلة التي يجب أن يتحلى بها المرء ليقوم بنصيبه في هذه الحياة خير قيام ؛ وجاء في الأمثال : التستر على اللص لص مثله ؛ ومن يخفي الجرائم ويعاون مرتكبها بسترهم ، يفكك وحدة الأمة ، ويعمل على فصم عرا اتحادها .

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا : يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَأَنْ تَذَاهَبُوا بَرِّدَادُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَيَكْرَهُ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ » .

وقال تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ) .

وذلك الذى يخفى الجرائم ويستر المجرمين يخالف قول الرسول العظيم : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » .

فكان واجبا عليه أن يمنع المجرم باليد أو اللسان ، ولكنه لم يعمل ذلك ، وتستره عليه دل على أنه لم يغير بقلبه ، بل هو راض عن الجريمة ، معاون للمجرم ، ولم يبذل له النصيحة الواجبة ، ولم ينه عن المنكر ، وعدم التناهى عن المنكر ومصادقة المجرمين سبب في غضب الله تعالى ولعنته .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّفْسَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ : يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْفَدِّ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيْدَهُ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » ثم قال :

(لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ
نَاعَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)
ثم قال : « كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى
لَايِ الظَّالِمِ ، وَلَتَطْرُقَنَّ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا ، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ، أَوْ لَيَقْصُرَنَّ
لَهُ بِقُلُوبٍ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لَيَنْمَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ، ثُمَّ يَقْدِرُونَ
عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا فَلَمْ يُغَيِّرُوا ، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْصَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْثَغَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ
فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ » .

وإخفاء الجريمة والتستر على المجرم يكون ممنوعاً إذا كانت الجريمة اجتماعية يقع ضررها
على الأمة كالقتل والسرقة ، أو الائتثار بما يضر الأمة في أخلاقها أو نظمها أو غيرها .

أما إذا كانت الجريمة فردية كشرب الخمر خفية ، فالمطلوب حينئذ التستر على المجرم
والنصح له بالابتعاد عن معاودة الجريمة .

كان لعقبة بن عامر الصباحي الجليل رضى الله عنه جيران يشربون الخمر ، فنهاهم كاتبه
عن ذلك فلم ينتهوا ، فأخبر عقبة بذلك وقال : سأدعو لهم الشرط . فقال عقبة له : دعهم ،
ثم كلمه سره أخرى فقال : ويحك دعهم فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءَدَةً » .

٦ - المحاباة ظلم عظيم

لتجدن أشد الناس ضرراً بأنفسهم وبالمجتمع الإنساني ، أولئك الذين عرفوا بالمحاباة
والمحسوبية ، وطبعت نفوسهم على حبها فكانت لهم خلقاً ذمياً ، ووصفاً معروفاً لثباً ،
أولئك هم الضارون بآمتهم ، الخائنون الغاشون .

فأى ضرر أو خيانة أو غش أبلغ من تقديم غير المستحق على المستحق ؟ أو أخذ درجة المستحق وإعطائها لغير المستحق ؟ أى ضرر أو خيانة أو غش أبلغ من ترجيح الجهلاء على على الأكفاء ، وإعانة الأقوياء على الضعفاء ، والأعداء على الأصدقاء ، إلى غير ذلك من مجلبات الشر والبلاء ؟.

هذا الخلق الذميم ، إذا وجد في شخص مهما كانت رتبته ودرجته أُلجأ إلى الظلم ، والظالم غير محبوب ، وإلى خلف الوعد ، والخلف في وعده غير محمود ، وإن شئت فقل : المحاباة هي عين الظلم والظلم الجسيم .

والمحابى وإن كان يجد له ناصراً ومعيناً ، فيكون ذلك من طريق الخوف منه والنفاق والملتق والرياء له .

وإن أسباب المحاباة كثيرة : كالقراية أو الصحبة أو الدين أو المحبة القلبية ، أو الاتحاد في الحزبية أو الرشوة ، وهي بنسب العطية ؛ لأنها الملجأ القوي إلى المحاباة ، خصوصاً إذا كان المحابى لا يخاف رقيباً ، ولا يخشى عقاباً ، فإنه يحابى ويكثر من ذلك طمعاً في المال ، وحباً في الذهب والفضة ، ولو ضاعت بلاده ، أو محقت دولته ، نعوذ بالله من شر ذلك .

يحابى الرجل واحداً من أسرته ، ويساعده على ارتكاب المحرمات ، ويعينه على أكل أموال اليتامى ظلماً ، فيختل لذلك نظام الأسرة ، ويوجد بين أفرادها الشقاق والخصام ، والبغض والعدا ، فتصرف الأعضاء ، ويشتد البلاء ، ولو أحسن صنماً لعدل بينهم ، حتى يعيشوا إخواناً ، ويموتوا أحياناً .

أعرف رجلاً قسم أمواله بين أولاده ، وميز واحداً منهم بشئ قليل لأنه يحبسه ، ففضب الباقون ، واشتعلت في صدورهم نيران الحسد ، فأهانوا أباهم بالضرب المؤلم ، وأذاقوا أخاهم مرارة الموت ، فزجوا في السجن ، وذاقوا سوء العذاب ، وكادت الأسرة أن تمحى ، ولولا المحاباة لما كان شئ من ذلك .

وأعرف شخصاً آخر تعين وصياً على أولاد أخيه ، فتهبهم وأكل أموالهم ، وضع حقوقهم ، وكان أحد أسرته مساعداً ومعيناً له على ظلمه ، فنسب في تفريق الأسرة إلى

قسمين : قسم يحابى المجرم الظالم ، وقسم يناهضه للحصول على حقوق اليتامى المساكين حتى أثبت لهم حقوقهم ، ورجع الفريق الأول خائباً مخذولاً .
ومثل الرجل فى أمرته ، مثل الرئيس مع مرءوسيه ، والحاكم مع رعيته ، والقاضى مع المتحاكين إليه .

فالحاكم يجب عليه أن يعدل فى أحكامه ، ويسوى بين الناس فى مناصبهم ودرجاتهم وما يستحقونه بحسب القانون ، وما تؤهلهم له كفاياتهم واستعدادهم ، دون محاباة ولا تحيز لفريق دون آخر ، ولا مراعاة لوساطة أو قرابة أو ماشابه ذلك ، مما هو ظلم وعسف يؤدى إلى فساد الأخلاق ، وتفشى داء الكسل والانتكال على الجاه والسلطان والنفوذ ؛ فتتصرف النفوس من أجل ذلك عن العمل الجدى المثمر ، وتصد عن سبيل الجد والسعى والاجتهاد . وبذلك تفسد أداة الحكومة وتتعطل الأعمال ، لأن من يتشكلون على جاه أو وساطة يشعرون بأنهم مفضلون فى أخذ المناصب على غيرهم ، فيكسلون ولا يقومون بعمالهم خير قيام والمثل الأعلى للحاكم يكون فى المحافظة على مال الدولة ، ومنع أقاربه من الانتفاع بجاهه إحقاقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ، ويجب عليه أن يختار للوظائف العامة أكفأ أبناء الشعب ، وأكملهم أخلاقاً ، دون التفات إلى الوساطة والزلفى ؛ ويتسنى له ذلك بوضع قواعد عادلة للتوظيف والترقية ، وتقرير المكافآت لمن يمتاز منهم بإخلاصه ونشاطه وتفانيه فى العمل ؛ فإذا لم توضع هذه القواعد العادلة ، ولم تراع الأمة فى اختيار رجالها الكفاية والاستعداد والنبوغ ، أوشأ فيها داء الوساطة والمحسوبية ، تغلب ذوو الشفاعة على ذوي الكفاية ، واختل ميزان العدالة ، وعمّ الظلم ، وانتشر فى جميع مرافق الحياة ، وأخذ مقاليد الأمور من لا يحسنون القيام بها ، ولا يستطيعون الاضطلاع بأعبائها ، وحيل بين ذوي العبقریات ، ومأمم جديرون به من تولّى المناصب ، وتدير شئون الحكم ، فتختل أمور الدولة .

أما القاضى المؤتمن على العدل ، وعلى حقوق الناس ، فمن الواجب أن يكون أنبل الناس خلقاً ، وأطهرهم نفساً ، وأعظمهم يداً ، وأذكاهم عقلاً ، ضماناً للعدل ، وإصلاحاً لنظام المجتمع .

وإذا نظر الإنسان إلى الأمم الراقية السعيدة وجدها بعيدة عن التجاوى ، طاهرة من

هذا الخلق السيئ ؟ لا تسند الوظائف ولا المناصب لغير أهلها ، ولا تعطى القوس غير باريتها . فما للناس لا يتركون هذا الخلق السيئ القبيح ؟ خلق المحاباة والمحسوية ، ويقدمون المعارف على الجاهل ، والذكي على الغبي ، والحق على المبطل ، حتى تسير الأعمال في طريق التقدم والارتقاء ؛ وبذلك يسعدون وتسعد أمتهم ، ويرتقون وترتقى بلادهم .

ومن أحسن حياة ، وأطيب عيشاً ، وأخلد ذكرى ، ممن استمسك بالعدل ، واعتصم بالعفة والنزاهة ، وكان من الذين لا يعرفون المحاباة ولا المحسوية ، ولا يحبون من وصفوا بها ؟

عصمنا الله من المحاباة وضررها حتى تسعد أمتنا ، وترقى بلادنا ، ونكون من المفلحين الفائزين ، ومن عباد الله الخالصين .

٧ — المحسوية خطر اجتماعي عظيم

المحسوية داء وبيل انتشر في هذا الزمن ، وفي هذا البلد ، ويستحيل استئصاله تماماً لامن هذا البلد ، ولا من أى بلد في العالم ، وإن كان انتشاره بالطبع يقل كلما تقدمت البلاد ، وارتقت ارتقاء صحيحاً يحمل الأسبقية في الوظائف ، والتقدم فيها للعواهب والمهم والكفايات (المؤهلات) والأخلاق ، لالتملق والرياء والنفاق .

غير أن القدر نفسه قلما يترك المحسوب الحيل على الغارب ، وهو عدل إلهي لا تقل الشواهد عليه ؛ فكثيراً ما نرى الكبير والوزير يشكر المحسوب ، ويغضب عليه أحياناً ، بل وتجده ينتقل من وظيفته الكبيرة ، أو يحال إلى المعاش ، أو يمرض أو يموت ، فيقع المحسوب (الذي تعين أو ارتقى بدون وجه حق) يقع في حيص بيص ، ويرى ألواناً من الذل والعذاب والبهدة والاضطهاد ، ما كان أغناه عنها لو تحصن بالعمل والجد والعفة والنزاهة ، بدل المحسوية والتزلف ، وبذل ماء الحياء .

وإليك أسواق مثلاً وقع بالفعل لأحد صغار الموظفين وهو : أنه قضى في الخدمة ١٦ سنة في الدرجة الثامنة ، إلى أن وصل إلى نهايتها وهي عشرة جنهيات ، وجميع التقارير المقدمة من حضرات رؤسائه تشهد له بالكفاءة والاستقامة والإخلاص في عمله ، ولذلك طلبت الإدارات المتعاقبة التابع لها هذا الموظف إنشاء درجة سابعة في الميزانيات المتوالية

منذ سبع سنوات لترقيته إليها ، وقد صدق على الميزانية الأخيرة في السنة الماضية ممتدداً فيها الدرجة السابقة لوظيفته ، وترقيته إليها شخصياً ، حمد الله على ذلك ، ولبت منتظراً منحه إياها .

وبينما هو في الانتظار إذ فوجئُ بنجر أدهشه وأضاع صوابه وهو : أن الوزارة التابع لها هذا الموظف المسكين أخذت الدرجة السابعة المسجلة في الميزانية باسمه وأعطتها لشخص آخر من المحاسب ، وحرمت صاحبها منها ، ولهذا ضاع حق هذا الموظف المسكين ، الذي قضى ست عشرة سنة في الخدمة بكل إخلاص وأمانة ، وقضى فيها حياته وشبابه وصحته ، وكان ينتظر بفارغ الصبر أن يصل هذا المظلوم ، إلى حقه المهضوم ؛ ولما كاد أن يصل إليه خانه سوء الحظ والبخت المشؤم ، فاعتصب منه ، وأعطى إلى غيره ، مع أنه ذو عائلة كبيرة : (زوجة وسبعة أولاد وأختين عانتين) .

فماذا يقول الإنسان في هذا الحادث الغريب ؟ يقول : ما أظلم الإنسان للإنسان ، ولعن الله المحسوبة ؛ وهل يجوز شرعاً وقانوناً أن يكون الظلم وهضم الحقوق مكافأة لمن يبذل جهوده ووقته في سبيل الخدمة العامة ؟ وهل يجوز شرعاً وقانوناً أن يؤخذ حق الشخص المستحق ، ويعطى لغيره نظير المحسوبة ؟

ولما رفع هذا الموظف المسكين شكواه إلى أولى الأمر قيل : إنه حقيقةً مظلوم ، ووعد بإعطائه الدرجة عند وجودها . وهيئات ههنا لما يوعدون . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

وهذه الحادثة ذكرتني بحادثة مثلها وقعت لي منذ كنت كاتباً بوزارة المعارف العمومية وهي : أنني لبثت في الخدمة بدون ترقية مدة عشر سنوات ، ولما أراد الله وتأثر أمام اسمي في جدول الترقيات من الوزير نفسه بمنحى الدرجة المطلوبة ، وهنئت بها فعلاً أخذها مساعدة السكرتير العام وأعطاهم لأحد الكتبة محاسبه وحرمني منها ، فقلت في نفسي : حقيقةً (إنها للمحسوبين لا للموعدين) وكل شيء بإرادة الله وقدره مؤمناً بأن كل شيء بقضاء وقدر فيظهر أن الظلم كان منتشراً من عهد بعيد ، ولا يزال منتشراً في كثير من الجهات ، ولكنه لا يظهر إلا على أيدي أناس خصهم الله بهذه الرذيلة ، كما خص بعض الحيوانات

الكاسرة بأساحة للإيذاء والضرر ، والله في خلقه شئون ؛ وجاء في الأثر : « طُوبَى لِمَنْ أُجْرِيَتْ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أُجْرِيَتْ الشَّرُّ عَلَى يَدَيْهِ » .

وثيقة تاريخية

(عقوبة النفي المؤبد للمحسوبة)

تلقينا من الأستاذ السعيد حبيب الكلمة الآتية :

استرعى التفات المصريين والأجانب قول جلالة الملك في خطاب إسناد الوزارة لدولة أحمد ماهر باشا : (رحمه الله) إنه يحرص على أن تقوم في مصر وزارة تسوى بين المصريين في الحقوق والواجبات .

ومن قبل استرعت نظري وثيقة تاريخية من عهد المغفور له محمد علي باشا منشىً مصر الحديث ، تتضمن نفس المعنى ، وتزيد عليه تقرير عقوبة النفي المؤبد حتى الموت ، للوساطة والمحسوبة ، وإني أبادر بنشر هذه الوثيقة من غير تعليق تحيةً منى لمولاي الملك ، وإذاعة لتقاليد العرش الموروثة في حكم البلاد :

دقترقم ٥٤ مية تركى .

نص الوثيقة التركية رقم ٥٢٨ .

بتاريخ ٣ محرم سنة ١٢٥١ .

أمر من الجنب العالى :

إلى مختار بك .

لقد سمعت أن بعض المشايخ القاطنين بقسمى الجيزة والقليوبية قد حدث بينهم وبين أكابر الموظفين بالبلاد المحروسة تعارف ومودة ، فيأخذون من أولئك الأكابر كتب توصية كلما مستهم الحاجة لينالوا مساعدة من نظار الأقسام فيرسلونها إليهم ، وإن هذه العادة قد بدأت تسرى بين العلماء وغيرهم على هذه الوتيرة ، فما أن هذه الحوادث قد جرت في تلك المديرية ، وقد لاحظت أنها ستسرى بطبيعة الحال إلى المديرية الأخرى ، بل إلى سائر الدواوين المصرية ، فأصدروا قرارات من الآن وأذيعوها ، ليعلم كل أحد أن من أتاه كتاب كهذا أيا كان شخصه ، ولم يرسله إلينا مباشرةً ، فإني مرسله إلى (أبى قير) ، وتاركة

يضع فيه حتى يموت ، وذلك ليكون عبرة لغيره ، ولا يعودوا لمثل هذا العمل ، ليعلموا ذلك وليأخذوا حذرهم .

حاشية : أعلنوا أيضاً أن الذى يعطى مثل هذه التوصيات سينفى إلى (أبى قير) مؤبداً إن كان من الموظفين ، وأما إن كان من العلماء ، فسينفى إلى المحلة مؤبداً أيضاً .

الأمرام فى ١٩٤٤/١٠/٢٥

٨ - الإسلام رحمة للإنسانية وحفظ لها

والشعوب الظالمة شقاء ومعول الخراب والفناء

دين الإسلام ، هو الدين الذى جاء رحمة للعالمين ، فحفظ الدماء ، وصان الحقوق والأعراض والأموال ، وراعى حرمة الجوار ، واحترام كل عهد وذمة ، ورفع راية الأمن والسلام ، ليعيش الناس فى اطمئنان وسلام ، غرس فى الناس أصول الفضائل ، وعلمهم الحرية والإخاء ، والمساواة والعزة والإياء ، وطبعهم على غرار من الخلق الكامل ، ورسم لهم نهجاً قويمًا من السير الحميد ، والاستقامة العادلة .

وبين لهم أن الناس جميعاً خلقوا أحراراً لأب واحد (آدم) وأم واحدة (حواء) ، والكل من تراب ، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، فقال لهم : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

وأوصاهم بأنه ليس لأحد أن يحتكم فى دماء الناس وأعراضهم إلا بحق الله وفى حدود شريعته ، وليس لملك أن يذل شعباً ضعيفاً مستكيناً ، فيفتك بالنفوس الحرة البريثة ، لالشى سوى أنها عزلاء ، عاجزة عن رد عدوان الطاغية الغشوم .

فنبئت فيهم نابتة الديمقراطية الحققة التى طبعت لهم الملوك والأقوال بطابع من التسامح والخضوع والطاعة ، والتخلى عن جبروت الملك وغل السلطان إلى رحاب العدالة والرحمة ، والنظر فى مصالح الشعوب ورعاية الأمم ، والسهرة على جلب الخير والعطمانينة فى جميع الربوع .

هذا هو الدين الإسلامى الذى جاء به سيد البشر كافة للناس ، رحمة بالإنسانية ، وخيراً للشعوب ؛ والذى تطالعنا به الحوادث فى كل يوم من أعمال الدول المتحضرة ، التى تزعم

أنها ملكت ناصية المدنية ، وتربعت على عروش الرحمة والإنسانية ، وهي من كل ذلك براء .

هذا الذى تعرضه علينا الحوادث من قتل ونهب وسلب وتدمير وتخريب يقوم دليلاً لا يمحتمل النقص على وحشية هذه الدول الظالمة التى لا يلد لها إلا سفك الدماء ، وهتك الأعراض ، وإماتة النفوس ، وشن الغارات فى كل مكان تشمل السكينة ، ويحوطه الأمان فأين آثار هذه المدنية التى يتشددون بها ، والرحمة التى يكذبون على الناس من وراءها وتحت شعارها ؟ وأين الديمقراطية التى يمدعون بها العالم الإسلامى ، ويدعون بأنهم اتخذوها مبدأ تسيير عليه فى سياسة الشعوب ، ورعاية الأمم الضعيفة ، وحفظ الحرية ، والمساواة بين الأفراد والجماعات ؟

هذا وأيم الله ادعاء باطل ، وكذب وبهتان ، ومصير هذه الدول إلى الزوال والانقراض والقضاء تصديقاً لقوله تعالى : (وَنَلِكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا).

٩ — مثال الاضطهاد فى نظارة المعارف

من أغرب ماجرى اليوم فى نظارة المعارف أن المستر « دانلوب » نيرون العصر فى مصر دخل على حضرة الشاب المذهب الفاضل على أفندى فسكرى كاتب حكيمباشى المعارف ، فبعد أن سأل أسئلة تافهة لا تختص بوظيفته قال له : لماذا هذه الشبايبك مقفلة ؟

فأجابه : لأن الهواء شديد !

فقال له بعظمته المعتادة ، وخفخفته المشهورة : « افتحها فى الحال » .

وكانت الشبايبك عالية لا يبلغها الإنسان إلا بسلم ، فرد عليه هذا المصرى الذى أوقعه

سوء حظه تحت رياسة هذا المستبد : « إن هذا ليس من عملى بل من عمل الفراش » .

فرأى المستر أن هذا الجواب يشف عن شم ورفعة نفس ، وأنه لا يليق بالاحتلال أن

يستخدم فى وظائف الحكومة المصرية رجلاً ذا شم ورفعة ، فأمر برفته فى الحال .

فاقرأوا أيها المصريون وتبصروا .

ملحوظة : هذه الحادثة وقعت لى فعلاً حينما كنت موظفاً بوزارة المعارف ، ولكن لم أرفق فيها ، لأن الله المنتقم الجبار أظهر الحق على يدوزير المعارف المرحوم (غفرى باشا) . وانتقلت بعدها بأمره إلى دارالكتب الخديوية بوظيفة كاتب ثان ، وكان ذلك باب فتوح وارتقاء لى فى هذه الدار حتى وصلت إلى وظيفة الأمين الأول ، ورئيس المغيرين فى الدرجة الرابعة بها ، وبلغت ماهيتى ٥١ جنياً ، والحمد لله على ما أعطى ومنح ، ثم أحلت بعد ذلك إلى المعاش فى سبتمبر سنة ١٩٣٤ . وخرجت منها مرفوع الرأس محبوباً من رؤسائى والمؤسسين والله الحمد

وقد ذكرت هذه الحادثة للعظة والاعتبار والتاريخ أيضاً لا للشهرة والافتخا .

١٠- الاضطهاد والحرية

اللقاء العدد ٤٦٥ فى ٢٤ إبريل سنة ١٩٠١

يقول الفلاسفة : « الحرية بنت الاضطهاد » يعنى أن أنوارها لا تشرق على الأمم إلا إذا لاقت من الاضطهاد ما يدفعها إلى التمسك بها ، والمطالبة بثمارها الياينة . وقد أثبتت حوادث التاريخ أن الأمم التى نالت الحرية والاستقلال بعد الاضطهاد والظلم والاستعباد كانت أشد محافظة على الأوطان من الأمم التى نشأت فى مهد الحرية ، ودرجت فى ربوعها .

وهذا أمر طبيعى محقق فى الأفراد كما هو واقع فى الشعوب ، فترى الفرد المجتهد الذى يجمع ماله بكده وجده يحافظ عليه ويعرف مقدار نعمة الله عليه ، أكثر من يرث المال عن أبيه وأهله .

وقد أراد الله لمصر أن تتمتع بالحرية الصحيحة ، والاستقلال المنشود ، بعد أن جهلت مقام الوطن وحرمة البلاد ، فسلط عليها من المضطهدين لبنيا من يثون فيها بالرغم عنها روح الجد والاجتهاد والنشاط ، ويدفعون بها فى سبيل المجد الباذخ ، والشرف الأتيل . أصيب رجال المعارف بمضطهد دونه كل المضطهدين ، ورئيس على مثله تعلم « نيرون » فنون الجور والاعتساف ، ولعل هذا لأنهم رجال العلم والعرفان ، وأساتذة أبناء الزمان ،

يجب أن يكون نصيبهم من مدرسى الحرية ومعلميها بطرق الاضطهاد والاستبداد أكثر من سواهم .

من كان يظن من المصريين أن فتى تعلم العلم ليعلم ، وينفع نفسه ووطنه ودينه ، وقضى زهرة الحياة ، وأعوام القوة والشباب في التحصيل ، مؤملاً بلوغ مكانة في بلاده يسعد بها ويشرف ، يعامل يوماً ما معاملة السيد للعبد ، والتخديم للخادم ؟ بل من كان يخطر على باله أن الذى يذكر رئيسه بأنه لم يعين في وظيفته ليغلق باباً ، أو يقفل شباكاً ، يعاقب بالرفق والحرمان ! لم يكن في الحسبان ما كان ، ولكن هل هذا الاضطهاد الممقوت آفة كبرى على البلاد ؟

إنه إذا كان آفة على الأفراد فليس بآفة على أمة تريد الحياة العالية ، وتطلب النعم الخالد ، وتعرف أن الأمم الناهضة الحية تنتفع بكل شئ ومن كل حادث حتى من المصائب نعم لو عرفت الأمة المصرية لانتفعت من اضطهاد الانكليز أى انتفاع .

فهذه مدارسها الأهلية في أشد الحاجات للمدرسين الأكفاء ، وهذه الأقاليم والجهات لاتزال في عوز المدارس والمكاتب ، فلم لا يكون المضطهدون من رجال المعارف أساتذة في مدارس الأهالي ، ومرشدين إلى الهدى في الحركة العلمية الحديثة ؟

اضطهد أيها السكرتير الإنكليزى رجال المعارف ما استطعت ، فإنك باضطهادك تظهر للأمة ذوى الشمم منهم ، وتربى مبادئ الاستقلال الذاتى عندهم جميعاً .

اضطهدهم وبالغ في الاضطهاد ، فإنما أنت تعرفهم باضطهادك أن الأجنبي مهما كانت جنسيته لا يكون شفوفاً على أبناء البلاد ، ولا يسمى لخيرهم أبداً .

اضطهدهم وتفنن في اضطهادك لهم ، فإنما أنت الممثل للاحتلال في قوته وطغيانه . اضطهدهم ليعلم العالمون أنك ماوليت عليهم إلا لتحكم فيهم بسيف الجور والعدوان ، وتقتل في نفوس الناشئين حب الوطن ومبادئ الشرف والشمم ورفعة النفس .

اضطهدهم فإنك من حيث لاتدرى تخدم مبدأ الوطنية المقدس الذى نحن خدمته الصادقون ، وتساعدنا من حيث لاتريد على نوال الحرية المبتغاة ، والاستقلال المحبوب .

١١ - أمثلة في الظلم

١ - حكاية عن عواقب الظلم الوحشية

فيما نقل من الآثار الإسرائيلية في زمن موسى عليه السلام : أن رجلاً من ضعفاء بني إسرائيل كانت له عائلة ، وكان صياداً يصطاد السمك ، وتعت منه أطفاله وزوجته . فخرج يوماً للصيد ، فوقع في شبكته سمكة كبيرة ، ففرح بها وأخذها ومضى إلى السوق لبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله ، فلقبه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأخذها منه ، فغضب الصياد ، فرفع خشبة كانت في يده فضرب بها على رأس الصياد ضربةً موجعةً ، وأخذ السمكة منه غصباً بلائمن . فدعا الصياد عليه فقال : إلهي خلقتني ضعيفاً ، وخلقته قوياً عنيفاً ، فخذ لي حق مني عاجلاً فقد ظلمني ، ولا صبر لي إلى الآخرة .

ثم انطلق الغاصب بالسمكة إلى زوجته وأمرها أن تشويها ، فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها فتحت السمكة فاهها ، ونكرت أصبعه نكرتةً أطارت بها قراره ، فقام وشكا إلى الطبيب ألم يده وماحلت به ، فراها فقال :

دواؤها أن تقطع الأصبع لثلاث يسرى إلى بقية الكف فقطع أصبعه ، فانتقل الوجع الشديد إلى اليد وزاد الألم ، وارتعدت من خوفه فرائضه ، فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد من المعصم لثلاث يسرى إلى الساعد فقطعها ، فانتقل الألم إلى الساعد ، فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى الذي يليه .

فخرج هائماً على وجهه مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به ، فرأى شجرةً فقصدها فأخذه النوم فنام تحتها ، فرأى في منامه قائلاً يقول له :

يامسكين إلى كم تقطع أعضائك ؟ امض إلى خصمك الذي ظلمته وأرضه ، فانتبه من النوم ، وفكر في أمره فقال : ضربت الصياد وأخذت السمكة منه غصباً وظلماً ، وهي التي نكرت يدي فصاحبها خصمي .

فدخل المدينة وسأل عنه فوجده ، فوقع بين يديه ، والتمس منه الإقالة مما جناه ، ودفع إليه شيئاً من ماله ، وتاب من فعله ، فرضى عنه خصمه الصياد ، فسكن في الحال ألمه ،

وبات على فراشه تلك الليلة ، وأقلع عن خطيئته ، ونام على توبة خالصة .
ففي اليوم الثاني تداركه الله بلطفه ورحمته ، فرد يده كما كانت ، ونزل الوحي على موسى عليه السلام :
يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أَرْضَى خصمه لعذبتَه مهما امتدت به حياته .
(المقدد الفريد للملك السعيد)

٢ - أعظم مثل من القرآن

في بيان الظلم وسوء عاقبته

يضرب الله لنا مثلاً في القرآن الكريم في بيان الظلم وسوء عاقبته في قصة قارون ،
وهي تتلخص فيما يأتي :

قال الله عز وجل : (إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ .
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ .
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حِظٍّ عَظِيمٍ .
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ .
نَحْسَفُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ .
وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ .
تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .
(القصص من ٧٦ إلى ٨٣)

المعنى — إن قارون كان من قوم موسى ، أى من أتباع موسى ، فظلمهم لما ولاء عليهم فرعون ، وقد منحه الله من الكنوز ما لو حلت مفاتيحه لثقلت على جماعة من الأقوياء إذ قال له قومه لا تفرح ، أى لا تبطر بنعمة الله عليك ؛ إن الله لا يحب الفرحين بزخارف الدنيا ، واطلب فيما أعطاك الله من الغنى ما تستحق به النجاة في الدار الآخرة ، ولا تنس أن تحصل على نصيبك من العيش في الدنيا ، لتستعين به على تكاليف الحياة ، لا كما يفعل بعض الذين يزعمون الزهد ويعيشون عالة على غيرهم ، وأحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك ، ولا تطلب الفساد في الأرض ، فإنك خلقت لتعمرها إن الله لا يحب المفسدين .

قال قارون : إنما أوتيت هذا المال بعم خصصت له . قيل : إنه كان على علم تام بالكيمياء يحول الرصاص فضة ، والنحاس ذهباً ، فأنكر بهذا أن المال من فضل الله ، ذا كراً أنه استحقه بما عنده من العلم ، فاجترأ على نكران إحسان الله إليه ، ولم يحسب حين اجترائه أن الله قادر على أخذه وأخذ ماله .

ولذا قال الله تعالى ما معناه : ألم يعلم هذا المغرور أن الله قد أهلك من أهل القرون الأولى من هم أشد منه قوة وأكثر جمعاً ، والله عليم بجرائم المجرمين ، ليس في حاجة لأن يسألهم ماذا يعملون ؟ .

نخرج على قومه في زينته ، أى في موكبه وحوله حاشيته ، فتمنى الذين يطلبون الحياة الدنيا مثل ما عنده من المال ، وقال الذين أوتوا العلم لهؤلاء : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ، ولا يوفق لهذا العمل إلا من صبر في الدنيا على الطاعة ، وعن شهوات نفسه ؛ وقد أراد الله أن يبين لهؤلاء المغترين أن الننى بيده ، وأنه سبحانه القابض الباسط القادر المقتدر ، نحسف بقارون وبداره الأرض ، فما كان له أعوان ينصرونه ، وما كان هو نفسه من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنّوا أن يكونوا مثله يقولون : إن الله ييسط الرزق لمن يشاء ، ويقتدر على من يشاء لحكمة يعلمها ، فلو لا أن من الله علينا برحمته لنحسف بنا ، فإنه لا يفلح الكافرون ، ثم يقول الله تعالى ذكره في باب الوعظ والاعتبار : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون تكبراً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

فمن هذه القصة القرآنية يعلم أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن الذين يظلمون الناس ، ويتكبرون عليهم لكثرة أموالهم ، ويعملون في الأرض الفساد تكون عاقبتهم والعياذ بالله سيئة ، ويخسف الله بهم وبأموالهم وديارهم الأرض .

٣ - ظلم أحد الملوك

حكى أن بعض الملوك أغار على قرية فنهبا ، وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم ، وقتل فيهم بالقتل وغيره ، فخرجت عجوز من بعض الدور ، فنظرت إليه وقالت :

يا ويلك من ديان يوم الدين إذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء ! .

فقال لها : يا عجوز أما سمعت في القرآن : (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) ؟

ف قالت له : يا هذا أنسيت الآية الأخرى التي بعدها في السورة : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) .

فقال الملك : ردوا عليهم جميع أموالهم فردوه ، ثم قال : يا عجوز كيف الخلاص ؟ قالت : لا تنقط ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده .

٤ - من ذاق ألم الظلم وهو صغير لا يلجأ إليه وهو كبير

كان لكسرى مؤدب نال على يديه التقدم والرفق ، ف ضرب كسرى ذات يوم في غير ذنب ليدوق ألم الظلم فلا يظلم وهو ملك ، فتألم كسرى وبحث عن ذنب فعله فلم يجد .

فلما تولى الملك أمر بإحضار مؤدبه فجاء ، فقال له كسرى : في يوم كذا ضربتني ولا ذنب لي . فقال : أيها الملك العادل : رأيت أنك ستكون ملكاً ذا قول نافذ ، وحكم مسموع فأردت أن أذيقك ألم الظلم وأنت صغير حتى لا تلجأ إليه وأنت كبير ، فتعيش آمناً مطمئناً فشكر له عمله ، ورفع منزلته .

هـ - الحجاج الثقفي أظلم الظالمين

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، قد جمع خلافاً قبيحةً ظاهرةً وباطنةً ، من دمامة الصورة ، وقبح المنظر ، وقساوة القلب ، وشراسة الأخلاق ، وغلظة الطبع ، وقلة الدين ، والإقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة المكرمة ، وهدم الكعبة ورمها بالمنجنيق ، وبالنفط والنار ، وأباح الحرم فسفك وهتك .

وقد قيل : إن في مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ، ومات في حبوسه (سجونته) ثمانية عشر ألف إنسان ، وكان لا يرجو عفو الله ، ولا يتوقع خيره ، وكأنه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة بسور من فظاظة وغلظة وقساوة (كما جاء ذكره في كتاب العقد الفريد للملك السعيد ص ١١٨) .

وقد وقعت منه حادثة فظيعة (لسعيد بن جبير) رحمه الله ، تدل على مبلغ جبروته وظلمه وحبه لسفك الدماء ، ويصح أن يقال عنه : إنه أظلم الظالمين ، وهي تلخص فيما يأتي :
كان سعيد بن جبير — وهو أحد أعلام التابعين — المتشيعين للإمام علي رضي الله عنه ، رجلاً صالحاً تقياً زاهداً ، يسكن في صومعة في الجبل يتعبد فيها ، وكانت الوحوش تأتي ليلاً وتحيط بصومعته لحراسته ؛ فلما علم الحجاج بأمره أرسل في طلبه بمض جنوده فقالوا له : لا يمكننا الوصول إليه لأنه في صومعة بعيدة في الجبل تحيط بها الوحوش ، ونخشى إن توجهنا إليه أن نفترسنا الوحوش ، فأغلظ عليهم في الطلب ؛ فلما ذهبوا إلى إحضاره صباحاً قال لهم سعيد : الحجاج اليوم قاتل .

فلما حضر أمامه ، قال له الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت شقي بن كسير . قال : بلى كانت أمي أعلم باسمي منك . قال : شقيت أمك وشقيت أنت . قال : الغيب يعلمه الله . قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً تطفى . قال : لو علمت أن ذلك بيدك لأتخذتك إلهاً . قال : فما قولك في محمد ؟ قال : نبي الرحمة وإمام الهدى .

قال : فما قولك في علي ؟ أهو في الجنة أم هو في النار ؟ قال : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها . قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأبهم

أعجب إليك؟ قال : أرضاهم لخالقي . قال : فأيهم أرضى للخالق؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم . قال : أحب أن تصدقنى . قال : إن لم أجبك فلن أكذبك . قال : فما تقول فى عبد الملك بن مروان؟ قال : فمالك تسألنى عن امرئ أنت واحد من ذنوبه ، قال : فما بالك لم تضحك؟ قال : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين ، والطين تأكله النار . قال : فما بالناس نضحك؟ قال : لم تستو القلوب .

ثم أمر الحجاج بالؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه ، فقال سعيد : إن كنت جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا فزعزة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير فى شئ جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا .

ثم دعا الحجاج بالعود والنائى ، فلما ضرب العود ونفخ فى النائى بكى سعيد فقال : ما بيكيك ، هو اللعب؟ قال سعيد : هو الحزن ؛ أما النفخ فذكرنى يوماً عظيماً يوم النفخ فى الصور ، وأما العود فشجرة قطعت فى غير حق . قال الحجاج : ويحك ياسعيد . قال : لاويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة . قال الحجاج : اختر قتلة أقتلك بها؟ قال : اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها يوم القيامة . قال : أفتريد أن أغفر عنك؟ قال : إن كان العفو من الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك فردده إليه وقال : ما أضحكك؟ قال : عجبت من جراتك على الله ، وحلم الله عليك . فأمر بالنطم والسيف وقال : اقتلوه .

فقال سعيد : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . قال : وجهوا به لغير القبلة . قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله .

قال : كبوه على وجهه . قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . قال الحجاج : اذبحوه . قال سعيد : أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله ، خذها منى حتى تلقانى بها يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بمدى ؛ وكان قتله فى شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة (بواسطة) . وقيل : إن الحجاج هو الذى قتله بيده ، ولما قتله لم يزل دمه يغلى حتى ملا

أثواب الحجاج ؛ فلما رأى ذلك هاله وأفرعه حتى منع عنه النوم ، ولم يعيش بعد ذلك إلا مدة قليلة .

ومات الحجاج بعده في رمضان من السنة المذكورة ، ولم يسلطه الله على قتل أحد إلى أن مات . (عن معجم الأدباء لياقوت)

٦ - الملك الظالم والمرأة الضعيفة المتظلمة

حكى الياقبي : أن امرأة من بني إسرائيل كان لها دار بجوار الملك وقصره ، وكانت تشين القصر ، وكلما رام الملك منها أن تبيع الدار أبت أن تبيع منه ، فخرجت المرأة في سفر فأمر الملك بهدمها ؛ فلما جاءت المرأة من السفر قالت : من هدم دارى ؟ قيل لها : الملك . فرضت طرفها إلى السماء وقالت : إلهى وسيدى ومولاي ، غبت أنا وأنت حاضر ، للضعيف معين ، والمظلوم ناصر .

ثم جلست فخرج الملك في موكبه ، فلما نظر إليها قال لها : ما تنتظرين ؟

قالت : أنتظر خراب قصرك ، فهزأ بقولها وضحك منها .

فلما جنّ عليه الليل خسف به وبقصره ، ووجد على بعض حيطان القصر هذه الأبيات :

أنهزاً بالدعاء وتزدرية وما يدريك ما صنع الدعاء ؟

سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

وقد شاء الإله بما تراه فما للملك عندهم بقاء

وقيل إن سيدنا داود عليه السلام : دعا بهلاك جبار كان يظلم الناس في عصره ، فأوحى الله تعالى إليه : « يا داود إني قد قضيت عليه في سابق علمى بوقوع أمور على يديه ثم نؤاخذ به يوم القيامة ، فاصبر حتى تمضى تلك الأمور » فسكت داود عن الدعاء عليه . انتهى من مصباح الظلام . (نقلاً من كتاب المنظومة الشكرية ج ٣ ص ٢٦٤)

٧ - حكاية اخرى عن شر الجور

نقلت الرواة الثقة ، والنقلة الأثبات : أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه قال : بعث إلى أبوجعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه ، وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلاد وهم بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس .

فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلاً ، ثم القفت إلى ابن طاوس فقال له : حدثني عن أبيك ، قال : نعم ! سمعت أبي يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَمَرَكَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الْجُورَ فِي عَذْلِهِ » .

قال مالك : فضمت ثيابي مخافة أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبوجعفر فقال : عظمي يا ابن طاوس . قال : نعم . أما سمعت الله يقول :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) إلى قوله : (لِبِأْمِرٍ صَادٍ) .

قال مالك : فضمت ثيابي أيضاً مخافة أن يملأني دمه .

فأمسك المنصور ساعة ثم قال : يا ابن طاوس ، ناولني الدواة ، فأمسك ابن طاوس

ولم يناوله إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟

قال : أخشى أن تكتب بها معصية الله فأكون شريكك فيها .

فلما سمع ذلك أبوجعفر المنصور قال : قوما عني .

قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغ .

قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس بعدها فضله .

٨ - نادرة أخرى في الظلم

روى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : جلس أبى للظالم يوماً ، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً فقال : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، تدنبنى إليك فإنى مظلوم ، قد أعوزنى العدل والإنصاف .

قال من ظلمك ؟ قال : أنت ، ولست أصل إليك فأذكر حاجتى .

قال : وما يحجبك ، وقد ترى مجلسى مبذولاً !

قال : يحجبنى عنك هيبتك ، وطول لسانك ، وفصاحتك . واطراد حجتك .

فقال : فقيم ظلمتك ؟ قال : فى ضيعتى الفلانية ، أخذها وكيلك غصباً منى بغير نمن ، فإذا وجب عليها خراج أدبته باسمى لئلا يثبت لك اسم فى ملكها فيبطل ملكى ، فوكيلك يأخذ غلتها ، وأنا أؤدى خراجها ، وهذا لم يسمع بمثله فى المظالم .

فقال له محمد : هذا قول يحتاج إلى بيّنة وشهود وأشياء .

فقال له الرجل : أيؤمننى الوزير من غضبه حتى أجيب ؟

قال : نعم قد أمّنتك ، قال : البيّنة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شئ آخر ، فما معنى قولك : بيّنة وشهود وأشياء ، ماهى هذه الأشياء إلا الهى ، والحصر ، والتعطرس ، وعدولك عن العدل .

فضحك محمد وقال : قد صدقت (والبلاء موكل بالمنطق) وإنى لأرى فيك مصطنعاً ، ثم وقع له برد ضيعته ، وأن يطلق له كز^(١) حنطة ، وكز شعير ، ومائة دينار يستعين بها على قيام ضيعته ، وصيره من أصحابه .

وكان قبل أن يتوصل إلى الإنصاف وإعادة ضيعته يقال له : يا فلان كيف الناس ؟ فيقول : بشر ، بين مظلوم لا ينتصر ، وظالم لا ينصف .

فلما صار من أصحاب عبد الملك وردّ عليه ضيعته ، قال له ليلة : كيف الناس الآن ؟ قال : بخير ، قد اعتمد معهم الإنصاف ، ودفع عنهم الإجحاف ، وردت عليهم الفصوب ، وكشفت عنهم الكروب ، وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب .

(١) الكريضم الكاف : مكبال لقراق ، وستة أوفار حار ، أو هوستون قفيزا . انتهى من القاموس .

٩ — نادرة أخرى

قيل : إن يهودياً وقف لعبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين إن (ابن هرمز) نائبك قد ظلمنى ، فأنصفنى منه ، وأدقنى حلاوة العدل ، فلم يقض حاجته .
ثم عاد ووقف له مرة ثانية ، ثم عاد ووقف له مرة ثالثة فلم يلتفت إليه .
فقال اليهودى : يا أمير المؤمنين ، إنا نجد فى التوراة المنزلة على موسى كلم الله ، أن الإمام لا يكون شريكاً فى ظلم أحد ولا جوره حتى يرفع إليه ، فإذا رفع إليه ولم يغيره ، شركه فى الظلم والجور .
فلما سمع عبد الملك قوله ، فزع منه وأنفذ فى الحال إلى (ابن هرمز) وعزله ، وأخذ بحق اليهودى منه . (المقد الفريد)

١٠ — موعظة حسنة

خرج ملك ظالم مع وزيره لاستنشاق الهواء النقي بين الرياحين والأزهار ، فمرا بشجرة يبست أغصانها ، فسمعا صوت بوم تكلم أخرى ؛ فسأل الملك وزيره عن غرضها ؟ فقال له : أيها الملك الجليل ، إنها تطلب صداقها من زواجها وقدره أربعمائة قرية خربة .
فقال لها : إن دام حكم هذا الملك أعطيتك ثمانمائة قرية خربة .
فانعط الملك بهذا الكلام ، وعدل عن ظلمه ، فعمرت البلاد ، وحسنت أحوال العباد ، واستقامت الأمور .

فإن العدل أساس الملك ، وبه رقى الأم والعمران .
والبنى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

١١ — المغتصب الظالم

اغتصب بعض الأغنياء حقلاً وحيداً لامرأة فقيرة كان يحوار حديقة له فأدخله فيها ،
وخرج هذا المغتصب ذات يوم يتنزه فى حديقته ، فدخلت عليه المرأة المسكينة — وهى تحمل كيساً فارغاً — فحيتها وقالت له ، والدمع ملء عينها :
قد أتيتك يا مولاي راجية منك أن تمنحنى إحساناً ، وهو أن تأذن لى بأخذ ما يعلا
هذا الكيس تراباً من أرض أبى ؟ فأجابها الرجل بالإيجاب .

وبعد أن ملأت المرأة كيسها قالت له : هل يسمح لى سيدى بأن يعيننى على حمل هذا الكيس على ظهرى ؟

فأتى بدعوى أنه لم يتعود على مثل ذلك .

فأخذت المرأة تتوسل إليه إلخافاً حتى قبل ، ولكنه مع ذلك لم يقدر أن يرضه قدر شعرة من الأرض وقال لها وهو يلهث : يستحيل أن أقدر على ذلك أيتها المرأة ؟

فقالت له بصوت يتهدج بالأسف والحزن : إن كان هذا الكيس المملوء بالتراب يظهر لك ثقيلاً إلى هذا الحد ، فكيف نستطيع أيها الظالم أن تحمل هذه الأرض التى اغتصبتها منى ، وهى تملأ ألوف أضعاف هذا الكيس ؟ وأنشدت قول الشاعر :

يأيها الظالم فى فعله الظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى تضر المصاب وتنسى النقم ؟

كيف حالك ، يوم لا ينفعك فيه شفاعة ، ولا مال ولا بنون ، والأمر يومئذ لله ؟ فى يوم يأخذ الله للمظلوم من الظالم حقه ، يوم يجازى الله الناس على قدر أعمالهم (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، ثم أنشدت قول الشاعر :

غداً توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

كيف تجيب مولاك إذا سألك بأى حق اغتصبت حقوق الفقراء ؟ وبأية شريعة أخذت أموال الناس بالباطل . أيها المغرور بنفسك ؟ العاصى أمر ربك .

فأثر هذا الكلام فى قلب الرجل حتى فاضت عيناه من الدمع حزناً وأسفاً على ما فعل ، وبادر بإرجاع الحقل إلى صاحبه ، وتندم على ما فرط منه ، وتاب للخالق توبةً نصوحاً ، وتذكر قول الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرأ فالظلم آخره يأتيك بالنسدم

نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تتم

١٢ - مثال الاستبداد

انصف أحد الملوك بالطائف بالظلم والاستبداد برعيته ، فمر بامرأة فقيرة ترضع صبياً
يتيماً بلبن عنزتها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مجذبة ، فبقى الصبي بلا مرضعة ، فمات
نحية استبداد هذا الملك .

وشكت المرأة أمرها إلى الله ، فرمى الله الملك بقارعة فأهلكته ، ورجعت العرب
قبره جزاءً وفاقاً .

١٣ - الظلم يذهب البركة

قال ابن عباس : إن ملكاً من الملوك خرج يتعهد أمر مملكته متنكراً ، فنزل على
رجل له بقرة حلوب تحلب قدر ثلاث بقرات يومياً ، فتمعجب الملك من ذلك ، وحدثته
نفسه بأخذها . فلما كان الغد حلبت له النصف مما حلبت بالأمس .

فقال له الملك : ما بال حلبها ينقص ؟ أرعت في غير مرعاها بالأمس ؟

فقال : لا ، ولكن أظن أن ملكنا رآها أو وصله خبرها ، فهم بأخذها فنقص ابنها ،
فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة .

فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه أن لا يأخذها ، وأن لا يحسد أحداً من الرعية ، فلما كان
الغد حلبت حسب عادتها .

١٤ - متى حل الظلم بأرض زالت البركة منها

خرج كسرى أنوشروان إلى الصيد يوماً ، واعتزل عسكريه ، فعمطش فراى ضيعةً قرييةً
منه ، فقصدها حتى وقف على باب دار قوم ، وطلب منهم الماء ليشرب ، فخرجت فتاة ،
فلما رآته عادت إلى البيت مسرعة ، فقصرت قصبة سكر ومزجتها بماء ، وخرجت به
في قدح إليه .

فنظر القدح ، فراى فيه شراباً وقذى ، مشرب منه شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى آخره
وارتوى ثم قال :

نعم الماء لولا ما فيه من القذى (ماستقذره النفس) فقالت له الفتاة : أنا أقيته عمداً ، فقال لها : ولمَ فعلتِ ذلكِ ؟ فقالت :

لما رأيتك شديد العطش خشيت أن تشربه مرةً واحدةً فيضرب بك شربه . فصجبت كسرى من ذكائها وفطنتها ، ثم قال لها : كم عصرت من قصبة ؟ فقالت : عصرت فيه قصبة واحدة ، فصجبت من ذلك .

فلما مضى طلب اسم المكان ، وكان قد نسيه ، فرأى خواجه قليلاً ، فحدثته نفسه أن يزيد خواجه .

وبعد حين مرَّ بذلك المكان منفرداً ، ووقف على ذلك الباب ، وطلب الماء ليشرب فخرجت له الصبية عينها ، ورأته فعرفته ، وعادت مسرعة لتزج له الماء فأبطأت ، ولما خرجت إليه قال لها : قد أبطأت ، فقالت له : نعم ، لأنى عصرت ثلاث قصبات حتى امتلأ هذا القدح .

فقال لها : وما سبب ذلك ؟ فقالت : من تغير نية الحاكم ، فقد سمعنا أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم ، وقالت خيراتهم .

فضحك أنوشروان ، وأزال ما كان قد أضمره لهم من زيادة الخراج ، ثم تزوج بتلك الفتاة امجبه بها من فصاحتها وذكائها

١٥ - الحجاج والأعرابي « فكاهة »

انفرد الحجاج يوماً عن عسكره ، فلقي أعرابياً فقال له : يا أخا العرب كيف الحجاج ؟

فقال : ظالم غاشم . قال : هلا شكوته إلى عبد الملك بن مروان ؟

قال : أظلم وأغشم ، عليهما لعنة الله .

فبينما هو كذلك ، إذ تلاحقت به عساكره ، فعلم الأعرابي أنه الحجاج .

فقال الأعرابي : أيها الأمير السرّ الذي بيني وبينك لا تطعم عليه أحداً إلا الله .

فتبسم الحجاج وأحسن إليه وانصرف .

نكتفي بذكر هذه الأمثال ، ومن أراد المزيد فليطلع على كتابنا السميع المذهب

(الجزء الثالث) والصلاة والسلام على سيدنا محمد في المبدأ والختام .

النهي عن معاونة الظالم

قد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالابتعاد عن الإجرام ، وعن معاونة الظلمة المجرمين .
قال تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ) (القصص ١٧)
ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاونة الظالم ومساعدته على التماذى في ظلمه
قال : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا لِدُخْصٍ بِإِطْلَاقِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ » .
(رواه الطبراني والأصبهاني)
وقال أيضاً « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى خُصُومَةٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ » .
(رواه ابن ماجه والحاكم)

ومع الأسف نجد بعض المحامين (ممن لازمة ولا خلاق لهم) يدافع عن موكله وهو
يعلم أنه ظالم ، ولا حق له في دعواه ، بل ويساعده على الباطل ، بأن يخلق له من الحجج
والأسانيد ما يعزز مركزه في القضية ، ويحمله على الإتيان بشهداء الزور^(١) ، وإحضار
الشهادات والضمانات المزورة الملفقة ، ليستعين بها على خصمه في كسب دعواه ، والانتصار
عليه ، فضلاً عن أن يوحى إليه وإلى الشهداء المزورين ضرراً من الضلال ما كانوا
يعرفونها ، كل ذلك طمعاً في كسب المال ، ناسياً أو متناسياً قوله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ » .
(رواه ابن أبي الدنيا والأصفهاني)

وكثيراً ما ينتصرون بباطلهم على الحق ، فتضيع الحقوق ، ويأكلون أموال الناس
بالباطل ، ويوم القيامة يقول لهم رب العزة : (هَأَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
فَنَنْجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) . (النساء ١٠٨)
مع أن الأمانة التي يحملها المحامي عن موكله في حدود الشرع الشريف ، لا تسمح له
بأن يكون موكلاً في باطل يعلم أنه باطل ، ولا يجوز له أن يترافع ويدافع عن الظالم بغیر
وجه حق ، فإن ترافع عنه فقد شاركه في الإثم والمدوان ، وأعانه على الظلم والبهتان ،

(١) انظر كلمة صغيرة في شهادة الزور ؛ وشهداء الزور ستأتى بعد .

لأن مبرىء اللص لص ، ومجرم البرىء مجرم ، ومطلق القاتل سفاح ؛ وجاء فى الأمثال :
(من تستر على اللص فهو لص مثله) .

وأن المال الذى يأخذه منه فهو حرام ، لا يجوز له بحال من الأحوال أن يتناوله ،
ولا أن يطعم منه أولاده ، فإن طعم هذا المكسب وأطعمه إياهم ، فكأنه أعطى لهم سماً
فيأكلون فى بطونهم ناراً ، ويكون عليه الوزر والعذاب فى الدار الآخرة ، لأن المكسب
الذى يناله المحامى من التوكيل فى قضايا يعلم أن أصحابها هم الظالمون مكسب حرام ولاشك ،
لا يجوز أن يأخذه ، وهو ومال الرشوة سواء بسواء ، كل منهما مال سحت حرام مهلك .

وأما ما يكسبه المحامى الشريف النزيه من قضايا شريفة ، يعلم أن صاحبها مظلوم حقيقةً
فكسب حلال لاشبهة فيه ، يأكل منه ويطعم أولاده حلالاً طيباً ، فيزيدهم صحة وعافية ،
واستقامةً ، ونجاحاً فى مستقبلهم ، لأن الغذاء الطيب الحلال ولو كان من خبز السمير
الجاف يشرف فى صحة آكله ، ويزيده قوة وعافية واستقامةً ، بخلاف الغذاء الخبيث الحرام ،
مهما كان من أشهى الأطعمة وألذ المأكول لا يشرف فى جوف آكله ، بل يسبب له
الأمراض والعلل ، ويولد عنده سوء الأخلاق الذى يؤدى إلى الهلاك (والعياذ بالله) .

فالحذر الحذر أيها المحامون من أن تقبلوا توكيلاً عن الظالم مهما أعطاكم من المال ،
أو تزلف إليكم بمسول الأقوال .

والحذر كل الحذر من أن تستغلوا ظروف المظلوم وضعفه ، وعدم قدرته ، وترهقوه
بطلب أتعاب باهظة ، واذكروا دائماً أن عليكم واجباً (وهو نصرة الحق على الباطل ،
والأخذ بيد المظلوم ، والضرب على أيدى الظالم) .

ومتى شتمت معاونة الظالم فيكون ذلك بنهيه عن ارتكاب الظلم ، كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ
مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ » قَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدِهِ .

فبذلك تنصرون العدالة ، وتساعدون على إيصال الحقوق لأصحابها ، ويكون لكم
عند الله الجزاء الأوفى .

شهادة الزور

تقلب الحق باطلاً ، والباطل حقاً

الجريمة العظمى ، والكبيرة المنكرة هي شهادة الزور ، وقول الزور ، التي فشت في هذا الزمان ، وصارت صنعة ووظيفة الكثير من الناس ، يتكسبون منها مالاً حراماً ، وسحتاً مهاناً ، ويأخذون أجراً على قلب الحق باطلاً ، وتصوير الباطل حقاً ، واتهام البرىء ، وتبرئة المسمى ، وطمس الحقائق ، وتغيير الوقائع ، أولئك جند إبليس ، وأعوان الشيطان ، ومن أدنياء الخلق ، وأبغضهم إلى الخالق ، حيث خالفوا أمره ، وأضروا عباده ، وهو تعالى يقول : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) .

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كُنْتُمْ أَفْقَدَ احْتِمَالُكُمْ لَهُنَّ) .

كثرت المحاكم وتعددت ، وزادت الحوادث وتنوعت ، وعظمت المطامع ، وخربت الذمم ، وضعف صوت الدين في القلوب ، فباع السفهاء ألسنتهم ، ولم يعلموا أنهم بذلك قد باعوا دينهم ، لأن شهادة الزور تساوى الشرك بالله ، وتعادل في الإثم عبادة الأوثان . قال صلى الله عليه وسلم : « عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكَ بِاللَّهِ » .

ثم قرأ قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) .

يقف شاهد الزور أمام قاض يتلو شهادة كاذبة ، حفظها عن ظهر قلب وجزاء درام معدودة ، وفي سبيل قروش محدودة ، يخرب البيوت العامة بشهادته ، ويسجن هذا ، ويظلم ذاك ، وينسى أنه سيقف بمجلس القضاء الإلهي ، أمام الخالق جل وعلا ، وهو أحكم الحاكمين ، ولا يعلم أنه بشهادة الزور قد بنى لنفسه بيتاً في النار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَزُولَ قَدَمُ شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ » .

وقد وصف الله عباده بأنهم لا يشهدون الزور فقال :

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) .

وأمر بالعدل والقسط حتى في حال السكر والبغض ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا
اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) .

وليست شهادة الزور قاصرة على المحاكم ، فمن شهادة الزور أن تصف مسلماً بخير حقيقته
لتغفر منه الناس ، وتحط من قدره .

ومن شهادة الزور أن تسأل عن زميل لك فترفعه إلى السماء وأنت راض عنه ،
أو تخفضه إلى الأرض وأنت ساخط عليه .

ومن شهادة الزور أن يسألك شاب عن عائلة تعرفها ليتزوج منها ، فتشوه له الحقيقة ،
وتفشه وتخدعه .

ومن شهادة الزور أن تنتقص عمل المحلصين ، وتمدح الخاملين والعاجزين ، وكل قول
يخالف فيه الحقيقة ، فهو من شهادة الزور .

فاتقوا الله وزنوا أقوالكم قبل صدورها ، وقبل أن تحسب عليكم ، ولا تكتموا شهادة
الحق ، فقد قال تعالى : (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آيِمٌ قَلْبُهُ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً دُعِيَ إِلَيْهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَ زُورًا »
وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَاثِرِ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعَمُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَكَانَ
مُتَكِنًا يَجْلَسَ قَدَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ » .

من خطبة من كتاب الوعظ

امفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على أحمد

مختصر قصيدة في الظلم

لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا

الظلم حرّمه الإله بشرعته ونهى العباد عن ارتكاب جريمته
لم يرضه وصفاً له سبحانه وهو القوى بظهره وبغزته
أسماءه الحسنى نفت أضدادها وحوّت صفات جماله وجلالته
فهو الرؤوف بخلقه والعدل في أحكامه وهو العزيز بحكمته
ما كان ربك للعبيد بظالم لكنهم ظلموا بهجر إطاعته
فجزاؤهم منه العقاب وإنه رب غفور للعتيب بتوبته
والظلم من شيم النفوس سوى التي عصم الإله بفضله وبمنته
كالأنبياء والصالحين أولى النهي والمؤمنين العاملين بشرعته
والظلم منشؤه القساوة والهوى واللهو عن ذكر الإله وخشيته
ظلم الفتى يوم القيامة ظلمة لا يستطيع خروجه من ظلمته
إذ لا نصر لظالم حين الجزاء من قهر مولانا وشدة بطشته
والظلم والظلمات أعداء لمن يقضى بنور الله بين خليقته
كالنفس والشيطان من يتبعهما ضل الهوى حقاً وباء بخيئته
والظلم يوجب فتنه فتجنبوا ظلم العباد تفادياً من ظلمته
إذ ربما عمت مصيبته كما قال الإله لنا بمحكم آيته^(١)
يأيها الناس اتقوا الله الذي أنتم إليه سترجعون بقدرته
واخشوا عسير حسابه لا تظلموا وتمسكوا بالعدل حسب شريعته
للظالمين النار مثوأم كما للعادلين خلودهم في جنته
فالله ليس بغافل عن ظلمهم لكن يؤخرهم لوقت عقوبته
في عاجل أو آجل كمراده فهو القدير وكلنا في قبضته

(١) قال تعالى : (واهموا فتنه لا نصيين الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب) .
(الأخال)

والظلم مرتعه وخيم لأمري* في هذه الدنيا ويوم قيامته
يوم عبوس كربه عمّ الوري* لم ينج منه سوى القليل بطاعته
وإذا الظلوم رأى شداًئد كربه* عضّ الأنامل نادماً مع حسرته
والكل مشغول بحالة نفسه* في دهشته من هوله وفظاعته
لا والد يجزى ولا مولوده* عن بعضهم شيئاً كما في آيته^(١)
إلا الذين برّهم قد آمنوا* فأصولهم وفروعهم في جنته
فالأصل تنفعه الفروع الأتقيا* والفرع يلحق أصله بديانته
فاقرأ كتاب الله واعلم ما به* وافطن لقول المصطفى والحكمته
يُملى الله لظالم ويمده* لزيادة في إيمه وغوايته
حتى إذا حلّ العقاب فأخذه* أخذ أليم زائد في شدته
لا يهمل المولى عقوبة ظالم* لكن يمهّل لوقت عقوبته
(المنظومة الشكرية الجزء الثالث)

وقال في قصيدة أخرى تحذيراً للظالم

يا ظالماً للناس عمداً فارتقب* نعم الإله لظالم في أمته
لا تحسبن الله عنك بغافل^(٢)* مهلاً سيأتيك الحساب بدقته
هو عالم بالمتدين وإنما* أجل مسمى عنده لعقوبته
يُملى لك المولى إلى يوم الجزا* يوم عبوس للمصاة بظلمته
فارجع لربك نادماً ومؤدياً* حق العباد كما أمرت بشرعته
عدم الوفاء بحق ربك والوري* ظلم فأوف الحق قبل إضاعته
وبذلك تنجو من أليم عقابه* وتفوز بالحسنى وخير عطيته
من يتقى غضب الإله فقد نجا* يا صاح تب ثم استقم في خدمته
فلمله يرضى ويفقر ما مضى* فهو الغفور لصادق في توبته
(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث)

(١) هي قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) .

قصيدة

في النهى عن إغاثة الظالم ، وكيف يكون نصر المظلوم
(لخدمة صاحب السعادة السيد شكرى باشا)

لا تركنوا للظالمين تمسك
وتعاونوا دوماً على نصيح الذى
منعاً لظلم قد يجر بشره
من ينصر المظلوم فى الدنيا يرى
لاخير فى قوم أضاعوا بينهم
ودعاء مظلوم محاب لا مرا
والظالمون عقابهم إن لم يكن
من عاون الظلام كان منافقاً
لا تخرج خيراً من معاون ظالم
أين المروءة والأمانة فى امرئ
وتراه خداعاً يميل مع الهوى
ويقول أيضاً غير ما هو فاعل
حلوا اللسان وصدره لك علقم
يسمى لخذل الحق ناصر باطل
خان الأمانة والعهود ولم يخف
إن الخيانة والنفاق كلاهما
أيظن أن الحق يطفأ نوره ؟
من لم يكن حرّ الضمير فلا يرى
وبهذه الأوصاف يبلى خائن
يأبىها الرجل المعين لظالم

نار اللظى معهم بحكم عدالته
هو ظالم مهما يكن من سلطته
سوء العواقب فاحذروا من آفته
نصر الإله بها ويوم قيامته
حقاً لمظلوم ولو لمداوته
مهما يكن من حاله وعقيدته
حالاً يكن يوم الجزاء وكرهته
وأشد ظمناً منهمو فى أمته
فهو المضيع للحقوق بخطته
دوماً يرى متلوناً فى هيئته
حسب الظروف بطبعه وغوايته
متبجحاً من خبثه ولآمته
ويروغ منك كشعلب فى روعته
بئس النصير لباطل بخيائته
غضب الإله وطرده من رحمته
وصف لمن هو مارق من ملته
كلا ويدفع باطلاً مع ظلمته
متمسكاً بالصدق بين عشيرته
للعهد والميثاق بل وأمانته
أبشر بخزى عاجل ومهانته

فضلاً عن النار التي تكوى بها مع من أعنت لدى الجزاء وكرهته
نصر الظلوم بنهيه عن ظلمه لا بالركون له ولا بإعانتته^(١)
يا صاحب الحق اصطبر ثم ارتقب نصراً من المولى كوعد جلالتـه
هو ناصر المظلوم خاذل ظالم فعليه كن متوكلاً مع طاعته
هو قائم بالقسط بين عباده هو ربنا كل الأمور بقبضته
فيرد حقك كاملاً ولربما أعطاك خيراً زائداً من منته
فاصبر كصبر المهتدين أولى النهى فالأجر مضمون كما في آيته

(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث)

التحذير من أكل مال اليتيم ظلماً

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ محمد مرسى طنطاوى
(المدرس بمعهد الزقازيق)

الحمد لله الذى حذر من أكل مال اليتيم ، وأوعد الذين استباحوا أكل ماله بإصلاهم
عذاب الجحيم ، سبحانه له الأمر والنهى وإليه رجوعنا أجمعين .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى جعل أكل مال
اليتيم من الموبقات .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين عاونوه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل
معه ، أولئك هم المفلحون . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :
(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) .

اليتيم فى العرف الصغير الذى فقد أباه ، هو الذى حرمه الدهر من أن يحظى بمطـف
أبيه وتحفاته ، حرمه الدهر من أن يتروّض فى بستان تلك الرحمة الأبوية ، ذلك البستان

(١) يشير بهذا إلى حديث : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .

الذى فيه من كل فاكهة من فواكه الحياة زوجان ، وفيه من أصناف الخير ، تلك الخيرات الحسان .

نعم حرمة الدهر من كل هذا ، وأصبح وحيداً محتاجاً إلى من يساعده ، ويقوم بشئون حياته ، محتاجاً إلى من ينسيه بحنانه فقدان أبيه ، ويجعله يشعر بالطمأنينة ، يشعر بأن أباه لازال على مدى الدهر حياً .

لهذا جعل الله لليتامى أوحياء ، هم بمثابة آبائهم في القيام بشئونهم ، والمحافظة على أموالهم ، وجعل لكل وصى حدوداً لا يتعداها ، وحذره كل التحذير من أن تمتد يده إلى مال اليتيم فيأخذه بغير حق ، وصوّر له أكل مال اليتيم بأكل النار في البطون ، وتصوروا كيف تفعل النار في البطون ؟ إنها لتذيب الأمعاء ، وتفرى الأكباد ، وتلتهم القلوب ، ولا يكون بعد ذلك إلا الموت (والعياذ بالله) .

هذا نستطيع أن نتصوره في النار الحسية ، أما النار المعنوية ، وهى موضوعنا الذى نتكلم فيه ، فإنها لا تفترق عن النار الحسية فى شئ ، إذ هى تلتهم مافى القلوب من غرائز الشفقة والحنان ، تلتهم ما هو كامن فى القلوب من الخوف من الله ، والحذر من عذابه .

بل تلتهم ما هو مطبوع على صفحات القلوب من العقيدة الحقّة ، والإيمان الصحيح ، تلتهم كل هذا ، فيصبح الإنسان هيكلاً جسيماً فحسب ، ليس له من الإنسانية إلا صورتها وما ذلك إلا الموت ، بل لا موت فى الحقيقة إلا هذا ، إذ هو الحسران المبين ديناً ودنيا .

أيها الأوصياء : إن رأيتم أن اليتيم صغير لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، لا يستطيع أن يأخذ حقه منكم لضعفه ، فتقوا بأن له رباً قوياً سيأخذ حقه منكم ، ويحاسبكم على ذلك حساباً عسيراً .

إن رأيتم أن اليتيم غفل عن حقه ، فتقوا بأن له رباً لا تأخذه سنة ولا نوم .

أيها الأوصياء : أنظنّون (وبعض الظنّ إثم) أن تسديد الكشوف مزورة ، وتقديمها إلى الجهات المختصة لتكونوا أبرياء يحملك عند الله أبرياء ؟

كلا والله ، إن الجهات المختصة عاملتكم بمقتضى اللوائح والقوانين ، ولكن ربكم سيعاملكم بمقتضى علمه القديم ، فإن كنتم أبرياء نجوتم ، وإلا حلت عليكم غضبة الحق ، فشرّبتم كأس الجزاء مريرة ، وأذاقكم الله بعد ذلك عذاب الهون .

إخواني : أتكلم في هذا الموضوع الخطير ، وأحسُّ برجفة في قلبي ، واضطراب في جسدي ، لأنني أتصور الآن ذلك اليتيم الصغير ، وهو بين برائن ذلك الجبار العاتي الذي يلهب به كما يلهب الوحش الكاسر بفريسته .

فلا اليتيم قادر على أن يتخلص من ذلك الجبار ، ولا هو قادر على أن يتمتع بما خلفه له أبوه من الحقوق ، ويستمر على هذا الحال يعاني ألم الظلم ، حتى يقيض الله له من يأخذ بيده ، ويكون له نصيراً .

ويزيدني ألماً أن بعض الذين تحجرت عقولهم ، وطمست قلوبهم عن رؤية الحق ، يتهمون الدين الإسلامي بأن تشريعه في هذه الناحية غير صالح لكل زمان ومكان ، ويطلبون إلى أولى الأمر أن يسنوا قوانين تحفظ للناس حقوقهم .

كلام يدل على سخافة عقولهم ، إذ لو عقلوا تماماً ، لوجدوا أن التشريع الإسلامي تشريع كامل ، وهو صالح لكل زمان ومكان .

قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَارْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

وما الاختلال الحاصل إلا من عدم الرقابة على أولئك الأوصياء ، ونظار الأوقاف الظلمة الذين يستبيحون كل شيء في سبيل الحصول على المال الكثير . ولو كانت الرقابة عليهم كما يجب لسارت الأمور في مجراها الطبيعي ، ولكانت الحقوق محفوظة لانصاب بسوء .

أيها الأوصياء ، ويا نظار الأوقاف ، اتقوا الله ، اتقوا الله ، اتقوا الله .
(وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

قال صلى الله عليه وسلم : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »

(رواه البخاري)

مجلة الإسلام العدد ٣٩ من السنة الرابعة

مقارنة محسوسة بين الوصى الظالم والوصى العادل النزيه

الوصاية والأوصياء

شرع الله جل شأنه الحجر على السفهاء والمعتوهين ، وإقامة الأوصياء والقوام على القصر عديمي الأهلية رحمةً لهم ، وحفظاً لأموالهم من الضياع والتبديد ، وهذه هي المجالس الحسبية . والحكمة في إقامة الوصى أن الرجل إذا توفى ، وترك ثروةً ومالاً لورثته ، وكان بينهم الصغير القاصر الذى لا يحسن التصرف طمع فيه غيره ، خصوصاً أقرب الناس إليه من أهله ، كأعمامه الذين يظهرون العطف والحنان على القاصر ، وهم فى الحقيقة لصوص يريدون اغتيال أمواله وأكلها بالباطل ، ويقضون عليه قضاءً مبرماً .

فكان من الحكمة شرعاً أن يكون للقاصر وصى أمين ، شفيق قلبه ، ملؤه الرحمة والحنان ، مشهود له بالتقوى والاستقامة والعفة ، ونزاهة النفس .

وعلى الجملة يكون قائماً مقام أبيه فى كل الوجوه ، ويمثله تمثيلاً تاماً لو كان حياً . وقد حث الله تعالى على حسن معاملة اليتيم فقال : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) . ومع الأسف نرى كثيراً من الأوصياء لا يهتم بشئون القصر ، بل يعمل على أكل أموالهم بالباطل ، وتبديدها فى شهواته وملذاته .

ودليلنا على ذلك ما نراه يومياً فى المحاكم الأهلية والشرعية من القضايا المرفوعة ضد الأوصياء بمطالبتهم بحقوق القصر التى تكون قد ظهرت فى ذمتهم عند مراجعة حساباتهم بمعرفة خبراء المجالس الحسبية .

وفى الغالب يكون الحكم فيها ضدهم ، إما بعقوبة السجن متى قامت الأدلة على تبديدهم وإما إلزامهم مدنياً بدفع ما أخذوه من أموالهم ؛ وربما يفلتون من القضاء بتلفيق الحسابات التى يقدمونها للمجالس الحسبية والمحاكم ، فتضيع بذلك هذه الحقوق على القصر اليتامى ، ولكنهم لا يفلتون من عقاب أكبر الحاكمين يوم الدين .

فالأوصياء الذين لم يؤدوا وظيفتهم بالأمانة ويأكلون أموال اليتامى ظلماً وعدواناً فإنهم يأكلون فى بطونهم النار فى الدنيا ، وفى الآخرة يكونون مع الفجار عملاً بقوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَيَصِيلُونَ سَعِيرًا) .

أما الأوصياء الذين يقومون بوظيفتهم حق القيام ، ويراعون الذمة والأمانة والشرف
فهم أرفع منزلة في الدنيا ، ولهم عند الله يوم القيامة أجر كبير ، وثواب عظيم ، وقد بشرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فقال : « أَنَا وَكَفِيلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا » .
(وأشار بالسبابة والتي تليها) .

وأمامنا الآن مثل محسوس يدلنا على نزاهة بعض الأوصياء ، وحسن معاملتهم لليتام
الفقراء (وقليل مالم) نضربه للناس ليكون فيه القدوة الحسنة ، والعظة المستحسنة .

« أقام مجلس حسبي مصر في سنة ١٩٢٨ حضرة الأستاذ السيد على فكرى الأمين
الأول ورئيس المغيرين لدار الكتب المصرية سابقاً ، وصياً على أولاد ابنته القصر ، بعد
أن عزل عنهم من الوصاية لسوء تصرفه ، ورفعت دعوى ضده وعدة قضايا للحصول على
حقوقهم ، وكانت جميعها في صالح القصر ، حتى بلغ مالم طرفه ماينوف عن الألف جنيه ،
ولكن مع الأسف لم يمكن الحصول على شئ منها لهروبه من دفع الحق وإفلاسه .

أما الأستاذ السيد على فكرى فقام بواجب الوصاية ، وتقدم للمجلس الحسبي بحسابه
عن المدة من سنة ١٩٢٨ لغاية سنة ١٩٣٦ ؛ وبعد فحصه بمعرفة مكتب الخبراء الحسينيين ، قرر
المجلس بجلسته ١٤ مارس سنة ١٩٣٨ اعتماد الحساب وقدره ٩٢٨ جنيهاً ، وقبول تبرعه للقصر
بجميع هذا المبلغ ، وتقديم شكر المجلس على ما أبداه حضرته من الهمة والنشاط والمروءة
والوفاء للقصر أحفاده ، وقد صدقت وزارة الحفانية على هذا القرار .

فبلسان الحق والعدل نشكر حضرته على هذا العمل الخيري الذي قام به ، ولم يسبقه
فيه غيره ، ونسجله على صفحات جريدتنا لالمدح والثناء عليه ، لأنه هو في غنى عن ذلك
وبعيد عن حب الفخر والتظاهر ، وإنما نذكره على سبيل العظة والذكرى والاعتبار .

(وَلِيْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) فالسعيد من راقب في اليتامى من يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور ، وجعل نصب عينيه قول عالم السر والنجوى .

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ : الْمَرْأَةَ الْأَرْمَلَةَ وَالصَّبِيَّ الْيَتِيمَ » .

فيا أيها الأوصياء اتقوا الله في الأيتام ، وراعوا حقوقهم ، واهتموا بمصالحهم اهتمامكم بمصالح أولادكم ، وانظروا الفرق العظيم بين الوصي الخائن والوصي الأمين ، وتذكروا دائماً قول الله تعالى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) .

واعملوا بما يكسبكم حسن الذكرى في الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

ملحوظة — سبق ذكر هذا الموضوع باختصار في ص ١١٧

(حسن قاسم مدير مجلة هدى الإسلام)

وقال الأستاذ محمود محمد عمار الشاعر المشهور (بشاعر الرعاع) قصيدة في الحث على حسن معاملة اليتامى ، نفتطف منها مايتأتى :

الله قد كفل اليتيم : محمداً	وسقاه دين الله في القرآن
واختار جبريل الأمين معلماً	وحباه بالمعراج عزة شان
وكساه أعطاف النبوة بردة	عزت على (كسرى أنوشروان)
ثم اسطفى هذا اليتيم رسوله	فسمي اليتيم على ذوى التيجان
وأذاع بين الناس وحدانية	الله ، لا لعبادة الأوثان
وبنى على الدين الحنيف رسالة	بانت منار العز والسلطان

نفحة اليتيم

يا معشر الإسلام ، هذى نفحة	طلع اليتيم بها على الأكوان
لولا بات العقل في ظلماته	في الشرك ، في الإلحاد ، في الكفران
اقرأ عليه : (ألم يجدك ميتاً)	واشرح : (فأوى) : إنها الأبوان
أو إنها اللطف الخفى ، وإنها	عند المصيبة : رحمة الرحمن

كافل اليتيم

جاء اليتيم سما ، فقال « محمد » وكلامه معنى من الفرقان
« في الخلد من كفل اليتيم بصحبي » مأوى اليتامى : جنة الرضوان

الزوج الظالم والزوجة المظلومة

خطبة لفضيلة الواعظ الأستاذ محمد سليمان أستاذ الوعظ بمديرية جرجا

الحمد لله الواحد القهار ، الحمد لله العزيز الجبار ، سبحانه يمهل ولا يهمل ، وينتقم من
الظلمة الأشرار ، ولا يضيع حق المظلوم ، وإن طالت الأيام والسنين .

أستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، جعل للزوجة حقاً على زوجها ، وأوجب للابن حقاً
على أبيه ؛ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أعظم التكبير على من أخل بهذا الواجب
وقصر فيه .

اللهم صل وسلم على هذا النبي ، رافع لواء الحق ومعليه ، وارض اللهم عن آله
وصحابه والتابعين .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ،
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)
عباد الله — تفهموا ما تلى عليكم من كتاب ربكم ، وطبقوه على ما تعلمون من أحوالكم ،
واحذروا أن تكونوا ممن ندد الله في هذه الآية بهم ، واعلموا أن غضب الله من نصب ،
ولا بد على رؤوس المعرضين .

في المسلمين أقوام ركنت إلى الظلم نفوسهم ، وخلت من الرحمة والعطف قلوبهم ،
واتخذوا الشهوة البهيمية إلهاً لهم ، يفضلونها على كل شيء ، ولا يبالون أن يتخطوا في سبيلها
حدود الدين .

يتزوج أحدهم بالحرّة الكريمة من النساء ، ثم يقضى معها من الشهور والسنين ماشاء ؛

وقد تكون حياته معها حافلة بالسعادة والهناء ، حتى إذا ما أشبع شهوته منها هجرها ، وبحث بين النساء عن غيرها ، وتركها بعد زواجه الثانى تندب حظها ، وتقضى أيامها بين البكاء والحسرة والأنين .

يهجرها بلا ذنب ، وقد بذلت وسعها فى خدمته ، وأتعبت نفسها فى سبيل توفير راحته ، وأفنت شبابها ، وربما مالها فى سبيل إرضاء نهمته ، وحفظت عليه ماله وعرضه ، وأعفت عن الحرام عينه وفرجه ، ولكنه نسى كل هذا لما ذبلت زهرة جمالها ، أو وقعت عينه على أحسن منها ، وجحد مالها عليه من الحق الثابت المتين .

يهجرها ، وإن كان له منها أولاد أهلهم وطرحهم ، وبخل عليهم بالنفقات ، وتهرب بكل وسيلة منهم ، وإن ألحوا عليه بالمطالبة آذاهم ، وأخش فى إيدائهم ، وأراهم من جبروته وعتوه ماتقشعر من هول حكايته جلود المستمعين ، وتنفطر لرؤيته قلوب الناظرين .

فيا الله ! ما أصلب هذا القلب المتحجر ، وما أبعد عن الشفقة والحنان !
وما ألام هذه الخصال الدنيئة ، وما أخط هذا الإنسان ، وما أخزى هذا المفتون غداً بين يدى الله الديان ، وما أشد غفلته عن اليوم الذى ينتصف الله فيه من الظلمة للمظلومين !
ألا قولوا لهذا الظالم المتعجب ؛ بل نهوا هذا الجاهل الأحق المتكبر ؛ بل أيقظوا هذا القلب القاسى المتحجر ؛ بل أنذروا هذا المغرور بحلم الله عليه وعلى أمثاله الظالمين ! أنذروه وقولوا له : إن للضعيف رباً يغار عليه ، وإن فى القيامة حكماً عدلاً ترجع الأمور إليه ، وإن من فاته حقه فى الدنيا أدركه كاملاً بين يديه ، فاستمر على ما أنت عليه ، واسوف تعضّ بنان الندم إذا ما حشرت فى صفوف المجرمين .

أتستهين يا مغرور بآلام هذه المسكينة الملازمة فى الليل والنهار ؟
أتستهين بدعائها عليك فى الأسحار ؟ أتستهين بإضاعتك لهؤلاء الأطفال الصغار ؟
وربك لا بد وأن يجعل الله لك بعض العقوبة فى الدنيا قبل يوم الدين .

اتق الله وأنصف هذه المسكينة وأولادها من نفسك ، ووزع بين زوجتك أو زوجاتك جميع وقتك ، وساو بينهن فى نفقاتك ومودتك ، ولا تفضل إحداهن على الأخرى فى شئ^١ فقد علمت أن وراء ذلك الإثم المبين ، والعذاب المهيّن .

اتق الله واحرص على هذه النصيحة ، وإياك والتفريط والإهمال ، واسع لتطبيب خاطر الزوجة المظلومة ، تتفرد لك ماضي من الإساءة والإذلال ، ولا تحملتك على التماذي في الظلم فوارق الحسن والجمال ، فإن مآل هذه كلها للفناء والاضمحلال ، والعاقبة بعد ذلك في الآخرة للمتقين .

وإن غلبتك نفسك الشهوانية ، وعجزت عن العدل ، ففارق بالمعروف والإحسان ، وأوفها حقها الباقي على حسب الاتفاق الذي قد كان ، وأوف لأولادك منها حقهم بلا إجحاف ، وسر معهم في حياتهم بروح العدل والإنصاف ، ولا تفضل عليهم إخوتهم من الأخرى ، فإن ذلك يستوجب المقت من رب العالمين .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَمْدُلُونَ فِي حُسْنِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » .

وروى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَمْدُلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةٌ سَاطِئَةٌ » .
(مجلة الإسلام العدد ٢٧ من السنة الثانية)

مظالم الأزواج للزوجات

قصة واقعية ، ومأساة دينية

إن مظالم الأزواج للزوجات كثيرة ومتعددة ومنتشرة بين العائلات ولا يخلو منها بيت ، ومن يطلع على سجلات المحاكم الشرعية ويحضر جلساتها يجد أن معظم القضايا التي تقدمت لها وقعت بين الأزواج والزوجات ، إما بطلب نفقة شرعية ، وإما بطلب الطلاق للضرر . وهذا كله نتيجة سوء الأخلاق ، وسوء المعاملة ، وعدم الاتحاد ، وعدم الوفاق .

وإليك قصة غريبة في بابها ، بل هي مأساة في موضوعها وهي :

إن إحدى الفتيات تزوجت من أحد المحامين (من أقارب والدتها) وكانت تظن فيه خيراً ، فبعد أن دخل بها ، وأقام معها نحو الشهرين تقريباً دب الخلاف بينهما ، وخرجت

الزوجة غاضبة إلى منزل والدتها ، نادية سوء حظها ، باكية شاكية سوء معاملة زوجها لها ، وسوء معاملة والدته أيضاً ، كما هو الحاصل فى معظم المائلات .

وقد اتخذت المساعى الودية للصالح بينهما عدة مرات ، فلم يكتب الله لها النجاح . وأخيراً اضطرت الزوجة لرفع أمرها للقضاء للفصل فى أمرها ، وطلبت أولاً النفقة الشرعية التى تستحقها عنده من تاريخ هجرها إلى يوم رفع الدعوى ، وقد حكمت لها المحكمة بمبلغ خمسة جنيهات شهرياً ، وأعلن الزوج بالحكم فلم يهتم به ولم يستأنفه ، ولم يدفع لها قرشاً واحداً حتى تجمد لها عنده مبلغ ١٨٠ جنيهاً عن الثلاث سنوات التى هجرها فيها .

ثم رفعت قضية التطلاق للضرر ، وقضية الحبس للدفع تنفيذاً لحكم النفقة ، فما كان من هذا الحامى اللئيم الخبيث إلا أنه استعمل دهاء ومكره وخبثه ، وأخذ أخته التى هى أكثر دهاء ومكراً وخبثاً منه ، وتوجها معاً إلى المحل المقيمة به ، وتكلمتا معها كلاماً ليناً معسولاً ، واتفقا مع صاحبة المحل على أن يدفع لها مبلغاً من المال لإغرائها على إخراجها منه نظير إقامتها عندها حتى تتمكن بهذه الحيلة الشيطانية الخبيثة من إخراجها وأخذها وإقامتها مع أخته لأنه متزوج من أخرى وله منها ثلاث أولاد ومقيم معها بمسكن آخر ، ولما كانت البنت ضعيفة الإرادة وضعيفة العقل ، فقد سلبها عقلها واستسكنتها إقراراً بأنها تصالحت معه ، وتنازلات عن حقوقها الشرعية التى حكم لها بها وقدمه المحكمة ، وبذلك سلبها حقوقها ، وأضاع على أهلها أتعابهم ومصاريفهم التى صرفوها فى القضايا المذكورة ، وأقلت من حكم القضاء ، كل ذلك لاحتباً فيها ، بل مكيدة لها ولأهلها ، ونكاية بهم ، وللتفريق بينها وبين أهلها ، ووقوع الشقاق بينهم وبينها .

هذه هى قصة هذا الحامى الذى تربى وتعلم ، ونال شهادة الحقوق ، لا للدفاع عن حقوق الناس الضعاف المظلومين ، بل لسلب حقوقهم وأكلها بالباطل ، ومثله فى هذه الحالة مثل النصابين المحتالين ، فإن كان حضرته يفرح ويفخر بهذا العمل الإجرامى فليفرح قليلاً وليبك (إن شاء الله) كثيراً فيما بعد ، فسوف يقف بين يدي أحكم الحاكمين المنتقم الجبار ، فى يوم يتعلق فيه المظلوم بالظالم ويلقى جزاءه ، ويحاسب حساباً عسيراً ، على هضم حقوق هذه الزوجة المسكينة المظلومة ، التى استسلمت له أخيراً ، وسلمت أمرها إلى الله ، فنعم المولى ونعم النصير ، وبئس للظالمين بدلاً .

وهل ترضى نقابة المحامين بأن يكون من بين أعضائها مثل هذا المحامي الظالم ، الخبيث النية ، السيئ الطوية ، المشبع بروح الإجرام ، الذى ارتكب هذا العمل الشنيع ، الذى لا يصح صدوره من رجل مسلم شريف نزيه ، يخاف الله رب العالمين ويتقى غضبه وسخطه قال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) إلى آخر الآية .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وكفى بالله حسيباً ، وكفى بالله وكيلأ .

على فكرى

١١ سبتمبر سنة ١٩٤٨

ظلم الآباء للأبناء

خطبة تفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان واعظ عام مركز جرجا

الحمد لله الحكيم العدل ، رب الأرض والسماء ، الحمد لله السكفيىل بنصرة المظلومين الضعفاء ، الحمد لله المفرد يوم الفصل بالحكم والقضاء ، سبحانه واعظمته تعنو الجباه ، وهيبته تذل العتاه ، من الإنس والجان .

أستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، يرحم من عباده الرحماء المقسطين ، ويصب جام نعمته وسخطه على رؤوس الظلمة البقاة المعتدين .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الهداة وإمام المصلحين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) .

عباد الله : تعالوا نتسلل إلى داخل بيوت المسلمين ، ونستطلع مافياها ، تعالوا بنا نشاهد مظاهر العسف والجبروت التى ملأت أرجاءها ونواحيها ، تعالوا بنا نختبر حال هؤلاء الأطفال الذين فارقتهم أمهم بالطلاق مرغمة ، أو اخترمتها المنية ، واستودعهم إياهم مغتررة

واهمة ، ظانة أنه سيقى بوعده ، ويتقى الله فيهم ، ويوليهم ما يستحقونه من العطف والرعاية والحنان .

سنرى ولا بد على محياهم مظاهر الشقاء والنصب ، وسنبصر على بطونهم الضامرة آثار الجوع والسغب ، وسنقرأ في ملابسهم البالية القذرة نبأ ما يلقونه من النبذ والإهال ، وسنطالع في أجسامهم النحيلة أمارات الإعنت والإذلال ، وسنسمع من شكايتهم مايفتت الأكداد ، ويشير كوامن الأشجان .

سيقولون لنا : إن أباهم القاسى قد تلون بعد أهم وتغير ، وتراجع عما التزمه وقت الوفاة وتقهقر ، ونسى أو تناسى كل حق لأبنائه ، وتنجرت عواطفه ، وصار قلبه أقسى وأصلب من الصفوان .

سيقولون لنا : إن أباهم قد تواطأ مع زوجه على النكاية بهم ، وأطاعها فى كل شىء ، وصدق ما تلقىه من الوشايات فى حقهم ، واتخذ كلامها حجة قاطعة ، وقولاً فصلاً ، وأعرض عنهم ، ولم يقبل منهم فى الدفاع عن أنفسهم قولاً ، بل تمر لهم وأذاقهم من ألوان الاضطهاد ما لا يتحملة إنسان .

سيقولون لنا : إن أبناء الزوجة الجديدة فى أرغد عيش وأرضاها ، يأكلون أطيب الأطعمة ، أو يلبسون من الثياب أئمنها وأغلاها ، بينما هم لا ينالون من الطعام إلا الفضلات ، ولا يجدون الكسوة الضرورية إلا بعد الإلحاح والتوسلات ، وكل ذلك على مرأى ومسمع من أبيهم اللئيم الخوان .

هكذا سنرى من حالهم ، وهكذا سنسمع من أقوالهم ، ولعل حقيقة ما يلقون من الاضطهاد أفظم مما حكينا وأشنع ، وما أكثر وقوع هذه الفجائع فى هذه الأيام !

وما أكثر ما يتخذ الآباء من ضعف الأبناء سبيلاً إلى التمدادى فى الظلم والإجرام !
وما أكثر ما تتخذ الزوجات من نذالة الآباء ، معيناً على التغالى فى مظاهر الجبروت والطغيان !

ألا فاتقوا الله عباد الله ، واحذروا أن تكونوا من هؤلاء الظلمة البغاة الذين عبدوا شهواتهم ، وآثروا إرضاء الزوجة على إرضاء الله ، وقولوا لمن تعرفونه منهم :

الويل لك أيها الوحش الآدمي من ديان يوم الدين ، وسوف تتبرأ منك هذه الزوجة التي أغضبت لأجلها رب العالمين ، وسوف تعضّ بنان الندم عند ما تفتح وجهك حرارة النيران .

ماذا يكون جوابك يامسكين إذا سألك الله عن هذه الرعية ، التي أسلم إليك أمورها ، وأكّد عليك في شأنها الوصية ؟

وهل ترى رحماً أحق بالوصل من رحم الأبناء ؟ وهل جهلت أن للأبناء حقوقاً أكيدة على الآباء ؟ صبراً فلسوف تلقى القصاص الرادع من الله القوى المتين .

قولوا له هذا ، ثم عظوا بعده زوجته الظالمة الباغية ، وذكروها بمحوادث الليالي والأيام الخالية ، وسلوها هل ضمنت الحياة حتى يبلغ أولادها مبلغ الرجال ؟

وهل أمنت أن يسلط الله على أولادها من تذيبهم بعدها العذاب والنكال ؟ ألا فلتحسن إلى هؤلاء ليسخر الله لأولادها من يعاملهم بالعطف والإحسان .

عباد الله : اتقوا الله ، ولا تقطعوا أرحامكم بظلم أولادكم ، ولا تتركوهم فرسةً لزوجاتكم وثقوا بأن التبعة والجرم واقع معظمه عليكم ، وما كان لزوجة أن تعتدى على أبناء زوجها إلا إذا آنت منه نذالة وضعفاً وتحسست في تصرفاته رقاعةً وخرقاً ، وإلا فإن يدها مشلولة عن إيذائهم ما أظهر أبوم الحزم والرجولة ، ووطى شهوته بالأقدام .

اتقوا الله وارحموا أولادكم برحمتكم الله ، وسوّوا بينهم في العطف والرعاية تبهودوا برضاء الله ، وتوبوا إلى الله مما مضى يتقبل توبتكم ، ويقابلكم يوم القيامة بالصفح والغفران .

عن الحسن رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِنَّ اللَّهَ سَائِلُ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَزَعَاهُ ، حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » . (رواه ابن حبان)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُولُ » . (رواه أبو داود والنسائي)

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتُ مُفَضَّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ » . (رواه الطبراني)

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« رَحِمَ اللَّهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى رِيِّهِ » أى لم يجعله على العقوق بسوء عمله .
مجلة الإسلام العدد ٢٩ — السنة الثالثة (أبو الشيخ ابن حبان)

هذا ، ومن ظلم الآباء للأبناء أن يخص الأب أحد أبنائه ببعض أطيانه أو أمواله ،
ويُحرّم الآخرين ، فيكون ذلك سبباً لإشعال نار الحسد والعداوة والبغضاء في نفوسهم ،
وربما أدى ذلك إلى قتل الأب أو الأبن الممتاز بثروته عن إخوته .
والحوادث التي تقع يومياً وتنتشر في الجرائد أكبر دليل على ذلك ؛ فعلى الآباء مراعاة
العدل والمساواة بين أبنائهم لدوام الصلة بينهم ، وإكسبوا يتعدى أحد منهم على الآخر
أو يجور عليه ، والله لا يضيع أجر الحسنيين .

مظالم الآباء للأبناء أيضا

ظلم الأب بتزويجه ابنته قبل استشارتها
من الحوادث المحزنة أن بعض الآباء يظلم ابنته بزواجها من شخص متقدم في السن ،
قبل استشارتها في أمر زواجها منه ، مع أنه حق شرعى من حقوقها متى بلغت سن الرشد ،
فتكون النتيجة : إما الفراق ، أو الطلاق ، أو الانتحار .
ومن تصفح أخبار الجرائد اليومية اتضح له وقوع هذه الحوادث بكثرة .
وإليك ملخص رواية (مظالم الآباء) الدالة على ذلك التي مثلت بدار الأوبرا وحضرها
كثير من الأمراء والأدباء في عهد الخديوى (عباس باشا الثانى) رحمه الله .
كان لرجل غنى ابنة توفيت والدتها ، فأقامت عند خالها (بعد زواج أبيها) فعنى بها
ورباها مع أولاده ، وكان شديد الرغبة في تزويجها بأحدهم ، وكانت هى أيضاً ترغب
في الاقتران به لاتفاقهما سنّاً وخلقاً وميلاً .
ولكن أبى والدها إلا أن يزوجه من وزير خطير ، طاعن في السن ، طمعاً في ثروته ،
وأملأ في أن ينال على يديه الرفعة والجاه ، واتفق معه على ذلك .

فلما حضر إلى منزل خالها ، وعرض عليها هذه الرغبة أظهرت عدم ارتياحها وخرجت من عنده باكية شاكية أمرها لخالها ، فأخذ خالها في أن يقنع والدها بأنها محقة في رفض هذا الزواج القهري ، وأن الشرع الشريف ينحول لها الحق في أخذ رأيها ، واستشارتها قبل زواجها لأنها ليست قاصرة ، وأنها بالغة الرشد ، وأنه لا يصح سلب حقها الشرعي في اختيار بعثها .

وأخذ يشرح له في أن الزواج القهري الذي يبنى على غايات ، ولا ينظر فيه إلى ائتلاف قلوب الزوجين هو زواج فاسد ، وما يبنى على الفاسد فهو فاسد ، ويضرب له الأمثال بالحوادث التي وقعت من هذا القبيل ، وكانت نتيجة جلب العار ، وتخريب الديار ، قاتلاً له : كم من حسناء عريقة الحسب ، شريفة النسب ، جرّها ضغط أبويها وظلمهما إلى هاوية لا قرار لها ، وتجرع والداها بعد اضطهادها لها غصص الحزن والكرب ، وتندما على ذلك .

وبعد جدال طويل بين الخال والأب ، قال الخال له : لقد نصحتك وأنت وشأنك ، فإن التبعة ستقع عليك لا على غيرك ، ولا أبغى لك ولا بنتك إلا الخير والنجاح ، والسعادة والمناة في الحياة .

وانصرف الأب وهو مصرّ على تنفيذ رغبته ، وفي أثناء حديثهما ذهبت البنت إلى غرفتها وشكت أمرها إلى ابن خالها خطيبها ، واتفقا على أن يرسل خطاباً للوزير الفنى ، الذى يرغب والدها في زواجها منه ، يحذره فيه من الإقدام على هذا الزواج القهري قاتلاً له :

مولاي الوزير الخطير

أقدم لمولاي فروض التحية والاحترام — وبعد ، فإنى لا أريد أن أخدع مولاي ، بل أرغب في أن أطلمه على الحقيقة نقية لا يشوبها كذب ولا تمويه .

ريبت أنا وابنة عمى في بيت واحد ، حتى نبئت بذرة الحب في قلوبنا ، ونأصت جذورها ، فأصبحنا لاغنى لأحدنا عن الآخر ، ولذا تعاهدنا على الزواج من زمن طويل ، ووافق على ذلك والدى ووالدى .

أما ما حصل من حضرة والدها ، إذ قرر زواجها من دولتكم ، فهو ليس بعلم الأنسة

ولا باختيارها ، وإني لأحمد الله على أن الأمر لم يتم بعد ، إذ أنه ان يكون فيه لدولة الوزير سعادة ولاهناء ولا راحة ، لأنكما ما خلقتما لتكونا زوجين ، وكفى باختلاف السن والطبع والمواطف برهاناً .

ولى ثقة بأن دولة الوزير سيشكر لى صراحتى ، ومبادرتى باطلاعه على هذه الحقيقة التى أريد بها إنفاذه من هذه الورطة التى يريد والدها أن يوقعه فيها .

فغاية رجائى إلى مولاي الوزير ، وقد عهدته بعيد النظر ، راجح العقل ، شريف المواطف ، أن يتخلى عن زواجه منها ، ولا يرضخ لرغبة والدها ، وبذلك يحسن إلى نفسه وإليها وإلى ، والله الموفق لما فيه الخير والصواب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما قرأ الوزير هذا الخطاب ، ورأى فيه الحق والصواب ، طلب والدها وأطلعه عليه فلم ينته من مطالعته حتى أظلمت الدنيا فى وجهه ، واستشاط غضباً ، وقال :

ويل للسفهاء ! لقد أغواها الشيطان ، وأغراها ابن خالها الخائن الغاصب .

فأخذ الوزير يهدى روعه ويعتب عليه قائلاً :

لقد أسأت إلى أيها الرجل ، وإلى نفسك ، حيث أفهمتنى كذباً أنك عرضت على ابنتك زواجى منها ، فرضيت بى بعللاً لها ، والآن وقد ظهر كذبك وغشك ، وأهنتنى إهانة لن أنساها أبد الدهر ، يحق لى أن ألومك ، وأقطع صلتى بك ؛ إن لابنتك حقاً فى طلبها ، وقد أحسنت لنفسها الاختيار ، فأسرع فى زواجها من ابن خالها ، لأنه على ما أرى من خوى خطابه لاثق بها كما هى لاثقة به ، لأنهما تربيا فى بيئة واحدة ، وامتزجا طبعاً وخلقاً ، لاسياً وأنهما فى سن واحدة .

أما أنا فى شيخوختى هذه لا يليق بى التزوج بفتاة صغيرة ، لأنه ربما لا تحسن معاشرتى فأسىء إلى نفسى وإليها أيضاً ، وأكون سبباً فى ضياع مستقبلها وسمعتها .

فالحق الذى لامراء فيه ، أنها لاثقة بابن خالها ، وهوبها أليق منى ، فليقتربا على بركة الله ، ولا تقف فى طريقهما . وإني أدعو الله أن يبارك لهما فى قرانهما ، وأن يوفق بينهما ويؤيدهما فى حياتهما الزوجية بروح من عنده .

وكانت النتيجة أن تزوجت البنت فعلاً من ابن خالها ، وعاشت معه فى صفاء وهناء ، ورجع والدها الظالم إلى رشده ، واستغفر ربه ، وحده على هذه النتيجة السارة لهم جميعاً .

ولإليك قصيدة لحضرة الأستاذ « محمود رمزي نظم » في نتيجة الزواج القهري (بسبب ظلم الآباء للبنات ^(١)).

شيخ له قصر وظلّ وارف	وحديقة غنا وكنز نضار
بلغ الثمانين التي مرّت به	وكانها ليل وبعض نهار
خطب ابنة في سن أربع عشرة	من والد ذي عزة ويسار
حسنا تلمح في محاسن وجهها	ضوء الهلال ونضرة الأزهار
زفت وكان المقد قبل زفافها	أو يبعها للشيخ بالدينار
دخلت عليه وفي دخول جهنم	خير لها من دار وحش ضار
والموت خلف مشييه متمجّل	متخلّل في شمره متوار
ظفته والد زوجها أوجده	وهو العريس أو الغنى الشاري
ابتاعها من والد ذي حيلة	خداع كل مخادع مكار
ضحى بها متطاعاً لورثة	بعد الممات عظيمة المقدار

مرت شهور والفتاة كثيبة	تبكى وتطلب رحمة الغفار
طلبت أباه أن يحىء فزارها	متظاهراً لقرينها بوقار
متفاخرًا بدياره وقصوره	والروض ذي الأعشاب والأشجار
وبعزة الرتب التي قد نالها	من بعد بذل الوجه والدينار
فراى الفتاة مريضةً وكانها	مأسورة في سجنها بأمار
مرزومة في حسنها وشبابها	مطروحة لعواطف الأقدار
قالت له لما رآته ودمعها	ينهل مثل العارض المدرار
أدرك فتاة قد رميت شبابها	في شرّ هاوية وشرّ قرار
زوجتني ممن سئمت لأجله	هذى الحياة ورحب هذا الدار
أذبلت يا أبتى نضارة صورتي	أشعلت في كبدي لهيب النار
وجنيت يا أبتى ولست بمذنب	إن الجهالة أكبر الأخطار

فبدا له سقم الفتاة وإنما	بعض القلوب كجامد الأحجار
أنساه ميراث الفنى فتاته	وأزال عنه بواعث الأكدار
ففى وخلفها وصبر قلبها	صبر المقيم على شفير هار
«طمع الفتى أصل المصائب كلها	مفنى الحياة بسيفه البتار»
ضائق بها الدنيا بوسع رحبها	فتخيرات نهراً من الأنهار
وشكت إليه فضمتها فتحجبت	بمياهه عن سائر الأنظار
راحت شهيدة والد متعسف	خوف العقوق لرحمة القهار
فعلى الشهيدة فى الخلود تحية	وعلى المطامع لعنة الجبار

ظلم الابن لآبيه

هذه خلاصة قصيدة لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا ، ومنها يتبين ظلم ابنه إليه ، وما فعله معه أمام القضاء ، ونتيجة الحكم والظلم فى القضية الذين أصدروا الحكم ضده

ولقد بليت بظلم من ربيته	وبظلم أحكام القضية أحبته
غضب الظلوم المنزلىين تعلقى	وأضاع وقفهما على بحدعتيه
وقد افتزى كذباً على ومسئ	منه الأذى لما أحسن بقوته
وأنا ضعيف أبتغى منه الوفا	زمن الشيخوخة باتصال مبرته
إذا صار ذا مال وجاء بعد ما	كان الجرد عنهما فى نشأته
قد أنكر المعروف والسبب الذى	شاء الإله به الوصول لرفقته
هو مستشار فى <u>القضا</u> ولذا قضا	ضدى بغير الحق حسب إرادته
إن <u>القضاة</u> العادلىين تمنعوا	عن حكمهم بقضيتى كشيئته
وقد ارتضى بالظلم من حكموا له	كل يجازيه الإله بخطته
مع أنهم قد عاهدوا المولى على	أن يحكموا بالعدل حسب شريعته
طبقاً لدستور البلاد وأقسموا	بالله عند رئيسهم فى حضرته
لكنهم نكثوا فكان جزاؤهم	خزياً وعاراً والعذاب بشدته

فرح السخيف بحكمهم ويل له
 إن لم يكن في عاجل فلدى الجزا
 إذ لا جدال بباطل في يومه
 فالله ينطق كل جارحة بما
 فساها يرجع بالمآب لربه
 إن الإله لذوانتقام ويلهم
 يا ويلهم تبعوا الهوى في حكمهم
 فالظلم في هذا الزمان كأنه
 حتى على الآباء من أبنائهم
 ورفضت شكوى الملوك لأنه
 فهو الرئيس على الجميع وإنه
 فالله ولاه ويسأله غداً
 فبأمره التحقيق صار وإنما
 فبقدر إمكانى أقوم بواجبي
 وإذا انتهى حكمه بأية حالة
 فلنحذر الأولاد خشية شرهم
 وبوصل برّ الوالدين فوائد
 حقاً سيمصبح نادماً مع حسرته
 يوم العدالة والحساب بسرته
 والحق يظهره الإله بقدرته
 عملت سوى المفور فيه برحته
 ليفوز بالفراغ خشية نقمته
 من بطشه فهو العزيز بقوته
 لم يخشوا المولى وشدة سطوته
 عمّ العباد كما يرى من حالته
 من مجرم دين الإله بشرته
 حصن العدالة في شئون رعيته
 عنهم لمستول بحكم رياسته
 عن كل أمر واقع في دولته
 تحرير هذا جاء قبل نتيجه
 لظهور حق الله بغيبة نصرته
 قبل انتهاء الطبع^(١) جئت بقصته
 عملاً بقول إلهنا في آيته^(٢)
 فأرجع إليه نفرز بحسن إفادته

(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨)

ثم نشر في الجزء الرابع قصيدة أخرى بنتيجة الصلح الذي تم بينه وبين ابنه بعد
 اعتقانه بحقوقه ، وندمه على ما حصل منه .

نذكر ملخصها تمة للموضوع ، ولما فيها من الفائدة والعظة والاعتبار .
 فاصبر أخى للابتلاء وشدته صبراً جميلاً لانتهاه مصيبته
 فمن المحال دوام حال فاصبروا لقضاء رب العالمين وحكمته

(١) أى طبع الكتاب المنظومة الشكرية .

(٢) (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) .

فالصبر من عزم الأمور مع التقى
فلها افطنوا ولقول طه تهتدوا
ولتتقوا شرَّ الذي أحسنتمو
أولادنا قال الإله فمنهمو
ولئن صفحتم أو غفرتم إنه
فبرحة من ربنا الرحمن قد
فقد ابتليت بظلم من ربيته
وأساءني زمناً طويلاً وافترى
والله يشهد إننى دافعت عن
بالصبر والتقوى كما هو واضح
لما رأى ولدى افتراءه أساءه
وأثمه بعداً بمحكمة القضا
وبكائه متندماً بما جرى
فعليه قلبي قد أحسُّ بطبعه
وصفحت عنه بعدما كان القضا
حكّم القضاة بصلحنا وتنازلى
كتبت شروط الصلح حسب مراده

حقاً كقول الله محكم آيته^(١)
للحق بالتقوى وحسن هدايته
أتم إليه بغيته وعداوته
لكم عدوٌّ فاحذروه لفنته^(٢)
ربُّ غفور واسع في رحمته
كان ابتلائي مؤلماً في شدته
ولدى أساء نفسه بغوايته
كذباً على الله العليم بحالته
حقى وحق الله بغيته نعرته
في ثالث الأجزاء بعض أداته
حالاً سعى في الصلح قصد سلامته
بعد اعتراف بالحقوق وزلته
بمحضور بعض الناس رغم إرادته
ورجوت ربى أن يمنَّ برحمته
يقضى عليه بحكمه وعداوته
عن دعوتى أيضاً كربة حضرته
وقبولها منى لنهو قضيته

إلى أن قال :

لى أسوة بمن ابتلوا من ربهم
هداً لربى قد بُليت كما ابتلوا
والصبر للإنسان خير وسيلة
وبصبرهم نالوا الرضا بسعاده
ففساء يلحقنى بهم في جنته
لنوال ما يبغيه من أمنيته

والقصيدة طويلاً نكتفى بما ذكرناها، ونرجو لسعاده طول العمر والبقاء، والسعادة والهناء.

(١) قال الله تعالى : (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) .
(٢) (يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) الآية .

مظالم الأبناء للآباء أو عقوق الوالدين

الولد إذا كان مستقيماً مطيعاً لوالديه بارّاً بهما يقال له ولد بارٌّ ؛ وإذا كان شقيّاً مخالفاً لأوامرهما مسيئاً لهما يقال له ولد عاقٍ لوالديه ظالم لهما ؛ وعقوق الوالدين من أفظع الجنايات والآثام ، وأفبح أنواع الجحود والكفران .

ولهذا قد أمر الله عز وجل بحسن معاملة الوالدين وبرّهما ، ونهى عن الإساءة إليهما وعقوقهما ، ومخاطبتهما بالغلظة والفظاظة ، فقال تعالى :

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) .

فأمر جل شأنه بتوحيده وعبادته ، وبالغ في التوصية ببرّ الوالدين وعدم عقوقهما ، مبالغة تقشعر لها جلود الأبناء العاقين ، فقال تعالى : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) أى إن كبرا وهما فى كنفك وكفالتك ، فلا يصح أن تقول لهما أى قول يكدر خاطرهما ، أو يجلب غضبهما ، حتى التأفف الذى هو أدنى درجات القول السيئ ، مما لا يصح أن يصدر منك نحوهما إذا حصل منهما ما لا يلائمك ويعجبك ، بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى ، وتقول لهما القول اللين ، الطيب الحسن ، مع الأدب والتوقير والاحترام ، والتعظيم والاحتشام ، وأن تخفض لهما جناح الذل ، أى تتواضع وتتذلل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة لأنهما صاروا فى حالة تدعوك للرفق بهما ، والمطف عليهما .

ثم أوصى بطلب الدعاء لهما بالرحمة والغفران فقال : (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) أى ارحمهما رحمةً مثل رحمتها وتربيتها إياى ولنا صغير محتاج إليهما .

ولما كان كثير من الأبناء ظلّموا آباءهم وعذبوا أموالهم وأساءوا معاملتهم ، حتى صاروا أعداء لهم ، حذرنا الله من هؤلاء الأبناء ، فقال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَآخْذُواهُمْ ،

وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وقد انتقم الله منهم بأن أطال أعمارهم ، وأفقرهم وأذلهم ، وسلط عليهم أبناءهم ليمثلوا بهم أشنع تمثيل ، ويذيقهم ما أذاقوا لأبائهم ، وكانوا مثلاً سيئاً بين عشيرتهم وإخوانهم وباءوا بغضب من الله ، وبدت عليهم سوء الخاتمة ، ولم يبارك الله لهم في أولادهم .

وهذا من ضروب الانتقام من الله المنتقم الجبار ، القاهر فوق عباده .
ألا فليعلم كل امرئ أن عقوق الوالدين من الكبائر التي حرمها الله تعالى ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

١ — « الكَبَائِرُ : الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ . »

وفي حديث آخر عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
٢ — « كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ » فيدرك الولد العاق نتيجة ذلك في حياته بالعقاب الشديد .

٣ — وذكر أبو الليث السمرقندى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ عَلِمَ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ الْعُقُوقِ أَذْنَى مِنْ أَفٍّ لَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، فَلْيَعْمَلِ الْعَاقُ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَلْيَعْمَلِ الْبَارُّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ » .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

٤ — « أَرْبَعٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُدْزِقَهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَآكِلُ الرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
٥ — « مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

(رواه البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى)

وفي رواية للبخاري ومسلم : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَايَرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة نكتفي بما ذكر منها ويستخلص منها أن أضرار عصيان الوالدين وعقوقهما ، كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه هي :

أولاً : أنه حرم الله عقوق الوالدين وكره ذلك .
ثانياً : أنه من الكبائر المهلكة الموصلة إلى الجحيم .
ثالثاً : أنه يمنع صاحبه من الدخول في الجنة ، والتمتع بنعيمها ، والتعطر بريحها ، وشم شذاها .

رابعاً : ينال العاق جزاءه في الدنيا قبل مماته من تحقير وفقر مدقع ، وأمراض وسخط أهله ، وإبعاده في عقاب أسرع .
ولنذكر بعض أمثلة تطبيعية على ما ذكر في عقوق الوالدين ، نقلاً عن كتاب : « السمر الواعظ » الجزء الثاني .

١ — روى البيهقي عن جابر قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَادْهَبْ فَأْتِنِي بِأَمِيرِكَ ، فَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ فَسَلِّ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعْتُهُ أُذُنَاهُ فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ ؟ تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ ؟ قَالَ : سَلِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ أَنْفَقْتُهُ إِلَّا عَلَى عَمَاتِهِ وَخَالَاتِهِ ، أَوْ عَلَى نَفْسِي ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِيه ، دَعْنَا مِنْ هَذَا ، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعْتُهُ أُذُنَاكَ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ فَقَالَ : قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ فَقَالَ :

غذوتك مولوداً ومنتك يافعا تعلم^(١) بما أجنى^(٢) إليك وتنهل^(٣)
 إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أنمـلـ
 كآنى أنا المطروق دونك بالذى طرقت به دونى فعينى تهمل
 تخاف الردى نفسى عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
 فلما بلغت السن والغاية التى إليها مدى ما كنت فيها أوـمل
 جعلت جزائى غلظةً وفضاظةً كأنك أنت المنعم المتفضل
 فليتك إذ لم ترع حق أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل
 فأوليتنى حق الجوار ولم تكن على بمالى دون مالك تبخل
 قال جابر : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلايب ابنه وقال : « أَنْتَ وَمَالِكَ لِأَبِيكَ » .

٢ — وعن أنس رضى الله عنه : « أن شاباً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى (علقمة) ، مرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل له أبوان ؟ فقيل : مات أبوه وله أم كبيرة ، فأرسل إليها الرسول فجاءت ، فسألها عن حال ابنها ، فقالت : كان يصلى كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدق بمجملته دراهم مائدرى وزنها ولا عدها . قال : فإحالك وحاله ؟ قالت : أنا عليه ساخطة واجدة . قال لها : ولم ذلك ؟ قالت : كان يؤثر على أسرته ويطعمها فى الأشياء . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : سَخَطَ اللهُ مِنْكَ حَتَّى لِسَانُهُ عَنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ثم قال لبلال : انطلق واجمع خطباً كثيراً حتى تحرقه بالنار ، فقالت : يا رسول الله ، ابنى وثمره فؤادى تحرقه بالنار بين يدي ؟ وكيف يحتمل قلبى ذلك ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : إِنْ كَانَ يَسْرُوكِ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ فَأَرْضَى عَنْهُ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَا يَنْتَفِعُ بِصَلَاتِهِ وَلَا بِصَدَقَتِهِ وَلَا بِصَوْمِهِ مَا دُمْتُ عَلَيْهِ سَاخِطَةً ، فرفضت يدها وقالت : أشهد الله تعالى وأنت يا رسول الله ومن حضر أنى قد

(١) عل : شرب مرة بعد مرة . (٢) أجنى : أجليه وأحضره إليك .

(٣) نهل : شرب المرة الأولى حتى روى . والمراد : تنفذه بما أجنىه إليك من الأكل

والمعروب بقدر ما يحتاج وتنتهى .

رضيت عنه . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : انطلق يا بلال فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول لا إله إلا الله ؟ فلمل أمه تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بلال ، فلما انتهى إلى الباب سمع علقمة يقول : لا إله إلا الله ، ومات من يومه .

في هذه الإشارة على أن رضا الرب من رضا الأم والأب ، ولقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

٣ — حدثنا التاريخ أن رجلاً كبر عنده أبوه ، فكره أن يأكل معه على مائدة واحدة وعمره في الأكل ، وصار يأكل هو وأولاده الصغار ، والأب في معزل عنهم منفرداً يأكل من إناء خاص أعد له .

واضح أن انكسر ذلك الإناء ، فنتفقه ذلك الابن العاق على ذلك تعنيفاً شديداً ، وعمل له إناء من الخشب لكيلا ينكسر ، وفي أول مرة كان يأكل منه وهو في معزل ، والصغار أولاد الابن يأكلون معه ، إذا بأحدهم يقول لأبيه : حسناً يا والدي فطمت ، فسنحتفظ لك بهذا الإناء حتى تكبر وتكون مثل جدي ، فتأكل فيه منفرداً عنا ، كما يأكل جدي الآن .

فكانت هذه عظة بالغة لهذا الابن العاق ، الذي قام على الفور يقبل يد والده ويسأله الصفح والمغفرة ، ومن بعدها لم يعد إلى ما كان عليه .

وفي هذه الإشارة إلى أن ما يفعل بالآباء ، يقتص به من الأبناء ، فكما تدين تدان ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

٤ — وقال الأصمعي : حدثني رجل من الأعراب قال : خرجت من الحى أطلب أعق الناس وأبر الناس ، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو في الهاجرة والحر الشديد ، وخلفه شاب في يده رشاء من جلد ملوى يضربه به قد شق ظهره بهذا الحبل . فقلت : أما تتق الله في هذا الشيخ الضعيف ؟ أما يكفيه ما هو فيه من مد هذا الحبل حتى تضربه ؟ قال : إنه مع هذا أبي ، قلت : فلا جزاك الله خيراً ، قال : اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه ، وكذا كان يصنع أبوه بجده ، فقلت :

هذا أعق الناس ، ثم جُلت أيضاً حتى انتهت إلى شاب في عنقه زنبيل فيه شيخ ، كأنه فرخ ، فيضعه بين يديه في كل ساعة فيزقه كما يرق الفرخ ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : أبى وقد كبر فأنا أ كفله ، قلت : فهذا أبرّ الناس ، فرجعت وقد رأيت أبرّهم وأعقهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « بِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبِرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ » .

ظلم الأمم سبب هلاكها وفنائها

في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل صراحة على أن أسباب هلاك القرى والأمم هي الظلم والظلمانيان ، وعدم اتباع أوامر الله الواحد الديان ، نذكر منها ما يأتي مع تفسيرها :
١ - (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا)

سورة الكهف آية ٥٩

يقول الله تعالى ذكره : (وتلك القرى) أى عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا ، فكفروا بالله وآياته (وجعلنا لمهلكهم موعداً) يعنى ميقاتاً وأجلاً ، حينما بلغوه جاءهم عذابنا فأهلكناهم به .

٢ - (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) سورة الإسراء آية ١٦

يقول الله تعالى ذكره : وإذا أردنا أن نهلك قرية كثرنا متنعميها فتسكعوا في ضلالتهم واستهتروا في الجرى وراء أهوائهم ، فوجبت عليها كلمة ربك فدمرها تدميراً .

حقاً إن أمراض النفوس لأشد فتكاً بالشعوب ، وأسرع إبادة للأمم من أمراض الأجسام ، وإليك الدليل الحديث المحسوس ، ما قاله وزير فرنسا المنكوبة في الحرب الثانية الطاحنة ، قال ضمن خطبة له :

« إن محنة فرنسا جاءت من الانحلال الخلقي ، والأنهيار الذى سببته نشوة النصر ، فاندفعنا في اللهو والرح ، وطنى ذلك على روح التضحية ، وأراد كل أن يأخذ أكثر مما يعطى .

نم أخلاق الأمم مقياس كفاءتها ، وعنوان شهرتها ، وقوة سلطتها ونصرها ، وإن

المعاصي تزيل النعم ، وتزيد النقم ، وتميت الهمم ، وتفسد الذمم ، وتضعف العاطفة الوطنية ، وتميت النخوة والشهامة والحمية ، وتعصف بروح الجندية ، وتصرف الشعب عن الإنتاج والعمل ، إلى اللهو والكسل ، وهذا هو عين الضياع والفشل .

٣ - (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعْتَلَّةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ) سورة الحج آية ٤٥

يقول الله تعالى ذكره : وكمن قرية أهلكنها وهي ظالمة ، فهي ساقطة حيطانها على سقوفها ، وكمن بئر ملأى بالماء معطلة لهلاك أهلها ، وكمن قصر مشيد خال من سكانه .

٤ - (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلَيْنَا لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ) سورة الحج آية ٤٨

يقول الله تعالى ذكره : وكمن قرية أمهلنا وهي ظالمة لترجع إلى الصواب ثم أخذتها بعد اليأس من صلاحها ، وإلى المرجع والمصير .

٥ - (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) سورة النمل آية ٥٢

يقول الله تعالى : كان في المدينة تسعة رجال من أهل الفساد تحالفوا على مباغنة (صالح عليه السلام) وقتله هو وأهله ، وأن يقولوا لولى دمه : ما حضرنا هلاكهم فضلاً عن ارتكابه ، ومكروا مكرم ، ورد الله كيدهم في نحرم وهم لا يشعرون .

فكان عاقبة مكرم أن محنتهم الله أجمعين ، فتلك بيوتهم مهدمة بما ظلموا ، وفي ذلك عبرة لقوم يعلمون فيتعظون .

٦ - (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)

سورة النحل آية ١١٢، ١١٣

وضرب الله مثلاً : قرية كانت آمنة مطمئنة ، لا يشوب صفاء أهلها كدر ، يأتيها

رزقها موسعاً من جميع نواحيها ، فكفرت بنعم الله عليها ، فأذاقها الله ألم الجوع والخوف بما كانوا يعملون .

ولقد جاءهم رسول من جنسهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون .

٧ - (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) سورة القصص آية ٥٨

وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها ، فانظر إلى مساكينهم قد خلت منهم ، ولم يسكنها من بعدهم إلا المارة يأتون إليها زمناً يسيراً ثم يهجرونها وكنا نحن وارثها .

٨ - (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) سورة القصص آية ٥٩

وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أكرمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا لنهلك القرى إلا وأهلها قد استحقوا الهلاك بظلمهم .

٩ - (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) سورة الحجر آية ٤٤، ٥

وما أهلكتنا من أمة إلا ولها أجل محدود ، مقدر في اللوح المحفوظ لا تتقدم أمة أجلها ولا تتأخر عنه .

١٠ - (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) سورة يونس آية ١٣

ولقد أهلكتنا الأمم السابقة بسبب ظلمهم حيث أرسلنا إليهم رسلنا بالبينات ، فلم يؤمنوا وكذلك نجزي القوم المجرمين .

١١ - (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنْصُودٍ . مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) سورة هود آية ٨٢ ، ٨٣

لما جاء عذابنا قلبنا مدينتهم بهم ، وجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجرة منتظمة متتابعة ومطلعة من خزان ربك ، وهي ليست من الظالمين ببعيد .

١٢ — (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)

سورة هود آية ١٠٢

بعد أن ذكر الله أخبار القرى التي أبيدت وأهلكت بسبب ظلمهم باتباع الأضاليل ولم تنفعهم آلهتهم بشئ لما جاءهم عذاب الله قال : ومثل ذلك الأخذ ، أخذ ربك إذا انتقم من القرى وهي ظالمة له ، انتقاماً أليماً شديداً .

١٣ — (وَكَمۡ قَصَصْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ)

سورة الأنبياء آية ١١

وكم أهلكنا من قرية كانت ظالمة ، وأوجدنا بعدها قوماً آخرين .

١٤ — (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ)

سورة الشعراء آية ٢٠٨ ، ٢٠٩

إننا لم نهلك قرية إلا بعد أن نبعث فيها مندرين يذكرون لأهلها عاقبة تماديهم في النفي والضلال ، وما كنا ظالمين .

١٥ — (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) سورة هود آية ١١٧

وما كان ربك ليهلك أهل القرى ظلماً وهم مصلحون ، أى يعملون الصالحات ، ويتمسكون بالفضائل .

١٦ — (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ

الظَّالِمُونَ) سورة الأنعام آية ٤٧

قل لهم يا محمد : أرايتكم لو أتاكم عذاب الله فجأةً بلامقدمات ، أو جهرةً تتقدمه أمارات

هل يهلك إلا القوم الظالمون ؟

وفي هذا القدر كفاية ، والسلام على من اتبع الهدى .

مظالم الدولة الرومانية^(١) للأمة المصرية

إن مصر شهدت في عصر الدولة الرومانية من المظالم ما لم تره في أى عصر من عصورها ، ولا سيما فيما يختص بالاضطهادات لأجل الدين ، فإن المصريين أخذوا بالديانة المسيحية في منتصف القرن الأول للميلاد بدعوة (مرقس) صاحب الإنجيل فإنه وفد إلى مصر في منتصف القرن الأول ، ونشر التعاليم المسيحية فقبلها المصريون ، وأول كنيسة شيدت في هذه البلاد كانت في الاسكندرية سنة ٦٧ م فلم يرق هذا الدين في أعين الرومانيين في أوروبا ، فعارضوه ومنعوا انتشاره ، وأخذوا متبعيه بالقسوة المفرطة ، فصاروا يحرقونهم أو يذبونهم حتى يموتوا تعذيباً ، وأوعزوا إلى نوابهم في مصر أن يجرؤوا على هذه الطريقة ، فجرؤوا عليها في معاملة (القبط) ، فازهقوا منهم أرواحاً لا تحصى .

وظل الحال على هذا المنوال إلى أن تولى الأباطور الرومانى (ديقلاديانوس) من سنة ٢٨٢ إلى سنة ٣٠٣ م فعزم على إبادة المسيحيين ، فأعمل فيهم السيف في أوروبا ، وأمر نائبه على مصر أن يحدو حذوه في هذه البلاد ، ثم حضر هو نفسه إلى هذه البلاد ، وأعمل في أهلها الحديد والنار حتى قتل منهم ما يزيد عن الثمانمائة ألف نسمة ، وهى من الاضطهادات الكبرى التى قلت أمثالها في تاريخ البشر ، ولم يكن الحكم الرومانى من الوجهة المدنية على أسلوب يحجب أهل هذه البلاد فيهم ، فقد كان الظلم سنة تلك الحكومة حتى ضج الناس ولم يجدوا لهم مخلصاً غير الاستسلام ، فصبوا مكرهين إلى سنة ٦٤٠ م حتى أتاهاهم العرب مخلصين لهم من هذا العذاب المهيّن .

فانظروا أيها المصريون المسيحيون إلى سوء معاملة الرومانيين لكم ، واضطهادهم لدينكم واحمدوا الله الذى خلصكم من أيديهم بفضل العرب والإسلام .

(عن دائرة المعارف لفريد بك وجدى)

(١) كان مقر الدولة الرومانية بلاد إيطاليا الحالية .

المثل الأعلى في الظلم (نيرون)

هو أمبراطور روماني تولى الملك وهو ابن خمس عشرة سنة ، فأظهر في أول أمره الوداعة ولين الجانب ، ثم تغيرت أحواله ، وتبدلت أطواره ، فأخذ في سلوك سبيل الجور والعسف وأوغل في رعيته ظلمًا وجورًا ، وارتكب في تسكعه في هذا السبيل أمورًا لم يستجمعها ظالم قاهر من قبله .

فمن مظالمه أنه عدا على معلمه الفيلسوف (سينيك) المشهور فقتله ، وقتل أمه التي كانت سببًا في توليه الملك وإجلاله على العرش ، وقتل امرأته وأخاه ، وقتل (يولسي ، وبطرس) الرسولين المسيحيين المشهورين ، وقتل مرقس صاحب الإنجيل بالإسكندرية ، وكان يكره أن ينتشر الدين المسيحي في رومية ، فبأنه أن بعضًا من أهلها صبا إلى هذه الديانة (أى خرج من دينه إلى دين آخر) فأمر بإضرام النار في قسم منها ، وجلس على سطح قصره يعزف بالألحان ، ويتلهى بالنظر إلى النار ، وهي تلتقم بالسنتها الرجال والنساء والأطفال ، ثم نهض فأتهم المسيحيين بإحراقها ، وأخذ في التفتن في اضطهادهم ، حتى لم يدع وجهًا من وجوه القسوة إلا ارتكبها فيهم ، (حتى صار يضرب به المثل في الظلم والجور) .

فلما طال على الناس أمره اجتمعت كلمة رجال المملكة على عزله فعزلوه ، وحكموا عليه بالقتل ضربًا بالعصى ، فأبى نفسه أن يموت تعذيبًا فقتل نفسه بيده (أى انتحر) .
وقيل : أوعز إلى كاتم أسرارته بقتله فقتله ، وقيل : هجم عليه الجنود فقطعوه بسيوفهم قطعًا قطعًا ، حتى لم يبق له عضو يعرف ، ثم رموا بأشلائه إلى الكلاب .
ولد سنة ٣٧ ميلادية ، وتولى الملك سنة ٥٤ وقاتل سنة (٦٨) م .

(دائرة معارف القرن العشرين لفريد بك وجدى)

وهذا جزاء ظلمه وعدوانه كما قال تعالى : (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) .

وجاء في الحكم : * وما من ظالم إلا سبلى بأظم *

نسأله تعالى أن يجنبنا الظلم ، وأن يكفيننا شر الظالمين .

ظلم أحمد بن طولون

حكى أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى سيدة من الصالحات ، قيل إنها السيدة (نفيسة رضى الله عنها) وشكوا ذلك إليها . فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : فى غد .

فكُتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت : يا أحمد بن طولون .
فلما رآها عرفها ، فنزل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها :
« ملكتم فأسرتم ، وقدرتم ففهرتم ، وخولتم (أى أعطيتهم نعماً وخدماء) ففسدتم ،
وردت إليكم الأرزاق ففقطتم .
هذا وقد علمت أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ، لاسيما من قلوب أوجمتوها ،
وأكباد أجمتموها ، وأجساد عريتوها ، اعملوا ما شئتم فإننا صابرون ، وجوروا فإننا بالله
مستجيرون ، واظلموا فإننا لله متظلمون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) » .
بعدل لوقته .

(من كتاب نور الأبصار ص ١٨٨)

ولقد صدق رسول الله فى حديثه : « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
اللَّهِ حِجَابٌ » وسبق شرح هذا الحديث .

ظلم الدول الكبيرة للدول الصغيرة

لاستعبادها واستنفاد ثروتها وأموالها

١ - ظلم إنجلترا لمصر

قضت إرادة الله — ولا راد لقضائه — وقضى سوء الحظ أن تقع مصر (مهد الحضارة والمدنية) في أيدي الإنجليز منذ سنة ١٨٨٢ ، وأن تستمر في قبضتهم ، وتحت نفوذهم وسيطرتهم أكثر من نصف قرن (٦٥ سنة) حتى ذاقَت مرارة الصبر والضجر ، ورأت ألوان العذاب والكدر .

ولما أراد الله أن تنهض من كبوتها ، وأن تفيق من غفلتها ، هيا لها الأسباب للدفاع عن نفسها وحريتها ، ورفع نير الظلم عنها ، فرفعت قضيتها أخيراً أمام مجلس الأمن المنتخب من كبار الدول من هيئة الأمم المتحدة ، الجامعة لكل الدول بما فيها مصر طبقاً لميثاق الهيئة الذي ينص على المساواة والاتحاد ، واحترام الحقوق ، وإزالة الخلاف والنزاع بين الدول ، حفظاً للسلم العام .

رفعت مصر هذه القضية في يولييه سنة ١٩٤٧ ، مؤيدة بالحجج والمستندات ، مطالبة بحقوقها الشرعية وهي (جلاء الجنود الانجليزية جلاءً ناجزاً بلا قيد ولا شرط) ، وأجمع الشعب المصري على تأييد هذه المطالب ، ووقف وراءه دول العرب جميعها مؤيدة أيضاً لهذه المطالب والبلاد الإسلامية ، وكل شعب يطالب بحقه في الحرية والحياة .

وأخذت القضية أدواراً كثيرة في شهرى يولييه وأغسطس من سنة ١٩٤٧ في مناقشات ومعارضات واقتراحات ، وتقديم مذكرات ، ومع هذا كله لم يستطع مجلس الأمن الفصل في هذه القضية ، ولا أن يبدي قراراً حاسماً بشأنها ، مع عدالة مطالبها ، وموافقة بعض الدول عليها وهي : (روسيا ، وبولندا ، وسوريا ، وأمريكا) مع بعض التحفظ مجاملةً لإنجلترا ، بل أجلتها إلى أجل غير مسمى ، مع بقاء قيدها في جدول الأعمال ، رغمًا عن محاولة إنجلترا شطب القضية ، مما هو منشور ومذكور بالتفصيل في الجرائد العربية والإفريقية ، ولا محل هنا لتكرارها خوف التطويل والملل .

ولم يراع مجلس الأمن العهد والميثاق الذى من أجله تكوّن وتشكل ، فكان فى قراره ظالماً غشوماً ، وفقد بذلك قوته وسلطانه وسمعته .

فإذا كانت مصر لم تستطع أن تنال السبعة أصوات فى مجلس الأمن المقررة لكسب قضيتها ، فيكفيها نغراً وشرفاً أن نالت أصوات الملايين من العالم ، وأن العالم أجمع أصدر حكمه لها بأنها صاحبة الحق المضمون ، والشعب المظلوم ؛ وهذا يعتبر فى نظر رجال العدالة فوز أدبى مما يقوى عزيمتها وإرادتها فى الاستمرار على النضال والمكافحة حتى تتحرر من آخر جندى إنجليزى فى بلادها ، وتنال حرية كاملة ، واستقلالاً تاماً بالمعنى الحقيقى ، فى ظل صاحب العرش : « الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان » ، حفظه الله ، وأيد ملكه ، آمين .

شكوى مصر من الاحتلال

(لفضرة صاحب العزة المرحوم حافظ بك إبراهيم الشاعر الأديب)
 نشرت فى أول يناير سنة ١٩٠٧ م وطبعت بدوانه بالجزء الأول ص ٢٥
 لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلماً منظماً^(١)
 تمنّ علينا اليوم أن أخصب الثرى وأن أصبح المصرى حرّاً منعماً^(٢)
 أعدّ عهد (إسماعيل) جلدًا وسخرة فأنى رأيت المنّ أنكى وآلما^(٣)
 علمت على عزّ الجهاد وذُلّنا فأغليتم طيناً وأرخصتم دما
 إذا أخصبت أرض وأجذب أهلها فلا أطامت نبتاً ولا جادها السما^(٤)
 نهش إلى الدينار حتى إذا مشى به ربّه للسوق ألفاه درهما^(٥)

(١) حواشيه : نواحيه ، وتهذيبها : إصلاحها .

(٢) تمنّ : يخاطب عميد الدولة الانجليزية ، ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد فى تقريراته من صلاح حال مصروفاتها بفضل الانجليز .

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كان يردده عميد الدولة الانجليزية وغيره من ساسة الانجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من المهود ، ولا سيما عهد إسماعيل ، ممتدّين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم من تسخير الناس وجلد ظهورهم .

(٤) جادها السماء : أى نزل عليها المطر .

(٥) هش إليه : ارتاح وبش . ويشير بهذا إلى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها ، حتى إن الدينار ينزل إلى قدر الدرهم فى الشراء .

فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تقد متاعاً ولم تعصم من الفقر - مغنا
فإن كثير المال والخفض وارف قليل إذا حل الفلاء وخيماً^(١)

لاتأمن الأمم بعضها ظلم بعض إلا بالقوة

ولا تحفظ كل أمة وجودها إلا بفضل القوة

(من كتاب حقوق الشعب للأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك)

الناس منذ خلق الله العالم لم يحافظوا على حقوقهم ، ولن يحافظوا عليها إلا بمقدار
مالديهم من شدة ، وبأس وقوة ، وكذلك الأمم تتصارع وتتنازع في معترك الحياة الباقية ،
ولا يسود في تنازعها الأبدى مبدأ أيده الحوادث قديماً وحديثاً مثلما يسود بينها مبدأ القوة ،
فكم ديست للأمم حقوق لأن القوة تنقصها ، وكم انتهكت لها حرمات لضعفها وقلة حولها ،
ولكم خدعت الأمم نفسها ، وأرادت أن تعيش ضعيفة بين أمم قوية ، فسارعت تلك
الأمم في معاملتها عهداً ، ولا أنجزت وعداً ، ولا احترمت لها حقاً ، ولا سمعت منها قولاً ،
بل كان نصيبها أن توطأ حريتها وحقوقها تحت الأقدام !

ما أظلم الناس فرداً ! وما أظلم الناس جماعات ودولاً ! فكما أنه لا يمنع ظلم الإنسان عن
أخيه الإنسان إلا القوة ، وأعنى بها قوة الحكومة التي تضمن لكل فرد حقه ، كذلك
لاتأمن الأمم بعضها ظلم بعض إلا بالقوة ، ولا تحفظ كل أمة وجودها إلا بفضل مالديها
من القوة .

هكذا العالم وتلك سنة الله فيه ؛ فما أتعس حظ تلك الأمم التي جهلت ذلك المبدأ
ونبذته ! لا تجد من ينصفها على من يظلمها حتى من أبنائها الذين هم أقرب الناس إليها ،
يميشون عبيداً للقوة ، وخداماً لها ، وهي تطالب بحقوقها ، فلا تجد من يجيب طلبها ،
أو يصفى لندائها ، لأن القوة تنقصها .

المصرى في ١١/٩/١٩٤٨

(١) الخفض : سعة العيش ورغده . والوارف : المنع .

يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وفلاء الحاجات لانقش شيئاً .

٢ - مظالم إيطاليا وفضائعها في طرابلس الغرب

في سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)

نقلًا عن كتاب « المنظومة الشكرية » الجزء الثالث ص ٢٥٤

ومن التوحش ما جنت إيطاليا بطرابلس الغرب انظروا لفضاعته
قتلوا الرجال ونصروا الأطفال بل هتكوا النساء بظلمهم وقساوته
داسوا المصاحف بالنعال وجأهروا بعدائهم للنبيذ ولأمتهم
ظنوا بهذا نصر المسيح ودينه أن المسيح خصيهم بقيامته
فالناس طرًا يذكرون صنيعهم والله يلغهم وكل خليقته
ويل لأهل الظلم حين جزائهم دنيا وأخرى ويلهم من نعمته

وقد انتقم الله نعلًا من هذه الدولة الظالمة في الحرب العالمية الثانية ، وسلخ من يدها الحبشة وطرابلس^(١) الغرب أيضًا ، وأفل نجمها ، وضاع الكثير من رجالها وأولادها وأسطولها ، وأصبحت يضرب بها المثل ، في الخزي والعار والفشل .

وهذا جزاء وانتقام من الواحد القهار ، لأهل طرابلس الغرب ، وذكري وعبرة لغيرها .
هذا ، وقد أراد الله أن يتحول الحال ، بعد طول الصبر والانتظار ، وبعد العداء الذي كان مستحكمًا بين الإيطاليين والطرابلسيين أن تطلب إيطاليا استقلال طرابلس ، فسيحان مقاب الأحوال ، وبلوغ طرابلس هذا الاستقلال على يد عدوتها الظالمة (إيطاليا) .

انظر المصري الصادر في ٢٦ يولييه سنة ١٩٤٩ الصفحة الثالثة بالخط الثلث :

(إيطاليا تطلب استقلال أريتريا بالحبشة وطرابلس)

(١) سقطت طرابلس في أيدي البريطانيين في يوم السبت ٢٣ يناير سنة ١٩٤٣

٣ - ظلم فرنسا لتونس ومراكش والجزائر

مضى أكثر من ربع قرن وفرنسا مستولية على تونس ومراكش والجزائر ، وظلت هذه الدول رابضة تحت أغلال الاستعمار الفرنسي ، وهي تستغيث وتتظلم ، ولا مغيث ولا مجيب ، إلى أن قيض الله لها أميراً باسلاً حازماً وهو (الأمير عبد الكريم) وشقيقه (محمد) الذي التجأ إلى مصر هو وشقيقه في الصيف الماضي ، وهو مقيم الآن بدمر عظيم بشارع سعد زغلول ، يجتمع عنده من وقت إلى آخر زعماء الجهاد المغربي وغيرهم .

وقد نظم زعماء الجهاد المغربي في القاهرة جهودهم هذه الأيام ، فأسسوا لجنة (تحرير المغرب العربي) مؤلفة من ممثلها لمختلف الأحزاب في تونس ومراكش والجزائر ، تكتنفهم زعامة الأمير عبد الكريم الذي اختاروه رئيساً دائماً لهيئتهم ، كما اختاروا شقيقه وكيلاً دائماً لها كذلك .

وقد استند رئيس تلك اللجنة إلى ميثاق تجلت خلاله مبادئ الكفاح المغربي في سبيل « الاستقلال التام ، والتعاون مع بلاد العروبة في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار ، كما تجلت « عملية » الوسائل التي يلجأ إليها لتحقيق تلك المبادئ ، فلم تقف عند حد « السلبية » بل تجاوزته إلى « الإيجابية » حين سمحت « للأحزاب الأعضاء في لجنة التحرير أن تدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والأسبانية ، وحين اشترطت على هذه الأحزاب أن تطلع اللجنة على سير مراحل المخابرات أولاً بأول » .

وفي هذا التوفيق بين مثل المبادئ وطرائق العمل المنتج ، ما يسجل الإسلام بطبيعة تشعب المواقف ، ودقة المعالجة فيما يتصل بالشئون العامة ، والعلاقات الدولية ، وما يدعو إلى الاطمئنان ، وترقب الوصول إلى تحقيق الآمال ، وهو ما ترجوه لإخواننا المغاربة المخلصين .

(المصري في ١١ ، ١ ، ١٩٤٨)

٤ - ظلم هولندا لاندونيسيا

حدث في أفق العالم الإسلامي محنة قاسية ، وهي تلك الحرب الشمواء التي شنتها (دولة هولندا) على إخواننا المسلمين (باندونيسيا) ، وكان تلك الدواة المعتدية قد أبت إلا أن يكون في اعتدائها إيذاء لشمورنا قاطبة ، فجاءت مهاجمتها للاندونيسيين في شهر له حرمة وتقديس هو شهر رمضان (١٣٦٦) المعظم .

فقد كان الأمل قوياً عقب اتفاقية (لينجاذجاني) في أن يستتب السلام في تلك البلاد وأن ينعم هذا الشعب الباسل بحياة مستقرة ، ينصرف في ظلها إلى رفع مستوى حياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ويتخلص من أغلال الاستعمار التي طالما رسف فيها ، ويتبوأ بين الأمم المحبة للسلام مكاناً يليق به ، وتوهله له مساحة بلاده الواسعة ، التي تربو على مساحة هولندا ستة وخسين مرة ، وعدد سكانها الذي يقدر بخمسة وسبعين مليون نسمة ، أي ثمانية أمثال سكان هولندا .

ولكن ذلك الأمل القوي قد تلاشى عند ما غدرت هولندا بأندونيسيا ، ونقضت تلك الاتفاقية ، مما يؤكّد أن قبول الهولنديين لها إنما كان لضرورة اقتضاها ضعف مركزهم الحربي والسياسي .

على أن الشعب الأندونيسي لا يقف وحده في هذه المحنة القاسية ، فها هو يحظى بعطف شعوب العالم كله ، ويتمتع برعاية الأمم الإسلامية خاصة .

وها هي استراليا والهند تقدمان قضيته إلى مجلس الأمن ، وهذه هي الصحافة الحرة في كافة أنحاء العالم تناصره وتعضده ، وتنحى باللائمة على اعتداء هولندا ، وهؤلاء هم المسلمون يتميزون غيظاً من جراء هذا الاعتداء ، ويصبون جام غضبهم وسخطهم على مرتكبيه ، ولا غرو (فالمسلم للمسلم كالبنانيان يشد بعضه بعضاً) .

وما كانت مصر (وهي قلب العالم الإسلامي ، ومناط رجائه) لتغفل عما يعانيه الشعب الأندونيسي الكريم ، فهبت على اختلاف هيئاتها وأحزابها ، تبدي عطفاً عليه ، وتظهر مشاركتها له في محنته .

ولقد توج ذلك كله لفظة المليك العظيم ، وعطفه السامي ، فوجه (حفظه الله) أنظار ممثلي بريطانيا وهولندا والولايات المتحدة بمصر ، إلى الموقف في أندونيسيا ، معرباً عن رغبته الكريمة في أن تنتهي هذه الحالة سريعاً بالوساطة العادلة ، وبما يرضى نفس جلالته ونفوس المسلمين قاطبة .

وإنا نسأل الله الكريم ، أن يكشف عن إخواننا الأندونيسيين هذه النعمة ، وأن نسوي مسألتهم عاجلاً ، بما يكفل الحرية لهذا الشعب الباسل ، ويحقق له ما يصبو إليه من أمن وسلام ورفق . (أحمد حمزة)

العدد الثاني من مجلة لواء الإسلام

أول شوال سنة ١٣٦٦ — أغسطس سنة ١٩٤٧

جاء بمجريدة المصري العادرة في ٢٦ يولييه سنة ١٩٤٩ أن هناك مساعي تبذل لوقف حرب أندونيسيا

٥ - ظلم أمريكا لعرب فلسطين

(العرب والصهيونيون)

فلسطين هي إقليم من أقاليم سوريا ، يحدها شمالاً (فينسيا) وجنوباً (البحر الميت) ، وغرباً (البحر الأبيض المتوسط) ، وشرقاً (صحراء سوريا) ، ويرويه نهر (الأردن) التابع لشرق الأردن (وهي تعتبر جزءاً من شرق الأردن) .

وهذا الإقليم يسمى أيضاً (أرض كنعان) وأسسها يعقوب بعد أن بنى سيدنا إبراهيم الخليل الكعبة ، وتعرف بالأرض المقدسة (أو بيت المقدس عند المسيحيين) ، وبها المسجد الأقصى الذي يحج إليه سنوياً عدد عظيم من المسلمين والمسيحيين ، وكانت قديماً ولاية عثمانية يحكمها والٍ مقره (بيت المقدس) ثم أصبحت مشمولة بالانتداب البريطاني ، تحت سلطة المندوب السامي البريطاني السير (هربرت صمويل) للآن ، وقد قررت الحكومة البريطانية الانسحاب منها في مايو سنة ١٩٤٨

هذه هي فلسطين التي قام الصهيونيون (وهم قوم من اليهود المتعصبين ^(١)) المقيمون في بلدة (صهيون) وهي أحد تلال (أورشليم) ، وكثيراً ما يعبر عنها أورشليم نفسها ويقدمونها ، لمناوأة العرب وإرهابهم ، وغصب حقوقهم ، ونزع أراضيهم ، وموارد أرزاقهم ، وسلب أوطانهم لتأسيس (وطن قومي لهم) فيها ، وقد قام العرب من ناحيتهم عن بكرة أبيهم ، وقام معهم جميع رؤساء الدول العربية (الجامعة العربية) في سوريا ولبنان ودمشق وشرق الأردن والمملكة السعودية (الحجاز) والعراق واليمن وإيران ومصر أيضاً لنجدتهم ، وأخذوا يناضلون ويدافعون عن قضيتها أمام جمعية الأمم المتحدة التي اجتمعت في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ بالحجج التاريخية والبراهين القانونية بأنها (ملك

(١) الصهيونية أصلها فكرة ترمي إلى إنشاء دولة عنصرية يهودية ، والعنصرية تدل على التعصب لشعب ما ، أولفئة منه مع ما قد يقرن به هذا التعصب في مظلم الأحوال من نكرة وصلف وادعاء التفوق على من لا ينسب إلى ذلك الشعب أو إلى تلك الفئة — هذه العنصرية أصبحت سبباً مباشراً لأشد ما ابتليت به الإنسانية من ظلم ، ولأشد ما عانت من قن وحروب دامية نشبت للتخلص من ربقته .

(كتاب الصهيونية لمؤلفه م . كفوري)

للعرب) وأن اليهود لا يشغلون إلا جزءاً قليلاً منها ، وهم أقلية بالنسبة للعرب ؛ ولكن مع الأسف الشديد لم تنل فلسطين إلا أصواتاً قليلة ، واجتمع للصهيونيين ٣٣ دولة مسيحية بطريق الضغط الأمريكاني ، والإغراء والرشوة ، وقررت هيئة الأمم هذا القرار الظالم وهو « تقسيم فلسطين » إلى قسمين : قسم لليهود ، وقسم للفلسطينيين ، ولم توافق عليه عموم الدول العربية وغيرها .

فعاد رؤساء الحكومات العربية ، وكلهم غاضبون ساخطون على هيئة الأمم ، مستنكرون لقرارها الفظيع ، وقامت مصر محتجةً ومستنكرةً لهذا القرار ، وقامت مظاهرات كثيرة ، أهمها المظاهرة القومية العظيمة ، التي قامت من الجامع الأزهر في يوم الأحد ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، ومرت بفندق (السكوتنتال) النازل فيه رؤساء الأمم العربية ، وهناك أقيمت خطب من أعلى الفندق للأمرير فيصل وغيره .

وأنشد فيها النشيد الفلسطيني الذي نقبَس منه :

فلسطين هي ولا تجمدى وبالسيف والنار هيا احصدى
أنتك الجحافل في الموعد تصب الهلاك على المعتدى
إذا لم تثب للرشاد العدا جعلنا المنايا لهم موردا
دوى المدافع أحلى نشيد * * * صوت البنادق لحن فريد
فها اسحق العدو العنيد مد فنى مصرع البغى للحق عيد

وفي يوم الثلاثاء ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٧ عقدوا اجتماعاً بوزارة الخارجية استغرق أربع ساعات متوالية ، من الساعة ٦ إلى الساعة ١٠ ، وعلى أثر انتهاء الاجتماع قابل سعادة (عبد الرحمن عزام باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية الصحفيين ، وأعلنهم باتهاء الاجتماعات ، وأذاع عليهم البيان الآتى ، الذى أصدره المجتمعون ، ونشر في عموم الجرائد في يوم الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧ :

بيان رؤساء الوفود

منذ تلاقى أغراض الاستعمار ، وأطماع الصهيونية ، على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وعرب هذه البلاد في محنة تفرض القوة عليهم جماعات أجنبية عنهم تأتيمهم

من الغرب ومن الشرق بلغاتها وعاداتها ، ومذاهبها الاجتماعية ، ولا تلبث هذه الجماعات أن تنتزع من العرب بشتى الوسائل أراضيهم وموارد رزقهم ، وهي اليوم تسلبهم أوطانهم ، وقد مدت الدولة المنتدبة (انجلترا) هؤلاء الدخلاء بالمعونة ، فكنتمهم من إنشاء جيش مدرب ومسلح ، انقلب في السنين الأخيرة إلى أداة إرهاب ، وأداة شر على البلاد جميعاً ، بما عاثوا فيها من فساد ، وقد بصرت حكومات الدول العربية الدولة المنتدبة وغيرها من الدول في مناسبات كثيرة بطرائق شتى ، وفي مؤتمرات متعددة بسوء المنقلب في فلسطين ، وكاشفتها بالعاقبة الوخيمة لعملها وعمل الصهيونيين ، وما يؤدي إليه من حروب وقتل بين المسلمين والمسيحيين من ناحية ، واليهود من ناحية أخرى تعم الشرق بأسره ، وقد تمتد أحقاباً طويلة .

ولما تفاقمت الحالة في فلسطين ، وعجزت الدولة المنتدبة عن حفظ الأمن والنظام ، عرضت أمر الانتداب على هيئة الأمم المتحدة ، فأدت وفود الدول العربية في دورتي الجمعية العامة واجبها كاملاً ، وأظهرت حق العرب وبنى الصهيونية ، وأنذرت بالعواقب الوخيمة إذا ما تجاهلت الجمعية مبادئ الحق والديموقراطية ؛ ولكن لشديد الأسف تنكرت الجمعية لذات المبادئ الذي تضمنها ميثاقها ، فأوصت (بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها) وهي بذلك قد أهدرت حق كل شعب في اختيار مصيره وتقريره ، وأخلت بمبادئ الحق والعدالة جميعاً ، وهي بعد قد رسمت للتقسيم حدوداً تجعله غير قابل للتنفيذ عملاً ، وتجعله أبداً مصدر الاضطراب والفتنة ، فأدخلت فيما أسمته (بالدولة اليهودية) أجود أراضي العرب وأوسعها رقعة ، وأكبر موارد الثروة الاقتصادية في البلاد وأخطرها شأنًا ، ووضعت نصف مليون من العرب مسيحيين ومسلمين تحت نير الصهيونيين وسيف إرهابهم ، وهم أنفسهم لا يتجاوزون عدد العرب الذين يراد وضعهم تحت سلطان الصهيونية الدخيلة ، وذلك بعد أن نزعَت الدولة المنتدبة من العرب سلاحهم ، ومكنت الصهيونيين من رقابهم .

ولقد استفز هذا الوضع الظالم الشرق بأسره ، بل أكثرية سكان العالم أجمع ، فهبت الشعوب العربية والإسلامية جميعاً مندفة لإزهاق الباطل وإحقاق الحق ، وإنقاذ عرب فلسطين المستضعفين في أرضهم وديار آبائهم وأجدادهم .

وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفاً واحداً في جانب شعوبها في نضالها لدفع الظلم عن إخوانهم العرب ، وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم ، ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها .

وقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة (أن التقسيم باطل من أساسه ، وقرروا كذلك عملاً بإرادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بعون الله بإحباط مشروع التقسيم الظالم ، ونصرة حق العرب ، ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات) .

وسيرى العالم استحالة أخذ العرب بالعنف ، وإخضاعهم للقوة أيّما كان مصدرها ، وسيرى العالم أن العرب حين دعوا إلى التمسك بقواعد الحق والعدل ، وحين أُنذروا بعواقب المغامرة الصهيونية إنما كانوا طلاب حق وعدل بين الناس جميعاً ، راغبين في استبعاد أسباب الفتن والاضطراب من الشرق الأوسط ، حريصين على إقرار السلام في ربوعه . وسيرى العالم كذلك أن الذين عملوا على تقسيم فلسطين دون تدبر العواقب يتحملون وحدهم مسئولية الفتن والاضطرابات التي أثاروها والتي لا يعلم مداها .

أما وقد تغلبت الشهوات والأغراض حتى في ساحة الأمم المتحدة ، وأغلقت أبواب الحق والعدل في وجوه العرب ، فإنهم قد وُطدوا العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة بإذن الله ، قسّتهم مبادئ الأمم المتحدة في نصابها السليم وتسود في الأرض المقدسة مبادئ العدالة والمساواة بين الناس أجمعين .

وعلى أثر إذاعة هذا البيان انتهت التبرعات والتطوعات من عموم العالم الإسلامي ، حتى من يهود مصر وأمريكا لإنقاذ فلسطين من محنتها ؛ وقامت معارك دموية بين عصابات العرب واليهود ، وسيتم بها حرب طاحنة بين الجيوش النظامية .

وقد أنشد الدكتور إبراهيم ناجي بمناسبة هذه الثورة الصادقة نشيداً نشر بمجلة الاثنين

السيف يحسمها

إن أنت لم تنصف فالله منتصف دار النبيين دار ليس تنتصف^(١)
دار النبيين أقداس موحدة سلوا بها الدهر فالتاريخ يعترف
سلوا السيوف التي سات لتنقذها ومن دماء العدا والظلم تعترف
إذا اليهود أرادوا بيننا وطناً فتلك أخوكة فوق الذي تصف
أخوكة غير أن السيف يحسمها إن الدماء على حوض الفدا شرف

فنسألك اللهم أن تمد العرب بمعونتك ، وأن تنصرهم على أعدائهم الصهيونيين وغيرهم
نصراً مبيناً ، وتمكنهم من رقابهم تمكيناً ، تحقيقاً لقولك : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي
الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ
الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

هذا وقد تطورت الحالة في فلسطين بعد أن أعلنت هيئة الأمم المتحدة واعترفت
(بدولة إسرائيل) ، ولا يزال الخلاف والقتال مستعراً بين العرب واليهود خصوصاً بشأن
بيت المقدس بقصد الاستيلاء عليها . نسأل الله تعالى أن يوفق العرب للحصول على أراضيتهم
المقصوبة ، ورجوع اللاجئين إلى ديارهم ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، فتم المولى ونعم النصير

بمناسبة قضية فلسطين طلبت الحكومة من وعاظ المساجد أن يلقوا خطباً حماسية
في الحث على الجهاد في صلاة الجمعة ، وهذه الخطبة القيمة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ
حمزة حسن الصالحى بمسجد فؤاد الأول في يوم الجمعة ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، الموافق
٥ صفر سنة ١٣٦٧ ، وكان لها تأثير عظيم في نفوس المستمعين . وهذا نصها :

(١) أى لا تقسم .

الخاتمة

خطبة من حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

في الجهاد

الحمد لله شديد البطش بالظالمين ، القاتل في كتابه : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) . وأشهد أن لا إله إلا الله الذي أمر عباده المؤمنين بالدفاع عن وطنهم ودينهم فقال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ . فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذي أرسل لأهل الأرض والسموات ، بشيراً ونذيراً ، صابراً على الشدائد والحن ، كما قال له ربه : (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في سبيل الله ، ونصروا دينه ، فنصرهم الله كما قال : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .

أما بعد ، عباد الله : من تعاليم الإسلام وإرشاداته ، أن لا نعتدى إلا على من يعتدى علينا ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا ، كما قال سبحانه : (مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ عَمَلٍ مِمَّا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ، فإن رجع هؤلاء إلى رشدهم ، وأفاقوا من غيهم ، واستيقظوا من جهالتهم ، ومدوا إلينا يد التصالح والتسامح ، رجعنا إليهم بالعفو عما ارتكبهوه من الغدر والعدوان ، فقد قال سبحانه : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُمَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) وإن استمروا في الضلال والطغيان ، أصليناهم ناراً ، ليحق الله الحق ، ويبطل الباطل ، والنفوس بطبيعتها تميل إلى الراحة ، وتخلد إلى السكون ، ولا تحب الجهاد في سبيل الله ، وتسكره القتال الذي فيه العزة للإسلام والمسلمين ، وإعلاء كلمة الله وكلمة الدين .

قال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ . وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ . وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

وقد حرض الله المؤمنين على الإقدام في قتال الأعداء مع الثبات في مواضع القتال

فَقَالَ سُبْحَانَهُ : (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ . وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

وَقَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولَوْهُمْ الْأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُرَّهُ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وإن التاريخ دائماً يذكرنا بما حدث ، ويبين أن الطيش عاقبته سيئة ، خصوصاً إذا كان من رؤوس الرؤساء ، فإنه يجلب الشر ، ويهدم قصوراً شاهقة ، وبيوتاً عالية ، وهذا ما حصل لبعض اليهود الذين كانوا يجاورون المدينة المنورة ، فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود ، بها يأمن كل واحد منهم الآخر ، ولكن اليهود لم يوفوا بهذه العهود ، ونقضوها خيانة منهم وحسداً ، ونبدوا ما عاهدوا المسلمين عليه ، وأظهروا مكنون ضمائرهم ، فبدت البغضاء من أفواههم ، فأخبر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بأن العهد الذي كان بينه وبين اليهود قد انقضت عراه ، وانفطر حبله بسبب ما انطوت عليه نفوسهم ، من العداوة والبغضاء للمسلمين ، ونزل في ذلك قول الله تعالى : (وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء اليهود وحذرهم عاقبة البغي ونكت اليهود ، فافتخروا بقوتهم وشجاعتهم ومقدرتهم على الغلبة في الحروب ، فبين الله لنبيه أن الهزيمة نازلة باليهود ، فقال جل شأنه :

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأًى الْعَيْنِ ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)

وعندئذ تبرأ المسلمون من مخالفتهم مع اليهود ، ونزل قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) .

وقد اغتر اليهود بما وعدم به المنافقون من مساعدتهم والدفاع عنهم ، وتحصنوا
بمحصولهم بعد أن تبين لهم كذب المنافقين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما
رأوا عجزهم عن مقاومة المسلمين أدركهم الرعب ، وطلبوا من النبي أن يخلي سبيلهم على أن
يخرجوا من المدينة ولهم النساء والأولاد ، وللمسلمين الأموال ، فقبل ذلك عليه الصلاة
والسلام ، ولم يخل عليهم الحول بعد خروجهم حتى هلكوا جميعاً (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) .

(الحديث) : روى مسلم عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله
عليه وسلم : « بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال : يَسِّرَا وَلَا تَعْسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا ،
وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا » .

ونختتم هذا الكتاب بهذا الدعاء الذي ألقاه فضيلته على المصلين عقب الخطبة :
« اللَّهُمَّ اشغل الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم - آمين ، واجعل كيدهم في نحورهم
ونجنا من شرورهم يارب العالمين » آمين .
والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين في المبدأ والختام .

انتهيت والله الحمد من مراجعته في يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ ، الموافق ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨
على فكري

محمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع كتاب

[البيان الفاصل بين الحق والباطل]

مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برياسة : أحمد سعد علي

القاهرة في { ١٣ شوال سنة ١٣٦٨ هـ
٨ أغسطس سنة ١٩٤٩ م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة

محمد أمين عمران